مناهِج العُلماء

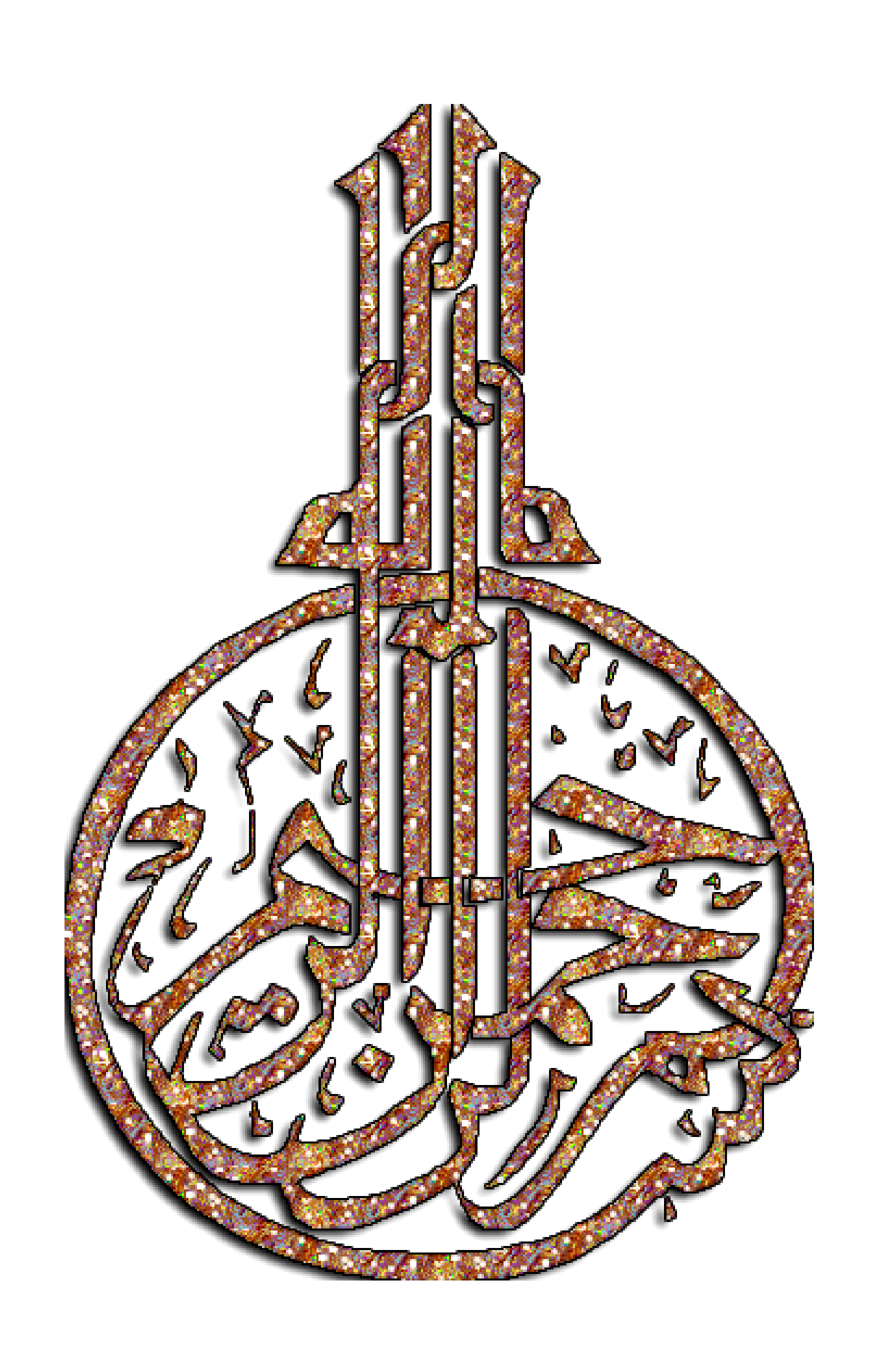
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تأليف

فاروق عبد المجيد حمود السامرائي



الناشر
مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع
جدة - المملكة العربية السعودية
ت: ٦٨٩٥١٥٤ - ص.ب: ١٣٦٤٧


بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين ، وبعد :

فانّ الصراع بين الحق والباطل قائم ، وللحق اصحاب يدعون اليه ، وله اعداه يدعون إلى ضـدّه ، وهو الباطل « والمؤمنون المؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »[1]وكذلك « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف »[2] . لكن شتّان بين هؤلاء وأولئك ، فالمؤمنون وليّهم الله ، والكافرون والمنافقون وليّهم الشيطان « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظالمات الى النور ، والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور الى الظلمات »[3] ، والنهاية – مهما طال الطريق – لأصحاب الحقّ « ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فأن حزب الله هم الغالبون »[4] . وجعل الله تكريم هذه الأمّة وعزّها مقرونا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن تقاعست على ذلك هبط مكانتها ، وانحدرت قيمتها وتكالبت عليها الامم .

ومهمّة الأمر بالمعروف النهي عن المنكر هي العلامة المميّزة لوصف الامّـة الإسلامية ، ووصف رسولها الكريم – صلى الله عليه وسلم – ، وفي نفس الوقت هي عنوان خلافة الأمّة الإسلاميّة لرسولها والأنبياء السابقين .

(١) التوبة : ٧١ .
(٢) التوبة : ٦٧ .
(٣) البقرة : ٢٥٧ .
(٤) المائدة : ٥٦ .

ومهمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تنحصر في نطاق ضيّق – كما يفهمه الكثير – كأن تكون فى الوعظ والارشاد ، وتوجيه الناس نحو الجوانب الخلقيّة فقط ، بل هي أشمل من ذلك . ولو استعرضنا معانيها فى القرآن الكريم لوجدناها تشمل كافّة الجهود المبذولة لاقامة الدين وتقويمه ، وبعث الحقّ في قلوب الناس وتوجيههم نحو الخير .

* * *

دوافـــع اختيـــار البحـــث

اولا : رغبتي في بيان مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق عرض الصور الحيّة الصادقة في الأمر والنهي ، والتي يتبين من خلالها حرصهم الشديد على الاصلاح بعيدين كلّ البعد عن الأهواء والنزوات ، ملتزمين طريق الصدق والثبات ، راجين من الله وحده الثواب على ذلك .

ثانيا : حاجة الأمّة الاسلامية إلى صراحة الحقّ ، لتكشف لها عوامل الزّيف ، وتنبهها إلى خطر التيّارات الوافدة لها من الشرق والغرب ، والتي تحاول أن تلبس على الناسّ بالباطل .

لقد اختلطت الأمور على النّاس حتّى ساءت أخلاق المسلمين ، فقال النّاس هذا من سكوت العلماء !!

وانتهكت الحرمات ، وفعلت المحرّمات ، فصاح النّاس هذا من سكوت العلماء !!

تركت الفروض والواجبات الدينيّة ، فقال العامّة هذا من غفلة العلماء !!

طغى أولياء الامر ، واصبحوا لا يبالون بالحرام فقالت العامّة هذا من جبن العلماء !![1]

فما دوركم ياعلماء الأمّة أمام هذا السيل الجارف ؟ !!

وما سبب حيرتكم وأنتم أهدى سبيلا من غيركم ؟

---

(١) انظر / سهام الإسلام : عبد اللطيف بن علي السلطاني ص ١٦٣ - ١٦٥ و : الإسلام بين جهل ابنائه ، وعجز علمائه ص / ٧٤ - ٧٧

ياعلماء الاســلام :

« إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في لدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله النّبيين اجمعين ، ولو طوي بساطه ، وأهمل عمله ، لتعطّلت النّبوة ، واضمحلّت الديانة ، وعمّت الفترة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلى يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا منه أن يكون ، فانّا لله ، وانّا اليه راجعون ، اذ اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكليّة حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل النّاس في اتّباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعزّ على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافى هذه الفترة ، وسدّ هذه الثلمة ، امّا متكفّلا بعملها ، أو متقلدا لتنفيذها ، مجددا لهذه السنّة الدائرة ، ناهضا باعبائها ، ومتشمرا في احيائها ، كان مستاثرا من بين الخلق بإحياء سنّة افضى الزمان إلى إماتتها »[1] .

ثالثا : الشعور بالأسى والحزن الذي ينتاب الخيّرين من أبناء الأمة لما حلّ بأرضهم – أرض الإسلام – من ضياع والاسلام فيها يُهان وتُنتهك حُرماته ، وقد حال بينه وبين ابنائه أمواج الشرّ الهائجة والتى عصفت بها رياح الباطل .

أريد أن اجعل من بحثي هذا صرخة إلى علماء الإسلام ، إلى

---

(١) احياء علوم الدين ٢ / ٢٦٩ .

من اصطفاهم الله ليكونوا ورثة انبيائه ورسله ، في تحمّل شرائعه والذبّ عنها ، وحملهم أمانه العلم والدين .

ياعلماء الإسلام : إنّ المعركة فاصلة ، فاماً حياة كريمة ، أو موت لا صحوة بعده . ها انتم تبصرون باعينكم ، وتسمعون بآذانكم وتدركون بعقولكم ما نال الدّين والعقيدة الإسلامية من مهانة ، وما استقرّ في قلوب المسلمين من ضعف في الإيمان ونكران لفضل الإسلام على البشريّة ، قد رفع بعض ضعاف الإيمان رؤوسهم واصواتهم عالية منادين بابعاد الإسلام عن ساحة المسلمين ، مردّدين بكلمات القيت اليهم من خصوم الإسلام ، فتلقفوها بلهفة تلقف الجائع للقمة الحقيرة ، وابتلعوها من غير مضغ على ما فيها من سموم قاتلة ، تاركين وراءهم عيشة الإسلام الهنيئة المرضية.

لقد فشا في الأمّة الفسق والفجور ، وعمّ الفساد ، وعزّ الاصلاح ، وعظم المصاب على أهله حتّى ظنّ الكثير من أبناء الامّة إنّ ما نحن فيه هو الإسلام الصحيح ، فهل ترضون له كلّ ذلك وانتم جنوده وانصاره !![1]

يا **علماء الاسلام** : الاسلام اليوم في أمسّ الحاجة إلى

---

(١) يتصرف / سهام الإسلام : عبد اللطيف بن علي السلطاني ص ١٦٣ – ١٦٥ و : الإسلام بين جهل ابنائه ، وعجز علمائه ص / ٧٤ – ٧٧

*** والحق انّ العلماء المخلصين لم يسكتوا بل قاموا بواجبهم في ظروف ساءت فيها نزعات التشويه والتضليل ، ووقعت الأمّة فريسة لتيّارات ذات امكانات ضخمة من شرقيّة وغربية اصابت الناس بالحيرة ، وغطّت على اصوات الحقّ بما تملكه من وسائل ليست مهيّئة للمخلصين .

مواقفكم الشجاعة ، مواقف تشبه مواقف الرعيل الاول حين صارعت الباطل فصرعوه .

يا علمــاء الاســلام : لقد سيقت لكم العناية من الله ، كما سيقت لرسولكم من قبل « ياأيّها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس »[1] ، إن أنتم قمتم بواجبكم فى دعوة الخير ، وصبرتم على ذلك .

وإنّ ما يظنّه متزلزلو الاقدام ، ومضطربو القلوب من نزول الضرر بهم ، وحصول المحن عليهم ، فهو توهل باطل ، فانّ كلّ محنة في سبيل الله ، إنما هي منحة ، لانها لا تأتي إلاّ بالخير فى الأولى والآخرة ، فالله تعالى يبتلى عباده وأولياءه كلّ على حسب ايمانه .

وأخيرا : فالأمّـة الإسـلامية اليوم تريد من علمائها الأفاضل أن ينبّهوا إلى ما يحيق بها من مكر سيء ، وأن يبذلوا قصارى جهدهم لتقويم أمرها ، وايقاضها من سباتها الذي طال عهده . والعلماء الذين قصّروا في حق دينهم ، وانهزموا أمام اعداء الأمّة عليهم أن يعيدوا الكرّة ، ويجعلوا من فشلهم ساعة ندم على ما فات فما زال الطريق مفتوحا لمن أراد الخير ، ولمن خاف مقام ربّه وخاف وعيد .

* * * * * *

---

(١) المائدة : ٦٧ ** انظر فتح القدير للشوكاني ٢ / ٦٠ .

منهج البحث :

١ ــ قبل ان اعرض مناهج العلماء في الأمر والنهي ، أفردت الباب الأوّل من الرسالة لبيان حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واحكامهما ، ودرجاتهما والقواعد المتعلقة بهما ، معتمداً في بيانهما على الكتاب والسنّة ، واقوال العلماء في ذلك . وهذا أمر ضروري يلزم الاحاطة به قبل التعرّف على مناهج العلماء من خلال مواقفهم وأقوالهم .

٢ ــ سجّلت بعض المواقف الحيّة من سير العلماء ــ رحمهم الله ــ ولم أقصد بذلك السرد التاريخي لكن أردت ابراز مواطن العبر ، وجوانب الحقّ ، لتحضير القلوب الميتة الغافلة عمّا يدور حولها من نكاية بعالمنا الإسلامي . والتاريخ الإسلامي حافل بالمواقف ، وهو خير شاهد على صدق علمائنا ، وخير واعظ يدفعنا للاستبصار ، والاتعاظ كي نحمل دعوة الإسلام كما حملوها ، ونقيم شرع الله في الأرض حتّى تعود الأمّة الإسلامية إلى سيرتها الأولى ، وما ذلك على الله بعزيز .

ومن خلال عرض تلك المواقف قمت ببيان جانب من مناهج العلماء في ذلك . وأريد التنبيه هنا إلى : أنّ الكلام حول مناهج العلماء لايستلزم ذكر جميع مواقف العلماء أو ذكر جميع العلماء ، فهذا أمر ليس بالمقدور ، لكن اختيار بعض المواقف البارزة في حياة العلماء ، ودعوتهم ، وكيفيّة مواجهتهم لأصناف المجتمع وقيامهم بواجب الأمر والنهي ، مع الكلام حول منهجهم في ذلك ، هو الأمر الذي يتّسع لنا المجال فيه . كما أنّ هناك كثيراً من العلماء لم تكن لهم مواقف بارزة كغيرهم في هذا الشأن . كذلك ذكر بعض المواقف للعلماء يغنينا عن ذكر مواقف كثيرة مشابهة لمواقف نظرائهم .

كما أن حال العلماء ليس على السواء ، فمنهم من ضحّى ونصح مخلصا لدينه ودعوته وهؤلاء الذين حاولت اعتماد مواقفهم قدر الامكان ، ومنهم دون ذلك ، وقد ذكر الامام الذهبي[1] كلاما في تفاوت درجات العلماء ، فبيّن أنّ من العلماء من طلب العلم لخدمة الإسلام ، ونصرة الحقّ ، ومنهم من طلبه بنيّة فاسدة ، ولاجل الدنيا ليكتسب من ورائه ، وقوم نالوا العلم من أجل المناصب ، ولكل وجهة هو مولّيها[2] .

٣ ـــ اعتمدت ـــ قدر الامكان ـــ بالدرجة الأولى على النصوص المرويّة والمحكيّة عن الأئمة الاعلام مثل أبي نعيم الأصبهاني والخطيب البغدادي والحافظ الذهبي والحافظ ابن كثير وغيرهم من العلماء الذين عُرفوا بصحة المعتقد وسلامة الوجهة والإلتزام بالكتاب والسنّة فكان من أهم المصادر الكتب المسندة مثل : تاريخ بغداد وحلية الأولياء وسير الأعلام والبداية والنهاية .

٤ ـــ استبعدت الأخبار التي اعلّها النّقاد من المحدّثين ، والمورخين ، وكذا التي طعنوا بنقلتها ، الاّ رواية كتاب الحيدة لعبد العزيز الكناني ، والتي ورد ذكرها في الرسالة ص / ٢٠٦ ، فقد تكلّم عنها بعض العلماء ، وقد وجّهتها الوجهة التي لا تخلّ بهذا النهج .

٥ ـــ امّا الكتب المعاصرة التي رجعت إليها ، ونقلت من بعضها ،

(١) سير الاعلام ٧ / ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٢) هو محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله (٦٧٣ ـــ ٧٤٨) هـ . من العلماء الاعلام ، حافظ مورّخ ، وعلاّمة محقق ، تركماني الأصل . مولده ووفاته في دمشق . له تصانيف كثيرة تقارب المئة . كفّ بصره سنة ٧٤١هـ .

(طبقات الشافعية ٩ / ١٠٠ والاعلام ٥ / ٣٢٦) .

فقد اعتمدت على نصوص لكبار العلماء الذين خاضوا غمار الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم .

٦ ــ تجنّبت ذكر النّصوص المطولة في الغالب ، واكتفيت بموضع الشاهد في بعضها ، مع العزو للمصادر المنقولة منها تلك النّصوص ، واحيانا يكون الرّبط بين المقدّمة والخاتمة .

٧ ــ تجنّبت تكرار النّصوص الواردة في الرسالة ، إلا بعض النّصوص التي لها مدلولات متعدّدة ، فاشير إليها في الموضع الثاني ، ثمّ اعزوها إلى الموضع الأوّل .

٨ ــ ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم إلا النزر اليسير ، وبعض الاعلام الذين لم أقف على تراجمهم حسب جهدي وعلمي بالرغم من الرجوع الى المصادر .

٩ ــ قمت بعزو الآيات القرآنية ، وتخرج الاحاديث النّبوية الوارد ذكرها في الرسالة ، كما قمت بحلّ كثير من اشكالات النّصوص الوارد ذكرها ، ووجهت بعضها حتّى يسهل على القارئ استيعابها .

١٠ ــ عملت فهارس مرتبة حسب ترتيب الحروف الأبجدية للآيات والأحاديث والأشعار والاعلام والمصادر ثمّ فهرسة محتويات الرسالة ، وفي فهرس الاعلام وضعت حرف التاء أمام رقم الصفحة التي ذكرت فيها ترجمة ذلك العلم .

١١ ــ أمّا بالنسبة لخطّة البحث ، فقد جعلت الرسالة في مقدّمة ، وثلاثة أبواب وخاتمة ، وكلّ باب يحوي عدّة فصول ، كما سيأتي :

خطـــة البحـــــث

المقدمة :

الباب الأوّل : (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

ويشمل على :

الفصل الاوّل : حاجة المجتمعات إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الفصل الثاني : ماهيّة المعروف والمنكر .

الفصل الثالث : حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الفصل الرابع : تقسيمات تتعلّق بهما .

الفصل الخامس : أهم القواعد التي تبنى عليها مهمّة الامر والنهي .

الباب الثاني : منهج العلماء مع الحكّام .

ويشمل على :

الفصل الاوّل : الدخول على الحكّام .

الفصل الثاني : التزام الصدق والجراة في الحق .

الفصل الثالث : محاسبة العلماء للحكّام .

الفصل الرّابع : تقديم العلم على حظوظ النّفس .

الفصل الخامس : الحكمة البالغة مع حسن التصرّف .

الفصل السادس : الكتابة إلى الحكّام .

الباب الثالث :منهج العلماء مع الأمّة .

ويشتمل على :

الفصل الاوّل : منهج العلماء مع أقرانهم .

الفصل الثاني : منهج العلماء مع العامّة .
الفصل الثالث : منهج العلماء مع المبتدعة .

ثمّ : الخاتمة .
والفهارس .

وهذا والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل .

* * *

الباب الأول
« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »

ويشتمل على :

١ ــ **الفصل الأول** : حاجة المجتمعات إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢ ــ **الفصل الثاني** : ماهيّة المعروف والمنكر .

٣ ــ **الفصل الثالث** : حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤ ــ **الفصل الرابع** : تقسيمات تتعلّق بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥ ــ **الفصل الخامس** : أهم القواعد التي تبنى عليها مهمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* * *

انزل الله به كتابه ، وارسل به شرائعه من الدين »[1] .

وقد دلت الآية القرآنية ـــ في قوله تعالى : ﴿ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم ﴾[2] ، على أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجبا في الامم المتقدمة ، وهو فائدة الرسالة وخلاقة النبوة .

والصفات الثلاثة التي وصف الله بها الامة الإسلامية ليست خاصة بها وحدها ، بل كانت حاصلة في سائر الامم[3] .

وقد اوصى لقمان[4] ابنه : « يابني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على مااصابك ان ذلك من عزم الامور »[5] .

ولم تكن وصية لقمان لابنه حدثا عابرا يحكي قصة ما ، إنما أوردها القرآن الكريم لما هو أسمى من ذلك .

= الأمة . افتى وله من العمر ١٩ سنة . زادت مؤلفاته على ٣٠٠ مجلد . وكانت وفاته في قلعة دمشق .

(البداية والنهاية ١٤ / ١٣٥ والنجوم الزاهرة ٣ / ٢٧١ والاعلام ١ / ١٤٤) .

(١) الحسبة في الإسلام ص / ٢٦ .

(٢) آل عمران : ٢١ .

(٣) انظر / (الجامع لاحكام القرآن ٤ / ٤٧ ومفاتيح الغيب ٣ / ٧٣) .

(٤) لقمان بن عنقاء بن سدون ، ويقال : ابن ثاران .
كان نوبيان من أهل أيلة ، وكان رجلا ذا عبادة وعبادة وحكمة عظيمة . ويقال : كان قاضيا من زمن داود ـــ عليه السلام ـــ ، والله أعلم . (البداية والنهاية ٢ / ١٢٣) .

(٥) لقمان : ١٧ .

يقول العلامة الجصاص[1] : « وإنما حكى الله تعالى عن عبده لنقتدي به ونتهي اليه » .

ويفسر قوله تعالى : ﴿ واصبر على ماأصابك .... ﴾ أي : واصبر على ماساءك من المكروه عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2] .

(علاقة الحسبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

الحسبة في الحقيقة انما هي جزء من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهي كما عرفها العلماء : (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله)[3] وهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4] .

والحسبة تقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5] ، وهي عنوان إصلاح الأمة من داخلها ، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو يعم الدعوة والتبليغ والجهاد والسياسة مع اصلاح الامة[6] .

---

(١) أحمد بن علي الرازي ، أبو بكر الجصاص . (٣٠٥ ـ ٣٧٠)هـ .
سكن بغداد ومات فيها ، وإليه انتهت رئاسة الحنفية . (الاعلام ١ / ١٧١) .

(٢) احكام القرآن ٢ / ٤٨٦ .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ص / ٢٣١ وانظر / الأحكام السلطانية لابي يعلى الحنبلي ص / ٢٦٨ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص / ٢٢٥ .

(٥) انظر / نظام القضاء في الشريعة الإسلامية ص / ٣١٣ . عبد الكريم زيدان .

(٦) انظر / الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص / ٢٣٥ جلال الدين العمري (الحاشية) .

الفصل الأول

(حاجة المجتمعات إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

الايمان بالله طريق البشرية منذ أن هبط آدم عليه السلام إلى الأرض ، إذ بدأت البشرية طريقها مؤمنة بربها موحدة له ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون ﴾(1) .

وقد بين القرآن الكريم أن الناس في الاصل كانوا على التوحيد . ثم اختلفوا بانحرافهم عنه ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليردوا الناس إلى عقيدة التوحيد .

قال الله تعالى : ﴿ كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، .... ﴾(2) .

ومع تتابع الزمن وتوالي القرون ، انحرفت البشرية إلى جاهلية ضالة حادت عن الحق وابتعدت عن جادة الصواب ، حتى جاء اليوم الذي ترك الانسان فيه عبادة الله إلى عبادة ما سواه .

(أول من أظهر الانحراف)

إنّ صورة الانحراف المتمثلة في الابتعاد عن شرع الله ومنهجه أول ماظهر ظلامها في تاريخ البشرية عند قوم نوح ، حيث لم يعهد قبلهم

---

(١) الروم : ٣٠ .

(٢) البقرة : ٢١٣ .

انحراف أو فساد .

ورد عن ابن عباس[1] ــ رضي الله عنهما ــ انه قال : « كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام »[2] .

وعن أبي أمامة الباهلي[3] أن رجلا قال : يارسول الله انبي كان آدم ؟ قال نعم قال : فكم كان بينه وبين نوح ، قال عشرة قرون[4] .

فإن كان المراد بالقرن مائة سنة ــ كما هو المتبادر عند كثير من الناس فبينهما الف سنة لا محالة ، ولكن لاينفي أن يكون أكثر باعتبار ماقيد به ابن عباس بالإسلام ، لكن حديث أبي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون . وزادنا ابن عباس انهم كانوا على الإسلام .

وهذا يرد على من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب ، ان قابيل وبنيه عبدوا النار[5] .

إذن : قوم نوح هم الذين اظهروا صورة المجتمع المنحل والمتجرد من كل القيم . لقد سادت الفوضى عندما أدى بهم الكفر بالله والشرك به إلى

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . (ت : ٦٨هـ) . ابن عم النبي ﷺ حبر الامة وفقيه العصر ، امام التفسير ، صحب النبي نحوا من ثلاثين شهرا وحدث عنه . (اسد الغابة ٣ / ٢٩٠ وسير الاعلام ٣ / ٣٣١) .

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١ / ١٠١ وابن جرير في تفسيره ٤ / ٢٧٥ عن ابن عباس ، ورواه الحاكم ٢ / ٥٤٦ وقال صحيح على شرط البخاري .

(٣) صدي بن عجلان . (ت : ٨١ وقيل ٨٦هـ) .
وهو صاحب رسول الله ﷺ وروى عنه علما كثيرا . وقيل انه ممن بايع تحت الشجرة . (اسد الغابة ٣ / ١٦ وسير الاعلام ٣ / ٣٥٩ والبداية والنهاية ٩ / ٧٣) .

(٤) رواه ابن حبان . موارد الظمآن ص / ٥٠٩ . وقال عنه ابن كثير : هذا على شرط مسلم ولم يخرجه . انظر / البداية والنهاية : ١ / ١٠١ .

(٥) المصدر السابق .

ذهاب الحرية ، وتحطيم الكيان الانساني ، وبالتالي غياب الهدف السامي النبيل عن حياة الناس . فاختلفت الموازين ، وزالت القيم ، وازداد ظلم الظالمين وذل المظلومين ، كما ازداد فقر الفقراء وغنى الأغنياء .

وفي وسط هذا الظلام اظهر الله — تبارك وتعالى — النور السماوي ببعثة نوح — عليه السلام — رسولا إلى قومه (فكان هو العقل الوحيد الطافي فوق دوامات الخراب الجماعي الهائل المتمثل في عبادة غير الله)[1] فقام في قومه يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ليردهم إلى ذات الحقيقة التي زاغوا عنها ، ويحذّرهم من لفحات السموم ونزعات الشيطان . فكانت دعوته أولى الاحداث الانسانية التي اصطدم فيها رسول من رسل الله بقومه ، وأول صورة تعبر عن الكفاح النبيل لاقرار حقيقة الايمان على وجه الأرض .

(الأسباب التي دعت إليها حاجة المجتمعات إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

(١) الإبتعاد عن منهج الله .

إنّ ابتعاد الناس عن شريعة الله ومنهجه يحول صورة المجتمع إلى جحيم لايطاق وحياة الناس افرادا وجماعات إلى عذاب لايحتمل ، وعند ذلك « تقف البشرية على حافة الهاوية ، لا بسبب التهديد بالفناء المعلق على راسها .. فهذا عرض للمرض ، وليس هو المرض ، ولكن بسبب افلاسها في عالم القيم »[2] .

وهنا يبعث الله من يصطفي من عباده ليكونوا منارة ، واشعاع نور .

(١) انبياء الله ص / ٤٨ . أحمد بهجت .
(٢) معالم في الطريق ص / ٣ سيد قطب .

قال تعالى : ﴿ إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما ﴾[1] .

وعلى درب الانبياء يسير دعاة الخير ليواصلوا الطريق في تبليغ رسالة الله للناس ﴿ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾[2] .

وفي منهج الله تتحقق المصلحة المتفقة مع فطرة الانسان على الدوام ، لأن شريعة الله (سياسة إلهية للبشر ومحال أن يقع في سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق ، قال الله عز وجل : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾[3] وقال : ﴿ لا معقب لحكمه ﴾[4][5] .

وأحكام الشريعة ماشرعت إلاّ لمصالح العباد ، وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله[6] .

إذن : فشريعة الله جاءت لخير الناس ، وفيها حكم الله وقانونه الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا تداخله الاهواء ، انما شرع احكم وسدد .

---

(١) النساء : ١٦٣ — ١٦٦ .
(٢) البقرة : ١٩٣ .
(٣) الأنعام : ٣٨ .
(٤) الرعد : ٤١ .
(٥) تلبيس ابليس ص / ١٢٩ ابن الجوزي .
(٦) الموافقات للشاطبي ٢ ٦ .

وهي – أي شريعة الله – « كلها مصالح ، إما دره مفسدة أو جلب مصلحة »[1] والخالق وحده يعلم سر مخلوقه ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[2] .

لذلك أنزل الشرائع إلى الناس ليوجههم بعلمه وحكمته إلى مافيه الخير ، ويرشدهم إلى سواء السبيل . ولهذا فان من اقبح الجرائم التي ترتكب في حق الشعوب هو ابعاد الناس عن شريعة الله واحلال الشرائع الارضية . ومن ثم تنحية الإسلام عن قيادة الامة ، لتكون الحاكمية لغير الله .

ولقد واجهت الامة الإسلامية في القرون المتاخرة حملة شعواء قام بها اعداء هذا الدين لابعاد المسلمين عن دينهم ، وفرض النظم الوضعية والاحكام الجائرة بدل حكم الله وقانونه ﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾[3] .

لقد مُنع أصحاب الحق وعلماء الأمة من الاصلاح والتغيير ، في الوقت الذي اطلق العنان فيه لدعاة الفسق والفجور – تحت ظل الاعلام المسموم – أن يعرضوا افكارهم الهدامة ومبادئهم الباطلة ليروجوها بين الناس .

وآل الأمر إلى غير أهله ، وباتت الحرية تشكو أصحابها وأدعياءها الذين حولوا ليلة عرسها إلى عزاء دائم ، واشراقة نورها إلى ظلام دامس ، وأكثر الناس جناية عليها هم رافعوا اعلامها الزاعمون ولاية أمرها ، إذ حولوها إلى كابوس خانق لأنفاس الشعوب .

---

(١) القواعد / العز بن عبد السلام ١ / ٩ .
(٢) الملك : ١٤ .
(٣) المائدة : ٥٠ .

وأخيرا بات المظلوم تحت رحمة جلاده ، وبات الإسلام تحت رحمة الباطل ، فلله دَرك ياأبابكر الصديق ياصاحب رسول الله ﷺ وحمية الإسلام تتاجج في صدرك « أينقص الدين وأنا حي » فما هو موقف مسلمي اليوم والإسلام يقتلع من جذوره ، أهو موقف المتفرج المرعوب ؟ أم المبهوت المفضوح ؟ !! ناهيك عن علماء السوء الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل .

(٢) لأنّ الإنسان يتأثر بالزمان والمكان وبالناس من حوله .

الإنسان محدود بالزمان والمكان ، يتأثر بهما وبالناس من حوله ، وغالبا يتوجه نحو غايات تختلف عن غايات الآخرين ، ولو ترك بغير اصلاح وتوجيه قد يصل إلى الحق بفطرته إلا أن الغضب قد يساوره ، أو تسيطر عليه اللذة فينقلب على الحق الذي ادركه . وقد يقع التنازع بين أفراد بيئة واحدة تختلف اتجاهاتهم فترى الرجل يستحسن عين مايستقبحه الآخر ، بل إن تقلب الأحوال تجعل الرجل يستحسن عين ماكان يستقبحه ، أو يستقبح عين ماكان يستحسنه[1] .

(٣) لأنّ دعوة الإسلام وحدها الكفيلة بعلاج أمراض المجتمع :

فكما أن أمراض الأجسام تودي بصاحبها إلى الهلاك إذا لم تُسعف بالعلاج الناجح قبل استفحالها فكذلك أمراض القلوب لا تقل خطراً عن الأولى ولا دواء لها إلاّ من مراهم الشريعة الغراء .

يقول ـــ تبارك وتعالى في سورة الإسراء : ﴿ وننزل من القرآن ماهو

---

(١) بتصرف / الدعوة الإسلامية ـــ احمد غلوش ص / ٢٩٩ .

شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلاّ خسارا ﴾[1]

وقال في سورة يونس : ﴿ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾[2] .

وهنا جعل البركة والرحمة والهداية كلها خاصّة بالذين آمنوا ، وهم المؤمنون الذين يعملون بكتاب الله ويقيمون أحكامه ، أما الذين لايؤمنون به فيكون عليهم عمى ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾[3] .

(٤) لأجل وحدة الهدف والغاية .

﴿ إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾[4] . لذلك توالت رسل الله إلى الناس ـــ وهم الصفوة المختارة ـــ يحملون رسالةً واحدةً وهديا واحدا . فهذا نوح وإبراهيم والأسباط وموسى وعيسى و .... ، ثم خاتمهم سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام ـــ لايفرقهم نسب ولا ارض ولا وطن ولا زمن . مصدرهم الكريم واحد ، ورسالاتهم هدفها واحد ـــ الإنذار والتبشير ـــ وكلهم يحاول أن يأخذ بزمام القافلة إلى ذلك النور الهادى سواء منهم من جاء لعشيرة أو لمدينة أو لقطر ، ثم من جاء رحمة للعالمين محمد النبي الأمين ـــ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم[5] .

---

(١) آية : ٨٢ .

(٢) آية : ٥٧ .

(٣) فصلت : ٤٤ .

(٤) الأنبياء : ٩٢ .

(٥) بتصرف / في ظلال القرآن ، سيد قطب ٢ / ٨٠٥ .

(٥) كي يستقيم المجتمع وتنظم حياة الأفراد .

مهمة الإصلاح المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لها دور عظيم في فلاح المجتمع ورقيه ، وبأدائها على الوجه الأكمل الصحيح ينحسر الشر ، وبالمقابل ترتفع شجرة الخير ، وتتعدد أغصانها فينال الجميع من ثمارها الطيبة ، وفي النهاية ينعم الناس بالأمن والرخاء .

ذلك ماحدث في صورته العملية مع أمير المؤمنين ، وخامس الخلفاء الراشدين الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز[١] رحمه الله عندما ارسل يحيى بن سعيد[٢] عامل الدولة على صدقات افريقيا فاقتضاها . طلب يحيى القفراء فلم يجد فقيرا بها ولم يجد من يأخذها[٣] .

وكان منادي عمر ينادي كل يوم : أين الغارمون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء[٤] .

ولقد ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً وتقريبا ، فملأ الأرض عدلا وفاض المال حتى كان الرجل يهمه لمن يعطي الصدقة .

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشي الأموي . (ت : ١٠١هـ) هو الإمام المجتهد ، والخليفة الراشد ، أمير المؤمنين ، بويع بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ، فردها إلى كتاب الله وسنة رسوله ، بعد أن اعتراها الميلان عن الحق ، مع قلة المعين ، وكثرة الأمراء الظلمة الذين كرهوه وملّوه . (طبقات ابن سعد ٥ / ٣٣٠ والبداية والنهاية ٩ / ١٩٢ وسير الأعلام ٥ / ١٤٤) .

(٢) يحيى بن سعيد العاص ، الأموي القرشي .
كان عبد الملك بن مروان قتل اخاه عمرو بن سعيد الأشدق . بعثه عبد الملك إلى المدينة فلحق بابن الزبير ، وقال عنه : مارأيت أفضل من يحيى بن سعيد . (التاريخ الكبير ٨ / ٢٧٥ والتهذيب ١١ / ٢١٥) .

(٣) انظر / سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص / ٦٩ .

(٤) البداية والنهاية ٩ / ٢٠٠ .

هذه الصورة المشرقة دفعت الشاعر جرير[1] أن ينشد :

كم بالمواسم[2] من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوف كأنّ به خبلا من الجن أو خبلا من النّشرَ
ممن يعدّك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر
يرجوك مثل رجاء الغيث تجبرهم بوركت جابر عظم هيض منكسر
إنا لنرجوا إذا ماالغيث أخلفنا من الخليفة مانرجوا من المطر[3]

(٦) للتخلص من الغربة القاسية ومن القلق والتمزق .

فلا يجد الإنسان وبالأخص المعاصر من يحلّ له ذلك الأشكال المعقد ليفهم سر الوجود فاسلمته النظريات الطائشة والأوهام إلى غربة قاتلة باتت تشكل مصدر صدع كبير في بناء الأمم رغم ما يحوط الناس من عوامل المتعة واللهو .

(والغربة المعاصرة تختلف عن الغربة التي عرفتها العصور الماضية .... فقد كان الغريب برغم حيرته وشكه لايفقد الإيمان بالله ولا ييأس من الوصول إلى الحقيقة .

أما الغربة الحالية فهي غربة إنسان عاجز عن الإيمان بوجود أيّ شيء ،

---

(١) جرير بن عطية بن حذيفة . (ت : ١١٤) .
اشتهر بالهجاء وبرع فيه ، وهجا الفرزدق والأخطل في كثير من قصائده . توفي في اليمامة بعد موت الفرزدق بأشهر .
(البداية والنهاية ٩ / ٢٦٠ ودائرة المعارف الإسلامية ٦ / ٣٧١ والأعلام ٢ / ١١٩) .
(٢) جمع موسم . ويقصد به الحج .
(٣) شرح ديوان جرير ص / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ؛ محمد اسماعيل عبد الله الصاوي .

وكان الغرباء قديما يحاولون تحقيق الإنسجام والمواءمة مع العالم بالرغم من خلافهم معه ، أما الغرباء المحدثون فانهم يرفضون المجتمع رفضا كاملا ، وينفصلون عنه انفصالا تاما)[1] والطابع الذي طغى على الأدب الغربي إنما يتلخص في عبارة واحدة : إنها فكرة الإنسان الذي فقد إيمانه بالله ولم يجد مايعوضه عن هذا النقص . لذلك فان جميع النظم والمذاهب التي حاولت أن تقدم منهجا للحياة قد باءت بالفشل لأنها اعتبرت مشكلة المجتمعات هي أزمة المعدة والطعام واشباع الغرائز الجنسية ، فدفعت الناس كالكلاب المسعورة يلهثون وراء شهواتهم الدنيئة بلا ضابط ولا رادع[2] .

وكان من اعظم الخرافات الجاهلية الرومانية التي حكمت أوربا قرونا طويلة هو إيمانها العنيف بالمادة على حساب الروح ، فالوجود عندهم هو الوجود المادي الذي تدركه الحواس ، أما الذي لاتدركه الحواس فهو شيء لا وجود له ، أو في القليل شيء ساقط من الحساب ، ومن ثم كان من أشد الجوانب ضحالة في حياة الرومان هو جانب العقيدة[3] .

أما التطورات الخطيرة التي أحدثهما كل من فرويد [4] وماركس[5] وليفي

---

(١) كتاب الغريب / كولن ولسن / (نقلها عنه أنور الجندي . الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٩٧) .

(٢) انظر / الإسلام والدعوات الهدامة ص / ١٩٧ .

(٣) بتصرف / جاهلية القرن العشرين ص / ٣٦ . محمد قطب .

(٤) فرويد سيجمند : (١٨٥٦ — ١٩٣٩)م .

طبيب نمساوي أسس مدرسة التحليل النفسي ، واشتغل في شبابه بدراسة علم الأعصاب وفي سنة ١٨٩٥م وضع مبادئ التحليل النفسي ، وتجاوز إلى غيره من العلوم كالأدب والفن .

ومن كتبه « تفسير الأحلام » و « ومقدمة في التحليل النفسي » و « والقلق والذات والغرائز » . (الموسوعة الثقافية ص / ٧١٦) .

(٥) كارل ماركس : (١٨١٨ — ١٨٨٣)م .

بريل[1] ودوركايم[2] وسارتر[3] ، فانها تحطم الكيان الإنساني وتدفع الناس للجري وراء النزوات الحيوانية والشهوات الدنيئة ، فيتعرى الفرد من ثوب القيم ، ويصبح جزءاً من كل ، وبالتالي تحرم الروح من زادها الحقيقي ، فيعيش الإنسان برئة واحدة ، ونتيجة لذلك يشعر بالغربة والضياع والقلق النفسي لأن قوة حقيقية في الأعماق قد حُبست بينما اطلقت القوة الأخرى . لذلك نجد ان المجتمعات الغربية تحولت من النقيض إلى النقيض . فالكنيسة حبست الكيان المادي ، ودعت إلى الرهبنة والزهادة ، مع إهمال متطلبات النزعات الفطرية في البشر ، وتسييرها في مجراها الطبيعي .

ولما تغير الوضع في أوربا وقامت الثورة الصناعية بلغ الإنسان الأوربي

= فيلسوف واقتصادي الماني ، صاحب النظرية الماركسية . تعاون مع فريدريك انجلز في اصدار البيان الشيوعي سنة ١٨٤٨م ، وكان على علم بالفلسفة الألمانية ، وخاصة فلسفة هيجل ، وبالنظريات الإقتصادية على أساس الإشتراكية العلمية .

(الموسوعة الثقافية : ص / ٨٧١) .

(١) ليفي بريل ، لوسيان : (١٨٥٧ — ١٩٣٩)م .

فيلسوف فرنسي كان استاذا في جامعة السوربون منذ ١٨٩٩م .

أهم كتبه : « الوظائف العقلية في المجتمعات البدائية »و « العقلية البدائية وله ترجمة إلى العربية .

(الموسوعة العربية الميسرة ص / ١٥٩٦ .

(٢) دوركايم اميل : (١٨٥٨ — ١٩١٧)م .

عالم اجتماع فرنسي تاثر بفلسفة كونت الوضعية . من مؤلفاته : تقييم العمل في المجتمع » و « قواعد المنهاج الإجتماعي » و « الإنتحار » و « الأشكال الأولية للحياة الدينية » . (الموسوعة الثقافية ص / ٤٥٧) .

(٣) سارتر جان بول : (٩٠٥ — ٢)م .

زعيم الفلسفة الوجودية في القرن العشرين . من رواياته : « الغثيان » و « عصر العقل » ومن مسرحياته : « لعنة الطوفان » و « الأيدي القذرة » .

منح جائزة نوبل للاداب لكنه رفضها .

(الموسوعة الثقافية ص / ٢٥٤) .

أقصى المدى من الناحية المادية ، فحبس العواطف والروحانيات واطلق القوى الأخرى المادية ، ودعا إلى وثنية وإباحية عاصفة . وفي النهاية عاد الإنسان من رحلته متعبا شقيا يشعر بالوحشة والغربة في مجتمع يضج بالمغريات لان عطاء الروح ، وصمام الأمان ، — نور الهدى والحق — قد غاب[1] .

(اقوال باطلة)

هناك من ينكر فضل وفائدة الدعوة إلى الله ، وبالتالي ينكر مهمة الإصلاح ، ويدعو إلى التقاعد والتكاسل عن هداية الناس . وقد أورد صاحب كتاب الدعوة الإسلامية بعض هذه الادّعاءات[2] .

(١) يقول شوبنهاور الألماني[3] : (يولد الناس أخيارا أو أشرارا كما يولد الحمل وديعا والذئب مفترسا وليس لعلم الأخلاق إلا أن يصف سير الناس وعوائدهم .) .

(٢) ويقول اسبينوزا[4] : (إنّ أفعال العباد كغيرها من سائر الظواهر الطبيعية تحدث ويمكن استنتاجها بالضرورة المنطقية الهندسية ، كما

---

(١) بتصرف / الإسلام والدعوات الهدامة ص / ١٩٧ — ١٩٩ .

(٢) احمد غلوش ص / ٢٣١ . وانظر / محاضرات تكوين الشخصية الإسلامية في نظر الإسلام / عبد الله علوان ص / ٦ — ٩ .

(٣) شوبنهاور : اوثر : (١٧٨٨ — ١٨٦٠)م .
فيلسوف الماني فلسفته تشاؤمية ، تتمثل في كتبه واهمها : (العالم ارادة وفكرة) . (الموسوعة الثقافية ص / ٦٠٣) .

(٤) اسبينوزا : باروخ او بندكت : (١٦٣٢ — ١٦٧٧) .
فيلسوف هولندي سليل اسرة يهودية ، كان مستقل الراي مما ادى إلى طرده من الجماعة اليهودية وحرمانه جميع حقوقه الدينية سنة ١٩٥٦م . عاش متواضعا منطويا على صناعة العدسات ، ورغم ذلك ذاع صيته ، وزاره كثير من الفلاسفة . أهم كتبه « الأخلاق » (الموسوعة الثقافية ص / ٧٢) .

يستنتج من طبيعة المثلث ان زواياه قائمتان) .

(الرد عليهم) .

(١) ان التغيير السلوكي الذي يطرا على الفرد في اطوار حياته سواء بالسلب أو بالإيجاب سببه تاثير العوامل الخارجية التي يتعامل معها الفرد في مجتمعه والبيئة من حوله ، وبالإشتراك مع العوامل المتشابكة في تركيب الإنسان ذاته .

فتاثير النفس ﴿ إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلاّ مارحم ربي ﴾[١] .

وتأثير الهوى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ﴾[٢] . والشيطان ﴿ إنّ الشيطان للإنسان عدّو مبين ﴾[٣] .

كل ذلك يدفع الإنسان إلى الركون للدنيا ومغرياتها ، والزيغ عن الحق .

والمحيط الذي ينشا فيه الفرد يكاد يكون العامل المباشر في صلاح أو فساد سيرة الإنسان وسلوكه .

يقول ﷺ : « مامن مولود إلاّ يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »[٤] .

(٢) لو كان العقل البشري الذي وهبه الله للانسان أهلا في بلوغ الهدى لنفسه والمصلحة لحياته ، لوكل الله الإنسان إلى هذا العقل وحده يبحث

---

(١) يوسف : ٥٣ .
(٢) الجاثية : ٢٣ .
(٣) يوسف : ٥ .
(٤) رواه مسلم من حديث ابي هريرة ك / القدر . صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ٢٠٧ ورواه البخاري ك / القدر ٨ / ١٥٣ .

عن دلائل الهدى والإيمان ، ويرسم لنفسه المنهج الذي تبنى عليه حياة الناس . ولما ارسل الله الرسل ولما جعل حجته على عباده هي ارسال الرسل ، وتبليغهم اقوامهم بما اخذوه عن ربهم وحجة الناس عنده ــ سبحانه ــ عدم مجيء الرسل اليهم ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾[1] لكن الله علم بان عقول البشر قاصرة عن ادراك الحق والأهتداء بذاتها ، لذلك فهو لايواخذ الناس إلا بعد الرسالة والتبليغ . ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[2] .

اذن مايتم بالرسالة لايكون في غيرها ، والتاريخ البشري لم يسجل في صفحاته ان عقلاً من العقول الكبيرة النادرة اهتدى إلى مثل مااهتدى إليه العقول المتوسطة بالرسالة ، لا في تصورها الأعتقادي ، ولا في نظام حياتها ، وتشريعاتها .

فافلاطون[3] وارسطو[4] من العقول النادرة الكبيرة ، بل إنّ ارسطو اكبر

---

(١) النساء : ١٦٥ .

(٢) الإسراء : ١٥ .

(٣) افلاطون : (٤٢٧ ــ ٣٤٧) ق . م

فيلسوف يوناني تتلمذ على سقراط ، ودون افكاره على شكل محاورات . أسس الأكاديمية في أثينا ، ووضع نظريته « المثل » وهي أقوى تأكيد لاستقلال المعقولات عن المحسوسات كانت فلسفته السياسية تميل إلى النزعة الأرستقراطية . اشهر محاوراته : « الجمهورية » التي رسم فيها أول صورة للمدينة الفاضلة . (الموسوعة الثقافية ص / ١٠١)

(٤) ارسطو : (٣٨٤ ــ ٣٢٢) ق . م

فيلسوف يوناني ، تتلمذ على افلاطون ، وله في العلم الطبيعي مؤلفاته منها : « السماع الطبيعي » و « السماء » و « الكون والفساد » و « النفس » . وله كتب في الأخلاق والسياسة والشعر والخطابة . وكان لأرسطو الأثر على الفلاسفة الإسلاميين ، فلقبوه « بالمعلم الأول » وشرحوا فلسفته ، واخذها الغرب فساعدوا بذلك على نقل الفكر اليوناني إلى أوربا . (الموسوعة الثقافية ص / ٦٣) .

يستنتج من طبيعة المثلث ان زواياه قائمتان) .

(الرد عليهم) .

(١) ان التغيير السلوكي الذي يطرا على الفرد في اطوار حياته سواء بالسلب أو بالإيجاب سببه تاثير العوامل الخارجية التي يتعامل معها الفرد في مجتمعه والبيئة من حوله ، وبالإشتراك مع العوامل المتشابكة في تركيب الإنسان ذاته .

فتاثير النفس ﴿ إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلاّ مارحم ربي ﴾[١] .

وتأثير الهوى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ﴾[٢] . والشيطان ﴿ إنّ الشيطان للإنسان عدّو مبين ﴾[٣] .

كل ذلك يدفع الإنسان إلى الركون للدنيا ومغرياتها ، والزيغ عن الحق .

والمحيط الذي ينشا فيه الفرد يكاد يكون العامل المباشر في صلاح أو فساد سيرة الإنسان وسلوكه .

يقول ﷺ : « مامن مولود إلاّ يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »[٤] .

(٢) لو كان العقل البشري الذي وهبه الله للانسان أهلا في بلوغ الهدى لنفسه والمصلحة لحياته ، لوكل الله الإنسان إلى هذا العقل وحده يبحث

---

(١) يوسف : ٥٣ .
(٢) الجاثية : ٢٣ .
(٣) يوسف : ٥ .
(٤) رواه مسلم من حديث ابي هريرة ك / القدر . صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ٢٠٧ ورواه البخاري ك / القدر ٨ / ١٥٣ .

عقل عرفته البشرية ــ بعيدا عن رسالة الله وهداه ــ ومع هذا لو أجرينا القياس بين تصور ارسطو للالهة ــ كما وصفها ــ وتصور أي مسلم عادي لوجدنا المسافة شاسعة بين التصورين ، ذلك لان المسلم العادي لم يصل إلى ذلك عن طريق العقل ، انما بهدي الرسالة .

أما اخناتون[1] في مصر القديمة ــ فقد وصل إلى عبادة الشمس وحدها . لكن الفجوات والأساطير التي تجدها في عقيدة اخناتون تجعل المسافة بينها وبين عقيدة المسلم العادي بعيدة جداً[2] . ذلك لأن عقيدة الإسلام « لم تصل الينا عن طريق الحكماء والمفكرين ، ولا عن طريق الأذكياء الخياليين ، ولا عن طريق الزعماء والقادة ، إنما وصلت الينا عن طريق الأنبياء الذين يوحى إليهم من الله ، الذين ختمت رسالاتهم برسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ »[3] .

(٣) لو استعرضنا الفترة التي هيمن فيها الإسلام في صدره الأول ، ومنذ بزوغ فجر الإسلام ، نجد ان طريق الإصلاح الذي كفله الإسلام ــ من البداية مع حفنة صغيرة من العرب متمثلة في مجتمع قريش الصغير ،

---

(١) اخناتون : فرعون مصر (١٣٦٩ ــ ١٣٥٤) ق . م

من الأسرة ١٨ ابن امنحوب الثالث . بدأ حكمه باسم « أمنحوب الرابع » ثم غيره إلى اخناتون . وهو أول من نادى بوحدانية الإله فقال : إنّ الشمس واسمها « اتون » هي الإله . نادى بالصدق ودعا إلى الحق . مات ودفنت معه دعوة الوحدانية زوجه « نفرتيتي » (الموسوعة الثقافية ص / ٣٧) .

* * * ومن الواضح ان تعريف الموسوعة ليس دقيقا . فاخناتون بدعوته إلى عبادة الشمس كان مشركا لايدعو إلى الحق ولا ينادي بالصدق حسب مقاييس العقيدة الإسلامية .

(٢) في ظلال القرآن ٢ / ٨١١ ، ٨١٢ . سيد قطب .

(٣) مقالة أبي الحسن الندوي / مجلة البعث الإسلامي عدد (٥) صفر ١٤٠٣هـ . وانظر / فقه السيرة للبوطي / ص / ٣٢ .

وبالمدة المحدودة التي لا تعد شيئا بالقياس مع عمر الشعوب . وبالرغم من سوء الحالة الإجتماعية ، وما كان يعانيه المجتمع العربي قبل الإسلام من الفسق والفجور ، واكل بعضهم مال بعض بلا مانع ولا رادع . فقد كانت لدعوة الإسلام الأثر الكبير في النفوس ، اذ صنعت بفضل الله ثم بفضل دعوة النبي ﷺ من ذلك المجتمع الصغير المتفكك دولة كانت لها الريادة في قيادة العالم ، والصدارة في اصلاح الشعوب ، وكونت من ذلك الجيل نماذج فذة قلما تكررت في التاريخ ممن رباهم النبي ﷺ لا تتطاول إليها أعناق الأفذاذ ممن لم تخرجهم رسالة كرسالة الإسلام . فكان منهم أبو بكر الصدّيق وعمر وعثمان وعلي ، و ..... رضوان الله عليهم اجمعين والذين عجزت مدارس التربية والإصلاح أن تخرج أمثالهم لكنّها المدرسة القرآنية التي تعهدها رسول الله ﷺ .

وقد أكد القرآن الكريم بأن دعوة الإسلام هي وحدها التي انقذت المجتمع الجاهلي من الهلاك ، وأخرجته من الظلمات إلى النور .

يقول تبارك وتعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذْ كنتم أعداءاً فألّف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾[1] .

ويقول : ﴿ واذكروا إذْ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفهم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾[2] .

يقول الأستاذ محمد قطب : « لم يكن للعرب حضارة متميزة إلا

---

(١) آل عمران ١٠٣ .
(٢) الأنفال : ٢٦ .

بالإسلام ، ولم تكن الحضارة الإسلامية حضارة للعرب كجنس ، إنما كانت نتاج الإسلام ذاته من جميع العناصر المسلمة التي دخلت في الإسلام وهى تحمل طابع الإسلام لا طابع العرب ، الذين يكونون عنصرا واحدا من العناصر الكثيرة التي صنعت هذه الحضارة »[1] .

ولقد صور لنا الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب[2] حال المجتمع المشرك قبل بعثة النبي ﷺ وذلك عندما التقى بالنجاشي[3] ملك الحبشة في حادثة الهجرة الأولى .

قال جعفر بن أبي طالب مخاطبا النجاشي : « أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف

---

(١) جاهلية القرون العشرين ص / ٣٦ (الحاشية) .

(٢) جعفر بن أبي طالب ، الهاشمي . (ت : ٨ هـ) .
أبو عبد الله السيد الشهيد ابن عم النبي ﷺ وهو أخو الإمام علي بن ابي طالب .
هاجر الهجرتين ، وامره رسول الله ﷺ على غزوة مؤته فاستشهد .
(سير الإعلام ١ / ٢٠٦ و اسد الغابة ١ / ٣٤١ والإعلام للزركلي ٢ / ١٢٥)

(٣) اسمه اصمحة . معدود في الصحابة ، وكان ممن حسن اسلامه ولم يهاجر ، فهو تابعي من وجه وصحابي من وجه آخر . توفي في حياة النبي ﷺ وصلى عليه صلاة الغائب ، لأنه مات بين قوم نصارى ، ولم يكن من عنده من يصلي عليه .
(أسد الغابة ١ / ١١٩ والعبر ١ / ١٠ وسير الإعلام ١ / ٤٣٢) .

المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا .... »[1] .

أزمة العقل :

وأخيرا : فالعقل البشري يبقى في أزمته مالم يوجه الوجهة الصحيحة نحو ادراك حقيقة الوجود والغاية منها .

والمجتمع المشرك قبل بعثة النبي ﷺ سبحت بأفراده عقولهم فوق بحر التيه والضلال ، ولم ترتفع بهم إلى الأفق السامي بل اثاقلت إلى الأرض وعبدت تلك الحجارة الصماء . فهذا عمرو بن الجموح[2] « سيد قومه » كان يعبد صنما من الخشب سماه « مناة » وكان يطيبه ويطهره ، ولما اسلم فتيان من بني سلمة : معاذ بن جبل[3] ومعاذ بن عمرو بن الجموح[4] في فتيان منهم ممن اسلم وشهد العقبة . كانوا يدلجون في الليل على صنم عمرو فيحملونه ويطرحونه في بعض حفر بني سلمة ، وفيها عذر الناس ، ويجعلونه منكسا على رأسه ، فإذا اصبح عمرو قال : ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسّله وطهّره وطيّبه ، ثم قال : اما والله لو اعلم من فعل بك هذا لاخزينه . فاذا امسى ونام عمرو عدوا على صنمه وفعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ماكان

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٣٦ والبداية والنهاية ٣ / ٦٩ وسير الإعلام ١ / ٤٣٢ .

(٢) عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري .
صحابي جليل ، شهد بدرا واستشهد يوم احد . (اسد الغابة ٤ / ٢٠٦)

(٣) معاذ بن جبل بن اوس . (ت : ١٨هـ) .
العالم الرباني ، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي . شهد بيعة العقبة وهو ابن عشرة سنة أو دونها ، وشهد بدرا والمشاهد . وكان من نجباء الصحابة وفقهائهم ، توفي وكان عمره ٣٤ سنة . (تذكرة الحفاظ ١ / ١٩ والتهذيب ١٠ / ١٨٦) .

(٤) صحابي جليل شهد العقبة وبدرا . (اسد الغابة ٥ / ٢٠٢) .

بالأمس ، فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال : إني والله ماأعلم من يصنع بك ماترى ، فإن كان فيك خير فادفع عن نفسك فهذا السيف معك ، فلما أمسى ونام عدوا عليه ، وأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل والقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من اعذار الناس ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميّت ، فلما رآه وأبصر شانه ، وكلمه من أسلم من قومه ، أسلم وحسن اسلامه فقال حين أسلم وعرف من الله ماعرف وهو يذكر صنمه :

والله لو كنت إلٰها لم تكن أنت وكلبٌ وسط بئر في قرن
افّ لملقاك إلها مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذي انقذني من قبل أن اكون في ظلمة قبر مرتهن
باحمد المهدي النبي المؤتمن[1]

إذن فالعقل البشري يبقى في أزمته مالم يسطع عليه قبس من نور الله فيحيله إلى منارة في الأرض ، تستقبل نور السماء .

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾[2] .

ويذكر في ذلك ابن تيمية فيقول : (..... هذا طريق النجاة من

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٤٥٢ ، ٤٥٣ . والبداية والنهاية .
(٢) المائدة : ١٥ ، ١٦ .

العذاب الأليم والسعادة إلى دار النعيم ، والطريق إلى ذلك الرواية والنقل إذْ لا يكفي مجرد العقل بل كما ان نور العين لا يرى إلا مع ظهور نور قدامة[1] ، فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة . فلهذا كان تبليغ الدين من اعظم فرائض الإسلام ..... ، وكان معرفة ماأمر الله رسوله واجبا على جميع الأنام)[2] . لان ذلك وحده يحقق السعادة ويديم الأمن والأمان .

يصور الأستاذ يوسف القرضاوي طريق السعادة فيقول :

قل للذي يبغي السعادة هل علمت من السعيد
إنّ السعادة أن تعيش لفكرة الحق التليد
لعقيدة كبرى تحل قضية الكون العتيد
وتجيب عما يسأل الحير ان في وعي رشيد
من أين جئت ؟ وأين أذهب ؟ لم خلقت ؟ وهل أعود ؟
فيشيع في النفس اليقين وتطرد الشك العنيد[3]

---

(١) كان عالم البصريات المسلم « ابن الهيثم » قد كشف عن هذه الحقيقة العلمية .
(٢) الفتاوى ١ / ٦ .
(٣) شعراء الدعوة الإسلامية ٣ / ٤٢ احمد عبد اللطيف ، وحسني ادهم .

الفصل الثاني
(ماهية المعروف والمنكر)

إنّ كلمة المعروف عند الناس في معناها العام تطلق على الخُلق الحسن والأعمال الحسنة التي يتعين حسنها عند العامة ، كما ان المنكر يطلق على الطباع السيئة والأعمال الرذيلة التي يستنكرها عامة الناس .

فالمعروف : إسم لكل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع . وهو خلاف المنكر والصنيعة يسديها المرء إلى غيره[1] .

والمعروف والعارفة خلاف النكر ، والمعروف الجود ، وقيل : اسم ماتبذله وتسديه وحرك الشاعر ثانية فقال :

ان ابن زيد مستعملا للخير يعش مصره العرفا

والمعروف كالعرف . وقوله تعالى : ﴿ وصاحبهما في الدنيا معروفا ﴾[2] أي : مصاحباً معروفاً .

والمنكر : كل ماتحكم العقول الصحيحة بقبحه ، أو يقبحه الشرع ، او يحرمه أو يكرهه[3] . وهو خلاف المعروف[4] .

اما تعريفهما في اصطلاح الشرع :

كلمتا المعروف والمنكر في اصطلاح الشرع تحملان معانى واسعة

---

(١) المعجم الوسيط ٢ / ٥٩٥ .
(٢) لقمان : ١٥ .
(٣) المعجم الوسيط ٢ / ٢٩٥ .
(٤) لسان العرب ٧ / ٩٢ .

جدا ، ويدخل فيهما العائد والعبادات والأخلاق والمعاملات كلها . فحصرهما في ناحية من نواحي الحياة قضاء على سعتهما وشمولهما[1] .

فالمعروف : هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله ، والتقرب إليه والإحسان إلى الناس ، وكل ماندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالية : أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه[2] .

والمنكر ضد المعروف ، وكل ماقبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر[3] والمتبادر من المعروف الطاعات ، ومن المنكر المعاصي التي أنكرها الشرع[4] .

- وفي اتساع دائرة المعروف والمنكر يقول الأستاذ عبد القادر عودة :

« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدخل فيهما الأمر بكل ماأوجبت الشريعة عمله ، أو حببت للناس فعله من صلاة وصيام وحج وتوحيد وغير ذلك ، والنهي عن كل ماخالف الشريعة من أفعال وعقائد فيدخل فيه النهي عن التثليث وعن القول بصلب المسيح وقتله ، ويدخل فيه النهي عن الترهب ، وعن شرب الخمر ، وعن أكل لحم الخنزير ، وغير ذلك مما تخالف فيه الشريعة الأديان الأخرى »[5] .

---

(١) انظر / الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص / ٥٣ ، ٥٤ . جلال الدين العمري .
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٢١٦ ابن الأثير .
(٣) المصدر السابق ٥ / ١١٥ .
(٤) روح المعاني ٤ / ٢٨ .
(٥) التشريع الجنائي في الإسلام ١ / ٤٩٧ ، وانظر / الإسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه ص / ٤٦ .

وخلاصة القول :

المعروف : هو الخير الذي أمر الله الأمة الإسلامية العمل به ، والزمها بالدعوة إليه بقوله : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[1] .

ووصف به أنبياءه بقوله : ﴿ إنّهم كانوا يسارعون في الخيرات ... ﴾[2] .

المنكر : (هو كل اعتقاد أو عمل أو قول أنكره الشارع الحكيم ونهى عنه)[3] .

(الأصل في تقرير المعروف والمنكر)

والأصل في ذلك هو الكتاب والسنة . فالذي تقرره الشريعة الإسلامية وتستحسنه وتأمر به يجب أن يكون معروفا في نظر المسلمين . وإذا إستقبحت الشريعة أمرا ونهت عنه ، وحكمت عليه بأنه منكر فيجب أن يكون كذلك في نظر المسلمين .

أما إذا إكتشفت عقولنا فكرة وأعجبت الناس وراجت لديهم ، وإستحسنوها فلا يجوز أن نطلق عليها « معروفا » إلا إذا كان معروفا في عين الكتاب والسنة ، كذلك ما لا يعرفه الفرد ، ولا يحبه ، وما ليس بشائع مألوف في الناس لن يكون منكر مادامت الشريعة لا تحكم بكونه منكرا .

وقد يذكر العلماء شيوع عمل أو عدم شيوعه ، وإستحسانه أو عدم

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

(٢) الأنبياء : ٩٠ .

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ص / ٢٠ محمد ابو فارس .

إستحسانه بما يوهم أن لقبول المجتمع الإسلامي ورفضه دخلا في تعيين المعروف والمنكر مع الشريعة وهذا غير صحيح . ولا شك أن مايعرفه أهل الإيمان ويستحسنونه ندعوه معروفا ، وكذلك مالا يعرفونه ويستنكرونه ندعوه منكرا ، ولكن ليس ذلك لانه من حكم عقولهم وتجاربهم ، بل لان المومنين لايدعون عملا معروفا أو منكرا إلا في ضوء الكتاب والسنة ، ولما قررته الشريعة في ذلك[1] .

وأن « أصل المعروف كل ماكان معروفا ففعله جميل مستحسن غير مستقبح في أهل الإيمان ، وإنما سميت طاعة الله معروفا لانه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله ، وأصل المنكر ماأنكره الله ورأوه قبيحا فعله ، ولذلك سميت معصية الله منكرا لان أهل الإيمان يستنكرون فعلها ، ويستعظمون ركوبها »[2] .

والله ــ تبارك وتعالى ــ عندما وصف الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لم يقف عند هذا الحد ، بل جاء بالقاعدة التي تبنى عليها مهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهي الإيمان بالله « وتؤمنون بالله » .

وحقيقة الإيمان ترتكز على طاعة الله ، وطاعة رسوله ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾[3] .

وأمرنا عند التنازع رد الأمر إلى الله ورسوله ﴿ فإن تنازعتم في شيء

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص / ٥٧ ــ ٥٩ جلال الدين العمري .
(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٤ / ٤٥ .
(٣) آل عمران : ١٣٢ .

فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾[1] .

ذلك لأن الناس يختلفون في تصوراتهم للخير والشر ، وفي مقاييسهم للأمور ، وحكمهمَ على الشيء من وجهة نظرهم هم ، فقد يرى شيئاً صحيحاً ، غيره يرى عكس ذلك ، ويرى قوم أمراً وغيرهم يرون خلاف ذلك .

إذن : لابد من أصل ثابت منضبط تعود إليه الأطراف المتنازعة ويكون هو المصدر الوحيد الذي يحكم الناس ، ويقرر لهم معنى الخير والشر .

يقول ـــ تبارك وتعالى : ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾[2] .

وبذلك يجب أن نرضىٰ بالخير الذي تقره الشريعة وإن كان خلاف الأمر الذي نعتقده ، ونرفض الشر الذي حكمت عليه الشريعة الإسلامية ، بلا حرج في النفس أو ضيق في الصدر لأن عقول الناس قاصرة على إدراك الخير والشر .

ويقرر الله ذلك بقوله : ﴿ وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسىٰ أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [3]

ويقرر سيّد قطب في تفسيره فيقول : « لابد من الإيمان بالله ليوضح الميزان الصحيح للقيم ، والتعريف الصحيح للمعروف والمنكر ، فإن إصطلاح الجماعة وحده لايكفي ، فقد يعم الفساد حتى تضطرب الموازين

---

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) النساء : ٦٥ .
(٣) البقرة : ٢١٦ .

وتختل القيم ، ولابد من الرجوع إلى تصور ثابت للخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، وللمعروف والمنكر ، ويستند إلى قاعدة أخرى غير إصطلاح الناس في جيل من الأجيال »[1] .

لذلك نرى علماء الإسلام لم يحددوا « المعروف » بإصطلاح الحكمة والفلسفة والمنطق ، ولا في ضوء تقاليد عصورهم ؛ بل إستخدموا لذلك إصطلاحات وتعابير شرعية محضة . فالمعروف والمنكر عندهم يعبران عن طاعة الله وعصيانه ، والحلال والحرام والفرائض والنفل ، والمستحب والمكروه ، مما يدل على أن الشريعة هي التي تقرر المعروف والمنكر ، وهي التي تخبرنا بما يحبه الله ، وبما يكرهه ، وما هو حلال وما هو حرام ، وماهو واجب أو مندوب ، وما هو مكروه أو محظور[2] .

إذن لا يجوز لأيّ إنسان مهما بلغ أن يتقدم أو يتأخر ، أو يقترح أيّ اقتراح . فالخالق ــ سبحانه ــ وحده العليم بأحوال البشر ، ونبيه الكريم ﷺ لم ينطق عن الهوى ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحىٰ ﴾[3] وما على المؤمنين إلا أن يقولوا ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[4] لا أن يقدموا بين يدي الله ورسوله بتقريرهم للمعروف والمنكر بلا ضابط شرعي لانهم نهو عن ذلك ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله . إنّ الله سميع عليم ﴾[5] .

وحتى حب الشيء وبغضه في كونه معروفاً أو منكراً يجب أن يخضع لضابط شرعي . فلا نحب المعروف لكونه محبوباً مرغوباً ، ونبغض المنكر

---

(١) في ظلال القرآن ١ / ٤٤٧ .

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٩ ـ جلال الدين العمري .

(٣) النجم : ٣ ، ٤ .

(٤) البقرة : ٢٨٥ .

(٥) الحجرات : ١ .

لكونه مستقبحاً مذموماً ، بل قبل ذلك كله نحب المعروف لحب الله له ، ولأنه أمرنا بفعله ، ونبغض المنكر لبغض الله له ، ولأنه أمرنا بإجتنابه .

والأساس في ذلك هو حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه : « من أعطى لله تعالى ، ومنع لله تعالى ، وأحب لله تعالى ، وأبغض لله تعالى ، وأنكح لله تعالى ، فقد استكمل إيمانه »[1] .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك فيقول : « ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله ففيه نوع من التقدم على الله ورسوله ، ومجرد الحب والبغض هوى لكن المحرم منه اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله ، ولهذا قال الله لنبيه داود : ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ »[2][3] .

والفضيل بن عياض[4] يفسر حسن العمل كما في قوله تعالى ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾[5] فيقول : « أخلصه وأصوبه ، فإنّ العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا وصوابا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٣ / ٤٨٣ واللفظ له ، ورواه أبو داود في سننه ك / السنة ب / الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٥ / ٦٠ ، ورواه الترمذي في ب / صفة القيامة ٤ / ٧٨ .

(٢) سورة ص : ٢٦ .

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص / ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي . (ت : ١٨٧هـ) .
وهو أحد العلماء الأولياء ومن أكابرهم . ولد بخراسان ، وقدم الكوفة وهو كبير . وكان ثقة في الحديث . (الحلية ٨ / ٨٤ وتذكرة الحفاظ ١ / ٢٤٥ والبداية والنهاية ١٠ / ١٩٨) .

(٥) الملك : ٢ .

أن يكون على السنة »[1] .

(دليل مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

(١) من الكتاب :

١ ــ قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[2] هنا جعل الله الفلاح منوط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي الآية أمر من الله للقيام بهذه المهمة ، وصيغة الأمر « ولتكن » تدل على الوجوب . وللعلماء أقوال حول دلالة الآية ، هل أن « من » في قوله « منكم » للتبعيض أم للبيان كما في قوله : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾[3] وسياتي ذلك بتوسع إن شاء الله .

٢ ــ قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتومنون بالله ﴾[4] وفي الآية وصف الله الأمة الإسلامية بما وصف به رسوله الكريم ﷺ كما جاء في سورة الإعراف ، في قوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ... ﴾[5] .

وقد استحقت هذه الأمة تاج الخيرية ، ووسام الرفعة بين الأمم ، ذلك لانها ارتادت أضخم مهمة في الإصلاح ، فهي تأمر بالمعروف الذي أمر

(١) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابن تيمية ص / ٢٧ ، والبداية والنهاية ١٠ / ١٩٩ .
(٢) آل عمران : ١٠٤ .
(٣) الحج : ٣٠ .
(٤) آل عمران : ١١٠ .
(٥) الأعراف : ١٥٧ .

الله به ، وتنهى عن المنكر الذي نهى الله عنه بنطاقهما الواسع الشامل لجميع جوانب الحياة ، سواء على الصعيد السياسي أو الإجتماعي أو الإقتصادى . وعالجت مشاكل الحياة وفق منهج الله الذي لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن هنا كان مفترق الطريق بينهما وبين جماعات الإصلاح ، وجمعيات الخير في العالم . ولذلك نرد على من يدعي أن مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام إنما تتمثل بجانب الوعظ والإرشاد لنشر الفضائل الخلقية ، وتوجيه الناس إليها لانه « إنْ أريد بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الوعهظ الخلقي فقط فهناك جماعات مختلفة في العالم قامت ولا تزال قائمة بهذا العمل ، وهذا العصر الحديث الذي بلغ فيه الإنحلال الخلقي الغاية القصوى ، وقد تغيرت كثير من القيم الخلقية ، وتبدلت ، ولكن مع ذلك تدرس الأخلاق في كل مكان ، وتلقى فيها محاضرات ... وتولف فيها كتب ورسائل وتبذلْ كثير من المنظمات والمؤسسات جهدها لنشر الفضائل الخلقية وتوجيه الناس إليها ، فإن اشتغلت الأمة الإسلامية بهذا العمل كانت طائفة من الطوائف الكثيرة التي تسعى للاصلاح الخلقي في العالم ، وبهذا العمل وحده لامبرر لاعتبارها خير أمة من أمم العالم »[1] .

بل إن مهمة الأمة الإسلامية ، وحدود الواجب المناط بها أوسع بكثير ، إذ أنها تشمل كما ذكرنا جميع جوانب الحياة بكل أشكالها .

٣ ــ يقول تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور ﴾[2] .

(١) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ص / ٥٢ جلال الدين العمري .
(٢) الحج : ٤١ .

٤ ــ ومن صفات المؤمنين كما وصفهم ربهم بقوله : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾[١] .

٥ ــ وقوله تعالى : ﴿ فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾[٢] .

وقد ذكر القرآن الكريم في الآيتين السابقتين لهذه الآية حال أهل القرية الذين انقسموا إلى ثلاث فرق :

الأولى : تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

الثانية : سكتت مع عدم ارتكابها للمنكر .

الثالثة : ارتكبت ماحرم الله عليها من الصيد في يوم السبت .

وهنا في هذه الآية يصرح القرآن الكريم بنجاة فرقة واحدة من هذه الفرقث ، وهي الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ، ولم يذكر حال الفرقة الساكتة ، فإما أنهم أدرجوا مع الذين ظلموا ، أو أن القرآن سكت عنهم تهوينا لشأنهم[٣] .

٦ ــ وقد وبخ الله علماء اليهود والنصارى ــ الربانيون والأحبار ــ وذمهم لتقاعسهم وجبنهم عن أداء وظيفة الأمر والنهي . قال تعالى : ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون ﴾[٤] .

---

(١) التوبة : ٧١ .
(٢) الأعراف : ١٦٥ .
(٣) يرى سيد قطب : إن الحكمة من سكوت النص عنهم أنما هو تهوين لشأنهم .
(٤) راجع / في ظلال القرآن ٣ / ١٣٨٥ .
المائدة : ٦٣ .

وقد دلّت هذه الآية على أنّ تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر، وفيها توبيخ للعلماء على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [1].

٧ ــ قوله تعالى: ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمّة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ــ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ [2] فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسارعة في الخيرات.

من السنة:

١ ــ قوله ﷺ: « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » [3].

٢ ــ وقوله: « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا منه فتدعون فلا يستجيب لكم » [4].

وقوله: « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره. ثم أنها تخلف من بعدهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ١٣٧. الإمام القرطبي.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ك / الإيمان. كون النهي عن المنكر من

(٣) الإيمان. (صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ٢٧).

(٤) رواه أحمد في المسند من حديث حذيفة. انظر / الفتح الرباني ١٩ / ١٧٢، ١٧٣.

خلوف ، يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[1].

٤ — وروي عن ابن عمر[2] رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يأيها الناس مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر ، قبل أن تدعوا فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروا فلا يغفر لكم . إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا ، وأن الأحبار من اليهود ، والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء »[3] .

٥ — ويقول : « كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بالمعروف ونهي عن المنكر أو ذكر الله »[4] .

---

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود . ك / الإيمان ، كون النهي عن المنكر من الإيمان . (صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ٢٧) .

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب . (ت : ٧٣هـ) .

هو الصحابي الجليل والإمام القدوة ، أبو عبد الرحمن . أسلم صغيرا وهاجر ولم يحتلم وهو ممن بايع تحت الشجرة ، وكان من اتبع الناس لسنّة النبي ﷺ طلبه الإمام علي للإمارة فأبى ، وأراد المسلمون مبايعته فأبى .

(سير الإعلام ٣ / ٢٠٣ وتهذيب التهذيب ٥ / ٣٢٨) .

(٣) رواه الأصبهاني . (انظر / الترغيب والترهيب ٣ / ٢٣١) . والشطر الأول من الحديث رواه الترمذي بإسناده عن حذيفة بن اليمان ، أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » .

(سنن الترمذي ٤ / ٤٦٨ ، رقم الحديث ٢١٦٩ . وقال عنه : حديث حسن) .

(٤) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس . وأخرجه ابن ماجة والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان ، وقال عنه المنذري في =

٦ — وقام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال : يارسول الله أيّ الناس خير ؟ فقال ﷺ : « أقراهم وأتقاهم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرّحم »(١) .

٧ — وقوله : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر »(٢) .

٨ — وأخيراً قوله ﷺ : « أهل المعروف في الدنيا ، أهل المعروف في الآخرة »(٣) .

فإذا كان هذا التكريم لأهل المعروف وفاعليه ، فما بالك بمن يفعل المعروف ويدعو له . لا شك أن ثوابه أعظم ومنزلته أعلى .

الترغيب : رواته ثقات وفي محمد بن يزيد كلام قريب لايقدح ، وهو شيخ صالح . (انظر / تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٧ / ٩٣ ، ٩٤) أما الحافظ ابن حجر فحكم عليه بأنه مقبول وقد سقط [محمّد بن] قبل يزيد بن خنيس من د التحفة أمّا ابن حبان فيرى أنه ثقة وربما أخطأ .

(١) رواه أحمد واللفظ له . والطبراني . وقال عنه الهيثمي : رجاله ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر .
(انظر / مجمع الزوائد ٧ / ٢٦٣) .

(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . رواه الترمذي واللفظ له . (سنن الترمذي ٤ / ٣٢٢ ، رقم الحديث ١٩٢١) ، والطبراني ، وزاد : « ويعرف لنا حقنا » (انظر مجمع الزوائد ٨ / ١٤) ، وقال عنه الهيثمي : رواه أحمد والبزار بنحوه (انظر / كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي ٢ / ٤٠١ ، ك / الأدب ، ب / توقير الكبير ورحمة الصغير) .

(٣) من حديث أبي موسى الأشعري . رواه الطبراني في المعجم الصغير ١ / ٧٤ ، ٢٦٣ ، ورجاله وثقوا وفي بعضهم كلام لا يضر . (انظر مجمع الزوائد ٧ / ٢٦٣) وذكر الهيثمي طرقاً عديدة لهذا الحديث . وأورده أبو نعيم في الحلية ٩ / ٣١٩ .

الفصل الثالث

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(اتفقت الأمة الإسلامية كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم)[1] .

وقد أكد الله على وجوبهما في مواضع كثيرة من كتابه ، ونبيه الكريم ﷺ في أخبار متواترة عنه ، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه[2] كما اعتبره الخليفة العادل عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ شرط الله في الإنتماء إلى صفوف هذه الأمة فقال : « ياأيها الناس من سَرّه أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها »[3] واشار بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾[4]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من اعظم واجبات الشريعة الإسلامية ، وأصل عظيم من أصولها ، وركن شديد من أركانها ، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها[5]

والإمام الغزالي يبدأ الباب بقوله : « الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفضيلته والمذمة في إهماله وإضاعته ، ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه ، وإشارات العقول السليمة والآيات

---

(١) مقالة ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ١٧١ .

(٢) إحكام القرآن / أبو بكر الجصاص ٢ / ٤٨٦ .

(٣) روح المعاني للآلوسي ٤ / ٨ وفتح القدير ١ / ٣٨٢ وجامع البيان للطبري ٤ / ٤٣ .

(٤) آل عمران ١١٠ .

(٥) فتح القدير / الشوكاني ١ / ٣٦٩ وحاشية جامع البيان ١ / ٩٧ تعليق الغزنوي ط / باكستان .

والأخبار والآثار ...) [1] .

ويقول الشيخ محمد عبده [2] : « جملة القول : أن الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض حتم على كل مسلم كما تدل عليه الآية [3] في ظاهرها المتبادر ، وغيرها من الآيات كقوله تعالى : ﴿ كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ﴾ [4] .

وكذلك عمل الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين وكون هذا حفاظا للامة وحرزا ظاهرا فإن الناس إذا تركوا دعوة الخير وسكت بعضهم لبعض على إرتكاب المنكرات خرجوا عن معنى الآيات وكانوا افذاذا متفرقين لا جامعة لهم » [5] .

(خلاف العلماء في نوع الواجب)

والعلماء وإن اتفقوا على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أنهم إختلفوا في نوع الواجب ، أهو فرض عين ؟ ام فرض كفاية ؟ ، وكذلك فيمن يلزمهم هذا الواجب .

---

(١) إحياء علوم الدين ٢ / ٢٦٩ .

(٢) محمد عبدة بن حسن خير الله من آل التركاني . (١٢٦٦ — ١٣٢٣)هـ . مفتي الديار المصرية ، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام . ولد في « شنرا » (من قرى الغربية بمصر) وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ، ثم بالأزهر . كتب في الصحف ولا سيما « الوقائع المصرية » وتولى تحريرها . (الإعلام ٦ / ٢٥٢) .

(٣) آل عمران : ١٠٤ ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير .. ﴾

(٤) المائدة : ٧٩ .

(٥) تفسير المنار : ٤ / ٣٥ .

قال بعض العلماء[1] :

هو فرض عين على كل مسلم سواء وجد غيره أم لم يوجد ، ودليلهم في ذلك قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة ... ﴾[2] . وقوله ﷺ « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ... »[3] .

وقد فسروا قوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى ... ﴾ بأن معناها : كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر . وأما « من » فهي للتبيين لا للتبعيض كقوله تعالى ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾[4] ، ولهذا التفسير شاهد في اللغة ، كأن يقول الرجل للرجل : « أريد منك صديقا وفيا » فمراد الرجل هنا لايقتضي الجزئية إنما يريده كله أن يكون صديقا وفيا .

وقال الآخرون ــ وهم الجمهور[5] :

هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين . وكلمة « من » في الآية هي للتبعيض . أي : ليكن من هذه الأمة بعضها يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهذا يدل على أنه غير واجب على كل الأمة لاقتضائه البعض دون البعض فدل على أنه فرض كفاية[6] وهذا

---

(١) انظر / التفسير الكبير للفخر الرازي ٨ / ١٧٧ ، وتفسير المنار ٤ / ٢٦ ، ٢٧ وتفسير ابن كثير ١ / ٣٩٠ .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

(٣) سبق تخريجه ص / ٥١ .

(٤) الحج : ٣٠ .

(٥) يقول العلامة محمود الآلوسي : (إن العلماء اتفقوا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولم يخالف في ذلك إلا النزر) (روح المعاني ٤ / ٢١) .

(٦) انظر / الكشاف للزمخشري ٢ / ١٢٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢ / ٣٥ .

مايراه معظم المفسرين .

ويقرر البيضاوي[1] ماقرره هذا الفريق من العلماء ، ويعلل ذلك بقوله : « لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ، ولأن لا يصلح له كل أحد ، إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة ، كالعلم بالأحكام ، ومراتب الأحتساب وكيفية إقامتها ، والتمكن من القيام بها »[2] .

والإمام الغزالي يرى أنّ الآية فيها بيان انه فرض كفاية لأن الله لم يقل : كونوا كلكم آمرين بالمعروف ، بل قال : « ولتكن منكم أمة » وبذلك إذا قام به واحد من الناس أو جماعة ، سقط عن الباقين[3] .

وتوجيه الخطاب إلى الكل مع إسناد الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية ، وأنها واجبة على الكل ، بحيث إذا أقامها البعض سقطت عن الباقين ، ولو أخل بها الكل أثموا جميعا[4] .

وشيخ الإسلام ابن تيمية ، يقرر أن : « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن ، ولمّا كان الجهاد من تمام ذلك ، كان الجهاد أيضا من فروض الكفاية »[5] .

---

(١) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، ناصر الدين البيضاوي . (ت : ٦٨٥هـ) كان قاضيا ومفسرا ، وقد ولي قضاء شيراز مدة ، وصرف عن القضاء فرحل إلى تبريز فتوفي فيها . (البداية والنهاية ١٣ / ٣٠٩ والإعلام ٤ / ١١٠) .

(٢) تفسير البيضاوي ٢ / ٣٤ .

(٣) انظر / أحياء علوم الدين ٢ / ٢٦٩ .

(٤) تفسير أبو السعود ص / ٥٢٨ .

(٥) الحسبة في الإسلام ص / ٦٦ .

(تغيير الحكم حسب الظروف)

قد يصير حكم الإمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستحبا ، وقد يصير محرما في ظروف خاصة مثل : إذا لحق المرء من جرائه أذى جسيم في نفسه وأهله ، أو أقاربه أو أصحابه ، أو عموم المسلمين ، حتى ولو قدر زوال المنكر ، فهذا النهي يكون منهيا عنه لانه يفضي إلى منكر آخر أكثر ضررا هو الحاق الأذى بالآخرين .

كذلك يكون محرما إذا لم يكن من ورائه إلا وقوع الأذى الجسيم كالقتل أو هتك الأعراض دون أن يكون لعمله مصلحة أو أثر في زواله[1] .

يقول الإمام الغزالي : « فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت عن المنكر محذور . نعم إن كان لاينالهم أذى في مال أو نفس ، ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض »[2] .

ويقول الإمام القرطبي[3] : « أجمع المسلمون فيما ذكره ابن عبد البر[4] إن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه ، وأنه إذا لم

---

(١) انظر / أصول الدعوة ص / ١٦٦ ، ١٩١ عبد الكريم زيدان .

(٢) الإحياء ٢ / ٢٨٤ .

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري ، الخزرجي ، الأندلسي أبو عبد الله القرطبي . (ت : ٦٧١هـ) ، من كبار المفسرين ، له مؤلفات عديدة أهمها : الجامع لاحكام القرآن ــ عشرون جزءا ويعرف بتفسير القرطبي . (الإعلام للزركلي ٥ / ٣٢٢) .

(٤) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي . (ت : ٤٦٣هـ) . ولد بقرطبة ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها ، وهو من كبار حفاظ الحديث ، ومؤرخ وأديب وبحاثة ، يقال عنه حافظ المغرب . (الإعلام ٨ / ٢٤٠) .

يلحقه بتغييره إلا اللّوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإنّ ذلك لاينبغي ان يمنعه من تغييره ، فإن لم يقدر فبلسانه ، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك »[1] .

وإذا غلب على الظن وقوع الضرر لم يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن غلب على الظن عكس ذلك وجب . كمن غلب على ظنه عدم وجود الماء فعدل إلى التيمم[2] .

يقول الإمام النووي[3] : « ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه ، بل يجب عليه فعله ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقد قدمنا ان الذي عليه الأمر والنهي لا القبول ، وكما قال الله عز وجل : ﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ »[4][5] .

وقال في موضع آخر : ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ ﴾[6] .

خلاف العلماء فيمن يلزمهم هذا الواجب :

قال بعضهم : إن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة[7] . لان وضع هذا الأمر على عاتق الجاهل لن يؤدي إلى

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ٤ / ٤٨ .
(٢) إحياء علوم الدين ٢ / ٢٨٤ .
(٣) محي الدين أبو زكريا ، يحيى بن شرف النووي . (ت : ٦٧٦هـ) . مولده ووفاته في نوى — من قرى حوران بسورية — وإليها نسبته . تعلم في دمشق وأقام بها زمنا طويلا . توفي وكان عمره ٤٥ سنة (الإعلام للزركلي ٨ / ١٤٩) .
(٤) المائدة : ٩٩ .
(٥) شرح صحيح مسلم ٢ / ٢٣ .
(٦) الشورى : ٤٨ .
(٧) التفسير الكبير للفخر الرازي ٨ / ١٧٧ .

الإضرار التي يتوقعونها ولان الجاهل بطبيعة الحال لايامر ولا ينهى إلا ماهو ظاهر لا خلاف فيه كالأمر بالصلاة والصيام ، و .... والنهي عن الفاحشة والسرقة وغير ذلك[1] .

والمسلم لا يجهل مايجب عليه وقد أمر بالتفرقة بين المعروف والمنكر ، على أن المعروف عند إطلاقه يراد به ماعرفته العقول السليمة ، والمنكر ماأنكرته الطباع والعقول السليمة ، ولا يلزم في ذلك التضلع وقراءة أمهات الكتب التي يصعب على الكثير الإلمام بها ، وإنّما المرشد إليه ــ مع سلامة الفطرة ــ كتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر والعمل وهو مالايسع أحدا جهله ، ولا يكون المسلم مسلما إلا به ، وفرضيته آكد من فرضية الحج لان الله ــ تبارك وتعالى ــ لم يشترط الإستطاعة فيها دائما[2] .

والفريق الثاني من العلماء يرون : إن هذا الواجب لايلزم إلا القادرين عليه فقط كالعلماء[3] ، لأن هذا العمل يتطلب كفاءة عالية وخبرة في الدعوة إلى الله مع القدرة على تمييز الأمور ــ مايصلح منها وما لايصلح ــ وأن يفقه دعوته بثقوب فكر وحصافة راي . وهذا لايتحلى به إلا العالم القادر على أداء مهمته .

يقول الزمخشري[4] : « لا يصلح إلا لمن علم المعروف والمنكر ،

---

(١) انظر / التشريع الجنائي ١ / ٤٩٥ عبد القادر عوده .

(٢) بتصرف / تفسير المنار ٤ / ٢٧ كلام الشيخ محمد عبده .

(٣) انظر / التفسير الكبير ٨ / ١٧٨ .

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري . (ت : ٥٢٨هـ) من أئمة العلم والدين والتفسير واللغة والأدب . سافر إلى مكة وجاور بها مدة فلقب بـ « جار الله » . كان معتزلي المذهب ، مجاهدا شديد الإنكار على المتصوفة ، وأكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره . (لسان الميزان ٦ / ٤ والإعلام ٧ / ١٧٨) .

وكيف يرتب الأمر في إقامته ، وكيف يباشر ، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر ، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه ، فنهاه عن غير منكر ، وقد يغلظ في موضع اللين ، ويلين في موضع الغلظة ، وينكر على من لايزيده إنكاره إلا تماديا أو على من الإنكار عليه عبث »[1] .

ودليل القائلين بأن التكليف خاص بالعلماء له وجهان :

الأول : إن الآية القرآنية ﴿ ولتكن منكم أمة .... ﴾ مشتملة على الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومعلوم أن ذلك مشروط بالعلم فالجاهل ربما دعا إلى الباطل ، وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف .

الثاني : بما أن الأمر فرض كفاية فكان في الحقيقة إيجابا على البعض وهم العلماء لا على كل الناس[2] .

والذي يترجح لي ـــ والله أعلم ـــ أنه من الأولى أن يقوم بهذه المهمة علماء الأمة ، القادرين على أداء واجبهم ، فذلك أنفع للامة وأجدر ، وحتى لايكثر العبث بطريق الدعوة إلى الله ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾[3] .

أما إذا أنتشر المنكر وأستشرى في الأمة ، وعم الفساد ، ولم يتمكن علماء الأمة وحدهم من مواجهة المنكر وإزالته ، إنتقل الواجب إلى كل فرد من أفراد الأمة ، بأن يقوموا مع علمائهم في دفع المنكر وإزالته ، على شرط

---

(١) الكشاف ١ / ٢٢٤ .
(٢) انظر / التفسير الكبير للفخر الرازي ٨ / ١٨٧ وتفسير أبو السعود ص / ٢٥٨ .
(٣) يوسف : ١٠٨ .

أن الذي يتقدم الصفوف ، ويحمل الراية هم العلماء ، وعامة الناس تبع لهم يشدون من أزرهم ، ويقوون عزيمتهم ، وذلك حتى لايهدم صرح الإسلام وينتشر وباء الباطل بين أفراد الأمة . فالمؤمنون كلهم سور يحمي صرح الإسلام ، وعلى كل فرد أن يمسك ثغره ، ويحرص أن لايوتى الإسلام من قبله .

قال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله . أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾[1] .

---

(١) التوبة : ٧١ .

الفصل الرابع

(تقسيمات تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

(١) درجات إنكار المنكر :

يقسم ابن القيم[1] إنكار المنكر إلى أربع درجات :

الأولى : أن يزول المنكر ويخلفه ضده . وحكمه مشروع .

الثانية : أن يقل وأن لم يزل بجملته . وحكمه مشروع .

الثالثة : أن يخلف ماهو مثله ، وهذا موضع أجتهاد .

الرابع : أن يخلف ماهو شر منه . وحكمه حرام .

وقد أوضح ابن القيم ذلك بضرب بعض الأمثلة ، فيقول :

* إذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ماهو أحب إلى الله ورسوله ، كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك .

* وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب ، أو سماع مكاء وتصدية[2] ، فإن نقلتهم إلى طاعة الله فهو المراد ، وإلا كان تركهم على

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله . (ت : ٧٥١هـ) من أركان الإصلاح الإسلامي ، وأحد كبار العلماء ، مولده ووفاته في دمشق ، وهو تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأنتصر له ولآرائه ، وهذب كتبه ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق وأطلق بعد وفاته . (البداية والنهاية ١٤ / ٢٣٤ والنجوم الزاهره ١٠ / ٢٤٩ والإعلام ٦ / ٥٦) .

(٢) المكاء والتصدية : التصفير والتصفيق . قال ابن عباس : كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفقون ويصفرون . (انظر صفوة التفاسير ١ / ٥٠٣) .

ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك .

* وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها ، وخفت من نقله عنها إنتقاله إلى كتب البدع والضلال فدعه وكتبه الأولى .

ويروي ابن القيم ماسمعه من شيخه ابن تيمية فيقول : مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله والصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال منهم[1] .

وموقف ابن تيمية هذا يُعدّ منهجا رائعا في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه نظر إلى المفاسد التي تترتب على إنكار الرجل ، فرأى أن صرف هؤلاء عن منكرهم يؤدي إلى الضرر بمصلحة المسلمين ، وانتهاك حرماتهم ، فمنع الرجل من القيام بواجب الإنكار عليهم .

(**أنواع الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر**) :

أولا : أرباب القلوب والعزائم أخذا بقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ﴾[2] ، وهم المقصودون بقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[3] ، وهم الصابرون أخذا بقوله تعالى : ﴿ وكأي من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وماضعفوا وما استكانوا ﴾[4]

---

(١) انظر أعلام الموقعين ٣ / ٤ ، ٥ ابن القيم .

(٢) آل عمران : ١٨٧ .

(٣) آل عمران : ١١٠ .

(٤) آل عمران : ١٤٦ .

ثانيا : قوم من أهل العلم والعمل ، متلبسون بكريم الخلق ، تاركون لما كره الله لاتأخذهم في الله لومة لائم ، لكن فيهم حدة وصلابة في التغيير ، ففاتهم الرفق الواجب في الأمر والنهي ، فكانوا دون من قبلهم .

ثالثا : علماء بما يأمرون وينهون ، لكنهم غافلون عن الأفات المفسدة للامر والنهي فيغلب عليهم سوء الظن بالمسلمين .

رابعا : قوم صلحاء أخيار ، ولكنهم لايعرفون قواعد الأمر والنهي ، ومنهم من يكون رفيقا صبورا على الأذى سرا وجهرا ، ومنهم من يأمر وينهى بمقتضى الغيرة ولكنهم لايصبرون .

خامسا : العامة الذين رزقوا حظا من القبول عند الناس ، يخطبون في الأمر والنهي على غير علم ، فيفسدون أكثر مما يصلحون .

سادسا : وهم في الجهل كسابقيهم إلا أنهم غافلون عن كل مايأمرون ، وينهون مقارفون للمعاصي .

سابعا : دون من قبلهم وأخس ، لانهم نصبوا أنفسهم للامر والنهي رياء وسمعة واكتسابا للمحامد والرفعة ، وتزينوا بزي الصالحين وأخذوا زينتهم وسيلة لنيل مآربهم .

ثامنا : ليس لهم نية ثابتة صحيحة ، فهم يأمرون الضعفاء ويضعفون عن الأقوياء مع قدرتهم ، ويحابي بعضهم الأصحاب وذوي الهيئات لغرض شيطاني مذموم[1] .

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص / ٤٨ . لأبي بكر الخلال .

مراتب تغيير المنكر :

الأولى : « باليد » :

ولو بإستعمال القوة أو السلاح ، والإستعانة بالغير في دفع المنكر ، ويدخل في نطاق التغيير باليد سجنه ودفعه لمنعه عن مباشرة المنكر .

الثانية : « باللسان » :

ويتم ذلك عن طريق تعريف الناس بالحكم الشرعي لفعله أو تركه ، فقد يرتكب الناس المنكر لجهلهم بالحكم ، أو عن طريق الوعظ والإرشاد ، والنصح والتخويف من عذاب الله . وقد يقلع العاصي عن معصيته إذا سمع نصح الناصح ، ووعظ الواعظ ، أو يتم بالقول الغليظ والتقريع والتعنيف لعل ذلك يكون له الأثر الكبير في ردع الناس عن إرتكاب المنكر .

والتغيير باليد أو باللسان يجب بالقدرة عليه بشرط أن يأمن المرء على نفسه من الضرر والأذى ، كما يأمن على غيره من المسلمين ، فلا يجوز له هلاك نفسه أو غيره[1] .

الثالثة : « بالقلب » :

ويكون عند عدم الإستطاعة ـــ لا باليد ولا باللسان ـــ فيجب عليه هجران أصحاب المنكرات وعدم مخالطتهم ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾[2] .

---

(١) انظر/أصول الدعوة . عبد الكريم زيدان ص ١٨٩ ، ١٩٠ .
(٢) الأنعام : ٦٨ .

ويوضح الرسول الكريم ﷺ حال بني إسرائيل عندما دخل النقص عليهم فيقول : « إن أول مادخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : ياهذا اتق الله ودع ماتصنع به فإنه لايحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم ﴾[1] ثم قال : « كلّا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرونه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعننكم كما لعنهم »[2] .

والإنكار بالقلوب لايجوز لأي مسلم أن يخلوا منه ، لأن ذلك أدنى وأضعف درجات الإيمان .

قيل لابن مسعود[3] من ميت الأحياء ؟ فقال : الذين لايعرف معروفا ولا ينكر منكرا[4] .

---

(١) المائدة : ٧٨ – ٨١ .

(٢) رواه أبو داود واللفظ له ٢ / ٤٣٦ ، وقريبا من هذه الرواية روى الترمذي في سننه ٤ / ٤٦٧ رقم الحديث ٢١٦٨ ، ورواه الإمام أحمد في مسنده كما في الفتح الرباني ١٩ / ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي . (ت : ٣٢هـ) . صحابي جليل . من أكابرهم فضلا وعقلا ، وقربا من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة ، وأول من جهر بالقرآن الكريم بها . ومن السابقين إلى الإسلام . وكان خادم الرسول ﷺ ورفيقه . (صفة الصفوة ١ / ١٥٤ والحلية ١ / ١٢٤ والأعلام ٤ / ١٣٧) .

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٨ لابن تيمية .

وعندما تكلم يحيى بن معاذ الرازي[1] يوما في الجهاد وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قالت له إمراة : هذا واجب وضع عنا ، فقال : هبي أنه قد وضع عنكن سلاح اليد واللسان ، فلم يوضع عنكن سلاح القلب . فقالت له : صدقت جزاك الله خيرا[2] .

وهنا نودّ الإشارة إلى أن بعض العلماء ذهبوا إلى أنّ المرأة تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تفعل ذلك .

وقد نقلت روايات تدل على أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر . من ذلك أنها رأت إمرأة بين الصفا والمروة عليها خميصة من صلب ــ أي ثوب عليه خطوط متصالبة ــ فقالت عائشة : « أنزعي هذا من ثوبك فإنّ رسول الله ﷺ إذا رآه في ثوب قضبه »[3] .

ورأت أخاها عبد الرحمن يسرع في الوضوء ليدرك صلاة الجنازة على سعد بن أبي وقاص فقالت : ياعبد الرحمن أسبغ الوضوء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ويل للأعقاب من النار[4] .

وأوصت النساء بقولها : « مُرْنَ أزواجكنّ أن يستطيبوا بالماء فإنّي استحييهم فإن رسول الله ﷺ كان يفعله »[5] .

---

(١) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، واعظ زاهد لم يكن له نظير في وقته من أهل زمانه ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة ، أقام ببلخ ، ومات في نيسابور سنة ٢٥٨هـ . (طبقات الصوفية ص ١٠٧ ، وسير الأعلام ١٣ / ١٥ ، والحلية ١٠ / ٥١) .

(٢) أعلام الموقعين لابن القيم .

(٣) مسند أحمد ٦ / ٢٢٥ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه .

(٥) رواه النسائي والترمذي .

وأخيرا هذه مراتب إنكار المنكر ، وترتيبها حسب ماذكر في الحديث ، لكن والله أعلم لعلّ الترتيب الوارد في الحديث هو من ناحية القوة ، لا من ناحية المنهج والأسلوب . لان بيان المنكر وحكمه لابد منه أولا ، وهذا يتم بالبيان واللسان ، فقد يجهل فاعل المنكر حكمه . أما إذا علم حكمه وأصر بعد النصيحة والتوجيه ، وأظهر إستمراره في غيه فهذا دواءه قوة السنان لا قوة اللسان .

الفصل الخامس

أهم القواعد التي تبنى عليها مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولا : العلم :

لابد من العلم بحقيقة المعروف للدعوة إليه ، وبحقيقة المنكر للنهي عنه ، إذ لا يمكن العمل بهما مع الجهل بحقيقتهما والأحكام المتعلقة بهما . وقد أوصى الله تبارك وتعالى بالعلم قبل العمل ، فقال : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾[1] . كما أوصى نبيه الكريم ﷺ أن يبين للناس طبيعة دعوته : ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾[2] .

فالسبيل : هي الدعوة إلى الله ، وأساسها : البصيرة في الأمر ، والبصيرة : هي العلم بأحوالها .

جاء عن بعض السلف أنه قال : (لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به ، فقيها فيما ينهي عنه)[3] .

والداعية ــ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ــ أشبه بالطبيب ، إلا أن مجال إختصاصه أدق ، وعمله أعظم . فهو يصلح القلوب الخربة ، ويحي الضمائر الميتة .

ولكي يعالج الداعية أمراض المجتمع وإنحرافاته فلابد له من العلم بـ :

١ ــ أصل الداء أو المرض .

---

(١) محمد : ١٩ .

(٢) يوسف : ١٠٨ .

(٣) أصول الدعوة ص ٤٦١ عبد الكريم زيدان .

٢ ــ طبيعته وأعراضه وأسبابه .

٣ ــ الدواء الناجح لعلاجه .

وبذلك يستطيع أن يحدد الداء والدواء ليصل إلى الغاية المرجوة بأقصر طريق .

ثانيا : الرفق والرحمة :

من الواجب على الآمر والناهي أن يكون قلبه ممتلئا بالرافة والرحمة تجاه المسلمين وفي ذلك مدعاة لالتفاف الناس من حوله ، والإلتزام بأقواله والتأسي بأفعاله .

يقول ــ تبارك وتعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾[1] .

كذلك خاطب عباده المؤمنين بقوله : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[2] .

وحينما الزم الله موسى وهارون ــ عليهما السلام ــ بالذهاب إلى فرعون ــ طاغية مصر وجبارها ــ أمرهم أن يخاطبوه باللين عسى أن يكون هذا الأمر مدعاة لهدايته .

قال تعالى : ﴿ إذهبا إلى فرعون أنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾[3]

فبأية سماحة ولين يتفضل الله بهما على عباده . فهذا فرعون الذي

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

(٣) طه ٤٣ ، ٤٤ .

أعلنها من قبل أمام الأشهاد « أنا ربكم الأعلى »[1] ، تكبرا وتجبرا على الله الذي هو خالقه وخالق كل شيء ، ومع هذا يأمر الله موسى وأخيه أن يلينا له القول رجاء أن يتذكر أو يخشى . ثم أن موسى عليه السلام قال له قولا لينا ﴿ هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾[2]. وقال له : ﴿ أنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾[3] وفي هذا القول اللين تحذير لطيف من موسى عليه السلام .

وإذا كان الله قد أمر موسى ـ عليه السلام ـ بالقول اللين والتلطيف بالخطاب فإن القائل باللين ليس بأفضل من موسى ، والمقول له ليس بأخبث من فرعون[4] .

وقد ورد هذا المعنى في استدلال المامون عندما وعظه رجل وعنف له في القول فقال : يارجل أرفق ، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني ، وأمره بالرفق ، قال تعالى : ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾[5] .

والنبي ﷺ حث على التوفق في الأمر كله ، فقال : « الرفق لايكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شأنه »[6] .

وفي رواية : « ماكان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا العنف في شيء إلا شأنه »[7] . وفي محبة الله للرفق ، قال ﷺ : « ياعائشة أن الله يحب

---

(١) النازعات : ٢٤ .
(٢) النازعات : ١٩ .
(٣) طه : ٤٨ .
(٤) أصول الدعوة ص ٤٦٢ .
(٥) إحياء علوم الدين ٢ / ٢٩٣ .
(٦) رواه مسلم في ك / البر ب / الرفق ٤ / ٢٠٠٤ (صحيح مسلم . ت / محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث) .
(٧) ذكره ابن تيمية / الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٩ .

الرفق ، ويعطي على الرفق مالا يعطى على العنف ، وما لايعطي على سواه »[1] .

ومما سبق يظهر لنا أن هذا الأمر لازم على كل مسلم ، وأخص منهم الداعين إلى سبيل ربهم ، وواجب عليهم الأخذ به ، وبخلاف ذلك تحدث البغضاء والكراهية ويحجب عن قبول الحق فلا يتحقق المراد .

ثالثا : النظر إلى المصالح والمفاسد .

بأن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يفقه المصالح الحاصلة من أمره ونهيه ، والمفاسد الناتجة عن ذلك .

١ ـــ إن حصلت مصلحة أعظم من المفسدة وجب الأمر والنهي عليه .

٢ ـــ إن كانت المفسدة أعظم من المصلحة لم يجب عليه بل قد يحرم .

٣ ـــ إذا حصل التساوي والتكافؤ بين المعروف والمنكر لم يؤمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر لان درء المفاسد أولى من جلب المنافع .

٤ ـــ اختلاط المعروف بالمنكر . عند ذلك يدعى إلى المعروف دعوة مطلقة ، وينهى عن المنكر نهي مطلق . هذا من جهة نوع المعروف ، ونوع المنكر ، أما في الفاعل الواحد ، والطائفة الواحدة ، فإنه يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها ، ويحمد محمودها ويذم مذمومها بحيث لايتضمن الأمر بالمعروف فوات معروف أكبر منه أو حصول منكر . ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول ماهو أنكر منه أو فوات معروف أكبر منه[2] .

---

(١) رواه مسلم في ك / البر ، ب / الرفق ٤ / ٢٠٠٤ .

(٢) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص ١٩ ـــ ٢٣ ، وأصول الدعوة . عبد الكريم زيدان ص ٤٦٢ ـــ ٤٦٤ .

رابعا : الإستطاعة :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر المستطاع ، والله ــ سبحانه ــ كلف عباده على حسب طاقتهم وتحملهم ، ولا يكون التكليف فوق ذلك ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت ﴾[1] ، وقوله : ﴿ فاتقوا الله مااستطعتم ﴾[2] . وليس من الواجب إيصال الأمر والنهي إلى كل فرد ، أو إلى كل مكان ، بل هو على قدر المستطاع .

رفع الإلتباس عن تفسير قوله تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا إهتديتم ﴾[3]

يخطىء الكثير من الناس في تفسير الآية حيث يجعل مرادها لزوم خاصة النفس وتربيتها ، ثم لا عليه بما يدور حوله من فساد وإنحراف ، ويظن أن ذلك هو الإهتداء .

ويبدو أن أصحاب هذا الرأي حاولوا أن يثبطوا الهمم ، ويثنوا العزائم ، ويدعوا إلى التقاعس والتكاسل عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

يقول أبو بكر الجصاص : « وليس التأويل على مايظن هذا الظان لو تجردت هذه الآية عن قرينة وذلك لانه قال : « عليكم أنفسكم » يعني : احفظوها لا يضركم من ضل إذا إهتديتم ، ومن الإهتداء إتباع أمر الله في

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .
(٢) التغابن : ١٦ .
(٣) المائدة : ١٠٥ .

أنفسنا وفي غيرنا ، فلا دلالة إذا على سقوط فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[1] .

ويحكم الزمخشري على تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع القدرة عليهما إنه ليس بمهتد ، وإنما هو بعض الضلال الذي فصلت الآية بينهم وبينه[2] .

والمؤمنون كلهم وحدة متكاملة قائمة على العقيدة الإسلامية ، وهم حزب الله الواحد ﴿ إلا أن حزب الله هم المفلحون ﴾[3] ، وهذا الحزب الذي وصفه الله بالفلاح هم ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ﴾[4] ، وهم الذين يجاهدون في سبيله ولا يخافون في الله لومة لائم . وهناك أحزاب أخرى غير حزب الله ، وهم الذين كفروا وهؤلاء لهم غايات وأهداف ، يفصح عنها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾[5] ، وهذا هو الحد الفاصل بين حزب الله وحزب الشيطان . فلا يقوم بينهما ولاء ، ولا تضامن أو محبة . ذلك لأن العقيدة تباعدت والقيم إختلفت ، والنهايات تغايرت ، فالأولى لابد أن ترسو وتثبت ، والثانية لابد أن تجتث من فوق الأرض ، ثم لايكون لها قرار أو استقرار .

وعلى أصحاب الحق أن يضاعفوا الجهد في إصلاح نفوسهم ، ثم في إصلاح جماعتهم حتى ينشا المجتمع المسلم المترابط والمتماسك على أساس العقيدة الإسلامية ، وعلى أساس المحبة في الله والوفاء لعهده .

---

(١) إحكام القرآن ٢ / ٥٩٢ .
(٢) الكشاف ١ / ٣٨٦ .
(٣) المجادلة : ٢٢ .
(٤) النساء : ٧٦ .
(٥) النساء : ٧٦ .

ثم تأتي المرحلة الثانية ــ وهي مقارعة الباطل ــ بعد التهيؤ والأعداد « فقاتلوا أولياء الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفا »[1] .

وهذا كله لايتم إلا وفق التصور الصحيح لكتاب الله ، بل أن الإهتداء الذي ورد في الآية لايتم إلا ــ كما قال ابن تيمية ــ « بإداء الواجب ، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضلال »[2] .

وأن من أوجب الواجبات الجهاد في سبيل الله ، وتبليغ دعوة الله ﴿ ياأيها الرّسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾[3] . فبدون دعوة الله لاتصل شريعته إلى الناس ، ولا يتحقق مراده في عباده .

وهذا الفهم الخاطىء الذي دخل عقول بعض الناس في عهد أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ هو الذي دفع الخليفة أبابكر الصديق أن يجمع الناس ، ويصعد المنبر فيقول : « ياأيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية » ﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ وأني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه »[4] .

« وهكذا صحح الخليفة الأول ماترامى إلى وهم بعض الناس في زمانه

---

(١) النساء : ٧٦ .

(٢) الحسبة في الإسلام ص ٦٢ .

(٣) المائدة : ٦٧ .

(٤) رواه أبو داود في سننه ك / الملاحم ب / الأمر والنهي ٤ / ٥١٠ ، ورواه الترمذي في الجامع . أبواب الفتن ، ب / ماجاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ٣ / ٣١٦ رقم الحديث ٢٢٥٧ ، ورواه أيضا في تفسير سورة المائدة ، وقال عنه : حديث صحيح ورواه أحمد في مسنده ١ / ٢ ط / بيروت .

هذه الآية الكريمة ونحن اليوم أحوج إلى هذا التصحيح ، لأن القيام بتكاليف التغيير للمنكر قد صار اشق ، فما أيسر مايلجأ الضعاف إلى تأويل هذه الآية على النحو الذي يعفيهم من عنت الجهاد وويلاته .

وكلا والله أن هذا الدين لا يقوم إلا بجهد وجهاد ، ولا يصلح إلا بعمل وكفاح ، ولا بد لهذا الدين من أهل يبذلون جهدهم لرد الناس إليه ، وأخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ولتقرير الوهية الله في الأرض ، ولرد المغتصبين لسلطان الله عما أغتصبوه من هذا السلطان ، ولاقامة شريعة الله في حياة الناس وإقامة الناس عليها . لا بد من جهد بالحسنى حين يكون الضالون أفرادا ضالين يحتاجون إلى الإرشاد والإنارة ، وبالقوة حين تكون القوة الباغية في طريق الناس هي التي تصدهم عن الهدى وتعطل دين الله أن يوجد ، وتعوق شريعة الله أن تقوم . وبعد ذلك تسقط التبعة عن الذين آمنوا ، وينال الضالون جزاءهم من الله حين يرجع هؤلاء وهؤلاء إلى الله ﴿ إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ »[1][2] .

والنبي ﷺ أوضح معنى الآية كما جاء في رواية أبي ثعلبة الخشني[3] قال : سألت عنها رسول الله ﷺ فقال :

« بل ائتمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة ، وأعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمرا لا يدان لك به فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام ، فإن من ورائك أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن كأجر خمسين رجلا

---

(١) المائدة : ١٠٥ .

(٢) طريق الدعوة في ظلال القرآن ص ١٥١ . جمع وأعداد : أحمد فائز .

(٣) صحابي جليل . وقد اختلف في اسمه ولا يكاد يعرف إلا بكنيته . روى عدة أحاديث ، وله من معاذ بن جبل ، وأبي عبيدة . توفي سنة ٧٥هـ (طبقات ابن سعد ٧ / ٤١٦ والإستيعاب ٤ / ٢٧ — في حاشية الإصابة — والإصابة ٧ / ٥٨) .

يعملون مثل عمله »[1] .

إذن : المراد من الآية ليس ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فليس من الإهتداء تركهما مع القدرة عليهما ، بل ذلك فيه شيء من الضلال الذي إشارت إليه الآية . ولا يتوهم البعض إن في الآية رخصة في تركهما مع الإستطاعة ، بل إن من جملة الإهتداء هو إنكار المنكر[2] .

---

(١) رواه الترمذي في الجامع ٤ / ٣٢٣ . وفي تفسير سورة المائدة ، رقم الحديث ٥٠٥١ وقال عنه : هذا حديث حسن غريب . ورواه ابن ماجة في سننه ك / الفتن ، ب / قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ ٢ / ١٣٣٠ ، ١٣٣١ . ورواه ابن حبان في صحيحه ، موارد الظمآن للهيثمي ص / ٤٥٨ ، ورواه أبو داود في سننه ك / الملاحم ب / الأمر والنهي ٤ / ٥١٢ .

(٢) للاستزادة انظر .

١ ــ إرشاد العقل السليم ٤ / ١١٩ ، ٢٠٠ .

٢ ــ مدارج السالكين ب / الغربة ، قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » ٣ / ١٩٨ ، ١٩٩ .

٣ ــ تذكرة الدعاة للبهي الخولي ص ٢٢٢ .

٤ ــ أصول الدعوة ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

٥ ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبد الرحمن عبد الله المقبط ص ٢٤ ــ ٢٨ .

الباب الثاني

منهج العلماء مع الحكام

ويشتمل على :

١ ــ **تمهيـــد** .
٢ ــ **الفصل الأول** : الدخول على الحكام .
٣ ــ **الفصل الثاني** : إلتزام الصدق ، والجرأة في الحق .
٤ ــ **الفصل الثالث** : محاسبة العلماء للحكم .
٥ ــ **الفصل الرابع** : تقديم العلم على حظوظ النفس .
٦ ــ **الفصل الخامس** : الحكمة البالغة مع حسن التصرف .
٧ ــ **الفصل السادس** : الكتابة إلى الحكام .

تمهيـــــد :

هذا الموضوع من أبرز المواضيع المناطة بمصير الأمة الإسلامية ومستقبلها ، خاصة وقد سجل التاريخ الإسلامي مواقف وبطولات لعلمائنا الأماجد مع حكامهم ، والتي أشرقت على الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل .

والذي يقرا مواقف العلماء مع حكامهم يجد الكثير منها ــ وخاصة مواقف علماء السلف ــ تحمل غلظة شديدة في الكلام ، وإنكاراً على كل ذنب إقترفوه ، ثم محاسبتهم على كل صغيرة وكبيرة . ومن جهة أخرى كانوا يصفونهم بالظلم والجبروت ، وبشيء من الإبتعاد عن شريعة الله التى إسترعاهم عليها ، وأمرهم أن يديروا بها حكمهم ويرعوا من خلالها مصالح العباد .

وهنا أريد أن أرفع الألتباس الذي كثيرا مايدفع الناس إلى إساءة الظن بحكام الدول الإسلامية وخلفائها ، بل يتجاوز الأمر إلى السب والشتم ، وإلصاق التهم التى ماأنزل الله بها من سلطان .

أقول : وأن كان قد وقع من بعض الحكام ذلك إلا إنه قد حصل بهم من الخير الكثير للمسلمين مالم يحصل مثله لمن جاء بعدهم .

يقول الشيخ عبد العزيز البدري[1] ــ رحمه الله : « .... وهؤلاء الحكام الذين عاصروا علماءنا ، ماكانوا يكرهون الإسلام ، ولا يستكبرون

---

(١) عالم من علماء العراق ، ولد في سامراء ، وإقام ببغداد . من كتبه المطبوعة : « الإسلام حرب على الإشتراكية والرأسمالية » و « الإسلام بين العلماء والحكام » و « الإسلام ضامن للحاجات الأساسية » توفي ببغداد سنة ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م . (الإعلام ٤ / ١٥ ومعجم المؤلفين العراقيين ٢ / ٢٨٤ وتاريخ علماء بغداد ص ٣٩٤ . يونس إبراهيم) .

عن حكمه وتحكيمه بل كانوا يطبقونه ويرعون شؤون المسلمين على أساسه ، وأعلنوا الحرب على أعدائه ودافعوا عن بيضة المسلمين ، وحموا حمى الإسلام . ولكن مع ذلك فقد نالت الدنيا من بعضهم بعض الشيء ، فحملهم على إتباع الهوى في بعض الأمور حرصهم على الحكم والسلطان . وما أعظم فتنة الحكم والسلطان !! فلم يخل من مظالم بارزة وسيئات ظاهرة جعلت العلماء يقفون في وجوههم منكرين عليهم تلك المظالم عاملين على رفع تلك السيئات بذلك ، وقالوا عنهم ماقالوا ... ، لان العلماء أرادوا منهم ان يكونوا على مثل ماكان عليه الخلفاء الراشدون . إذ هو المطلوب شرعا من كل حاكم مسلم في كل زمان »[١] .

وعن طريق استعراض مواقف العلماء مع الحكام تجد هناك بعض الاختلافات فيها ويرجع ذلك لاسباب عديدة منها :

١ ــ اختلاف الفترة الزمنية ، حيث ان لكل فترة طابعها الخاص بها .

٢ ــ اختلاف طبيعة الحكام ، ومدى التزامهم بالشرع .

٣ ــ اختلاف طرق واساليب العلماء ، من حيث الشدة واللين ، والحزم والتساهل .

وبالرغم من هذه الاختلافات إلا ان هناك أصولا وأساليب مشتركة ومتشابهه اعتمدها العلماء في دعوتهم مع الحكام .

قال الحارث المحاسبي[٢] : « والاصل الذي بنوا به طريقتهم ، التزام

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) الحارث بن اسد المحاسبي البصري المولد ، البغدادي المنزل . (ت : ٢٤٣هـ) أبو عبد الله ، احد العارفين الناطقين بالحكمة . عديم النظير في زمانه ، ورعاً وعلماً ومعاملةً . له مواعظ كثيرة في الزهد والعبادة . عرف بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه . (رسالة المسترشدين ص ١٦ وميزان الاعتدال ١ / ٤٣٠ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٤٥) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصدق ، وتقديم العلم على حظوظ النفوس ، والاستغناء بالله عن جميع خلقه »[1].

ومن هنا يتسع لنا المجال أن نعرض ستة أساليب متمثلة في فصول هذا الباب تعبر عن منهج العلماء مع الحكام .

(١) رسالة المسترشدين ص ١٠٠ ، ١٠١ . تحقيق / عبد الفتاح ابو غده .

الفصل الأول

الدخول على الحكام

افضل كلمة يلتزمها العلماء هي كلمة الحق ، وخير مكان يودعونها عند سلطان جائر . قال ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر »[1] .

ومن أجل ذلك طرق العلماء أبواب السلاطين لا من أجل الدنيا ، ولكن من أجل كلمة حق يقذفونها في قلوب الحكام لعل الله يشرح بها صدورهم .

وهم — اي الحكام — في أمسّ الحاجة إلى من يذكرهم بالله ، ويصارحهم باخطائهم ويرشدهم إلى الخير ، ويعلمهم بأن مسؤولية الاسلام أول ماتقع عليهم ولن ينجو حاكم واحد من غضب الله وسخطه إن هو فرط في حق الله ، وأهمل واجبه كراع استرعاه الله على خلقه . ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين ﴾[2] .

وليس هناك عمل أفضل من هداية الحاكم نحو الخير ، لأن في

---

(١) رواه أبو داود ك / الملاحم ، ب / الامر والنهي ٤ / ٥١٤ ، والترمذي في الجامع ك / الفتن ، ب / افضل الجهاد كلمة عدل . وقال عنه : هذا حسن غريب من هذا الوجه ، رقم الحديث ٢١٧٥ . ورواه احمد في مسنده . انظر الفتح الرباني ١٩ / ١٧١ ، ورواه البيهقي عن ابي امامة الباهلي ، وقال عنه : اسناده لين ، وله شاهد مرسل باسناد جيد ، ثم ساقه عن الزهري بلفظ « افضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائر » . انظر شرح الجامع الصغير . محمد عبد الرؤوف ٢ / ٣٠ ، ٣١ .

(٢) الاعراف : ٦ .

صلاحه صلاح البلاد والعباد .

يقول إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس[1] : (حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه ، أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه) ، ويعلل ذلك بقوله : (لأن العالم إنما يدخل على السلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر ، فاذا كان فهو الفضل الذي ليس بعده فضل)[2] .

ذلك لأن العلماء دعاة بألسنتهم ، واصحاب السلطان دعاة بألسنتهم وسلطانهم وباتفاق العلماء واصحاب السلطان ، وتعاونهم في الخير تقوم المدنية الفاضلة ، ويصلح أمر البلاد والعباد ، فالعلماء ورثوا من مقام النبوة العلم ، واهل السلطان ورثوا من مقام النبوة القوة .

ومن الضروري أن تتفق الدعوتان حتى يقوم المجتمع بأداء واجبه على أساس قويم ذلك لأن العدل أساس الحكم ، والتقوى أساس العلم ، فبالعدل والتقوى تبنى الأمم وتبنى المجتمعات ، ويسود الأمن ، وبغيرهما يكون خراب العباد والبلاد [3].

---

(١) الامام مالك بن انس بن مالك ، أبو عامر الاصبحي ، (ت : ١٧٩هـ) . فقيه الأمة ، وشيخ الاسلام ، واليه ينسب المذهب المالكي . اهم مصنفاته « الموطا » وله كتب ورسائل .
(التهذيب ١٠ / ٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٧ ، والوفيات ١ / ٤٣٩) .

(٢) ترتيب المدارك ١ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ . * وقد جعل الامام مالك دخول العلماء مقرونا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا هو المراد . اما اذا لم يتحقق ذلك فيكون الدخول عليهم مفسدة للعلماء انفسهم ، وسمعة سيئة عند الناس . لذلك شدد بعض العلماء في الدخول عليهم ، ومداخلتهم ، حماية لعزة العالم مما يصيبه من استكانة في تلك المداخلة .

(٣) مرشد الدعاة ص ٦١ محمد نمر الخطيب .

يقول ابراهيم بن أدهم[1] : « **كل ملك لا يكون عادلا فهو واللص سواء ، وكل عالم لا يكون تقيا فهو والذئب سواء ، وكل من ذل لغير الله فهو والكلب سواء** »[2] . فكيف يؤمن على مجتمع يحكمه اللصوص وتسوده الذئاب !!

ولما قيل للامام مالك : إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون ، قال : يرحمك الله فأين المتكلم بالحق[3] .

وانطلاقا من إدراك أهمية اصلاح الحاكم ، يقول الفضيل بن عياض : « لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام ، لأن به صلاح الرعية ، فإذا صلح أمنت العباد والبلاد »[4] .

وعلى العكس من ذلك نجد الكثير من علماء السلف كانوا يرفضون الدخول على الحكام ، وغشيان مجالسهم عزة لنفس المؤمن ، وحفاظا على العلم الذي رفعهم الله به . فهذا حماد بن سلمة[5] رفض أن يستجيب للدولة عندما دعوه ، وقال مستنكرا : (أحمل لحية حمراء إلى هؤلاء ؟ والله

---

(١) ابراهيم بن ادهم بن منصور بن يزيد التميمي ، ويقال له : العجلي . (ت : ١٦٢هـ) . احد مشاهير العباد ، واكابر الزهاد . كانت له همة عالية في العبادة والزهد والروع ، وله مآثر كثيرة في ذلك . قال عنه رفيقه سفيان الثورى : كان ابراهيم بن ادهم يشبه ابراهيم الخليل ، ولو كان في الصحابة لكان رجلا فاضلا . (الحلية ٧ / ٣٦٧ والبداية والنهاية ١٠ / ١٣٥ وسير الاعلام ٧ / ٣٨٧) .

(٢) سير الاعلام ٧ / ٣٩٤ ، والبداية والنهاية ١٠ / ١٤٢ ، وفيها اختلاف يسير .

(٣) مقدمة الجرح والتعديل / ابن ابي حاتم الرازي ١ / ٣٠ .

(٤) البداية والنهاية ١٠ / ٩٩ .

(٥) حماد بن سلمة بن دينار ، أبو سلمة البصري . (ت : ١٦٧هـ) إمام ثقة قدوة في الحديث . كان شديدا على المبتدعة ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : حماد بن سلمة عندنا من الثقات ، ماازداد فيه كل يوم الا بصيرة . قيل انه كان مجاب الدعوة . (سير الاعلام ٧ / ٤٤٤ والحلية ٦ / ٢٤٩ وتذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٢) .

فيقال لك : تشفع فترد عن مظلوم أو مظلمة ، فان تلك خديعة ابليس ، وانما اتخذها فجار القراء[1] سلما »[2] .

ويمثل ذلك كتب إلى يوسف بن اسباط[3] قال له : إن دعاك هؤلاء الملوك لتقرأ عليهم ﴿ قل هو الله احد ﴾ فلا تجبهم فان قربهم مفسدة للقلب[4] .

وكلم يوما بعض الناس سفيان الثوري وقالوا له : لو دخلت عليهم ــ أي على اصحاب السلطان ــ فقال : إني اخشى أن يسالني الله عن مقامي ماقلت فيه ؟ فقيل له : تقول وتتحفظ . قال : تامروني ان اسبح في البحر ولا تبتل ثيابي[5] .

وذلك لأنّ الداخل علىٰ السلطان يتعرّض إلىٰ عدّة مخاطر منها : معصية الله إمّا بفعله أو بسكوته ، أو باعتقاده .

يقول ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ : إنّ الرجل ليدخل علىٰ السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين معه . قيل : ولم ؟ قال : لأنه يُرضيه بسخط الله[6] .

---

(١) هذه الكلمة كانت قديما تطلق على العلماء .
(٢) تقدمة الجرح والتعديل ١ / ٨٨ .
(٣) يوسف بن اسباط الشيباني . (ت : ١٩٥هـ) .
الزاهد الواعظ . كان العلم والخوف شعاره ، وله مواعظ وحكم ، وكان من عباد اهل الشام وقرائهم ، وكان لاياكل الا الحلال . دفن كتبه واخفاها عن الناس . (الجرح والتعديل ٩ / ٢١٨ ولسان الميزان ٦ / ٣١٧ وحلية الاولياء ٨ / ٢٣٧ والسير ٩ / ١٦٩) .
(٤) تقدمة الجرح والتعديل ١ / ٨٩ .
(٥) كتاب الامام سفيان الثوري ص ١٦٢ د . محمد أبو الفتح البيانوني .
(٦) الاحياء ٢ / ١٢٦ .

المهدي : شططت تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا ؟ فقال له سفيان : اسكت ، ماأهلك فرعون إلا هامان فلما ولى سفيان ، قال أبو عبيدة الله : ياأمير المؤمنين : ائذن لي أن اضرب عنقه ، فقال له : اسكت مابقي على وجه الارض من يستحيي منه غير هذا[1] .

وقد أورد صاحب الإحياء بعض أقوال الصحابة والتابعين ، وتحذيرهم من غشية أبواب السلاطين ، نذكر منها[2] :

★ قال حذيفة[3] : إياكم ومواقف الفتن ، قيل : وماهي . قال : أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه .

★ وقال أبو ذر[4] لسلمة[5] : ياسلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك

= ولي بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨هـ ، وأقام في الخلافة عشر سنين . كان حسن الخلق محمود السيرة ، محببا إلى الرعية . (تاريخ بغداد ٥ / ٣٩١ والإعلام ٦ / ٢٢١) .

(١) كتاب الورع للإمام أحمد بن حنبل ص ٥٨ .

(٢) إحياء علوم الدين / الغزالي ٢ / ١٢٥ ، ١٢٦

(٣) حذيفة بن اليمان .

من نجباء الصحابة ، وهو صاحب سر النبي ﷺ وقد أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين ، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة ، وقد ناشده عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ : أأنا من المنافقين ؟ فقال : لا ، ولا أزكي أحدا بعدك . وولي حذيفة أمرة المدائن ، وبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان ، وتوفي بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة . (سير الإعلام ٢ / ٣٦١ وأسد الغابة ١ / ٤٦٨ والإصابة ١ / ٣١٧) .

(٤) جندب بن جنادة الغفاري . (ت : ٣٢هـ) .

من نجباء الصحابة وأحد السابقين الأولين . وقيل أنه خامس خمسة في الإسلام . كان رأسا في الزهد والصدق والعمل والعلم ، قوالا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم . قال عنه النبي ﷺ : « ماأقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر » . (أخرجه الترمذي ٣٨٠١ والحاكم ٣ / ٣٤٢ وابن ماجة ١٥٦) ، وكان يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وشهد فتح بيت المقدس مع عمر . (الإستيعاب ٤ / ٤٦ ـــ حاشية الإصابة وسير الإعلام ٢ / ٤٦ وكنز العمال ١٣ / ٣١١) .

(٥) سلمة بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل . (ت : ٤٥هـ) صحابي جليل . =

لاتصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه .

★ وقال سفيان الثوري : في جهنم واد لا يسلكه إلا القراء الزوار للملوك .

★ وقال الأوزاعي[1] : مامن شئ أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا .

★ وقال وهيب[2] : هؤلاء الذين يدخلون على الملوك أضرّ على الأمة من المقامرين .

وكان ابن القاسم[3] يعتبر الدخول على الحكام عيبا . قال مرة : (ماأعلم في فلان عيبا إلا دخوله على الحكام ، إلا إشتغل بنفسه[4] .

وصرح ابن القاسم عن منهجه في ذلك فيقول : (ليس في قرب الولاة

= شهد العقبتين وبدرا والمشاهد . (التاريخ الكبير ٤ / ٦٨ ، وسير الإعلام ٢ / ٣٥٥ وطبقات ابن سعد ٣ / ٤٣٩) .

(١) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد . من قبيلة الأوزاع . (ت : ١٥٧هـ) .
إمام الديار الشامية في الفقه والزهد . عظيم الشأن وأمره أعز من أمر السلطان . كان ورعا ناسكا ، طويل الصمت . قيل : ماروئي الأوزاعي ضاحكا مقهقها قط ، ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه ، وما رؤي يبكي في مجلسه قط ، وكان إذا خلا بكى حتى يرحم . (البداية والنهاية ١٠ / ١١٥ والحلية ٦ / ١٣٥) .

(٢) وهيب بن الورد . (ت : ١٥٣هـ) .
مولى بني مخزوم . عابد رباني ، وكان سفيان الثوري يسميه الطبيب . قيل لوهيب : يجد طعم العبادة من يعصي ؟ قال : لا ، ولا من يهم بالمعصية . (الحلية ٨ / ١٤٠٠ وسير الإعلام ٧ / ١٩٨) .

(٣) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المالكي . (ت : ١٩١هـ) .
صحب الإمام مالك عشرين سنة ، وتفقه به وبنظرائه ، وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك . وهو صاحب « المدونة » وهي من أجل كتب المالكية .
(سير الإعلام ٩ / ١٢٠ وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٥٦ ووفيات الأعيان ٣ / ١٢٩) .

(٤) سير الإعلام ٩ / ١٢٢ .

ولا الدنو منهم خير)[1] .

وكان الإمام أحمد بن حنبل[2] يجعل عدم الإختلاط بالسلطان ميزة يفضل بها العالم على غيره[3] .

والفضيل بن عياض يقول : ماإزداد رجل من ذي سلطان قربا إلا إزداد من الله بعدا[4] .

وبالرغم من ذلك كله فقد كان علماء السلف يدخلون على الحكام ليوجهوهم نحو الخير ، فيأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر . فيبدو ـــ والله أعلم ـــ أن جواز دخول العلماء على الحكام غير مطلق بل يعتمد على :

١ ـــ **حال الحكام** : من حيث عدلهم وحرصهم على تطبيق شريعة الله وإقامة حدوده وتعظيم شعائر الإسلام ، فلا مانع من دخول العلماء على مثل هؤلاء لاعانتهم على إقامة شرح الله والعدل بين الناس ، وتحقيق الخير للامة الإسلامية . والله ـــ تبارك وتعالى ـــ حثنا على ذلك بقوله :

---

(١) سير الإعلام ٩ / ١٢١ .

(٢) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني . (ت : ٢٤١هـ) . إمام المحدثين ومن الائمة الإعلام ، ولد بمرو ١٦٤هـ وحمل إلى بغداد وهو رضيع وكان رأسا في الزهد والورع والصبر على البلاء ، إذ دعي إلى القول بخلق القرآن أيام المعتصم ، فضرب وسجن وبقي في الحبس إلى أن مات المعتصم ، فلما ولي الواثق منعه من الخروج من داره ، ولما جاء المتوكل أكرمه ورفع المحنة . كتابه في الحديث هو المسند . (سير الإعلام ١١ / ٧٧ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٢٥) .

(٣) انظر سير الإعلام ٩ / ١٤٧ في سؤال صالح لأبيه أحمد عن أيهما أفضل وكيع أم يزيد ؟ .

(٤) الإحياء ٢ / ١٢٦ .

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾[1] . فإذا امتنع علماء الخير من الدخول على الحكام ، وملازمة إصلاحهم فلا يبقى في الساحة إلا علماء السوء وبطانة الشر ، يحيطون بالحكام ويتزلفون لهم ، يميلون حيث يميلوا ، ويفتون بما يشتهون .

أما الحكام الموصوفون بالظلم ، المعروض عن أحكام الإسلام ، المشغولون بأنفسهم وأهوائهم ، فهؤلاء الدخول عليهم مذموم . ويصرح الإمام الغزالي بأن الدخول على هؤلاء مذموم جداً في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات ، ومن الواجب إعتزالهم فلا يراهم ولا يرونه إذ لا سلامة إلا فيه[2] فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ، ولا يحب بقائهم ولا يثني عليهم ، ولا يستخبر عن أحوالهم ، ولا يتقرب إلى المتصلين بهم ، ولا يتأسف على مايفوت بسبب مفارقتهم . ولم يجوز ذلك إلا في حالتين :

الأولى : أن يكون من جهتهم أمر إلزام لا أمر إكرام ، وعلم أنه لو إمتنع أوذي أو أفسد عليهم طاعة الرعية ، واضطرب عليهم أمر السياسة . فيجب الإجابة لا طاعة لهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب

---

(١) المائدة ٢ .

(٢) يبدو والله أعلم إن إعتزال هؤلاء فيه سلامة من الاثم لأنه لم يشاركهم في ظلم أحد ، لكن لم يسلم من عقاب الله النازل إذ أنه يعم الصالح والطالح . وشاهد على ذلك ماروته السيدة عائشة أم المؤمنين ـــ رضي الله عنها ـــ قالت : قلت يارسول الله إن الله إذا أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم ؟ فقال : ياعائشة إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون فيصابون ثم يبعثون على نياتهم . (موارد الظمآن ص ٤٥٧) .

كذلك ذكر الإمام أحمد وغيره أثراً : ان الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا ، فقال : يارب كيف وفيهم فلان العابد ؟ فقال : به فابدا فإنه لم يتمعر وجهه في يوما قط . (إعلام الموقعين / ابن القيم ٢ / ١٧٧) .

الولاية .

الثانية : أن يدخل عليهم في دفع الظلم عن سواه أو عن نفسه أما بطريق الحسبة أو بطريق التظلم ، فذلك رخصة بشرط أن لايكذب ولا يثني ، ولا يدع نصيحة يتوقع قبولها[1] .

٢ ــ حال العلماء : فإذا كان العالم عزيز النفس ، شديداً بإيمانه ، ثابتاً صبوراً على مايعرض له من خطوب ، وقد دعت الحاجة الشرعية لذلك فلا مانع من الدخول على الحكام لاداء واجبه . وقد كان علماء السلف يدخلون بهذه النية [٢] .

أمّا إذا كان حال العالم دون ذلك فمن الأفضل تجنب الدخول خشية الإنزلاق في ركب الحكام ، فما أعظم فتنة المال والجاه ! وصاحب السلطان أعظم فتنة ، فنسأل الله العافية .

وحتى العلماء الذين كانت لهم صلابة وجراة في الصدع بالحق ، وثبات شديد على المبدأ ، تجدهم كانوا يحذرون من الإقتراب إلى الحكام خشية الفتنة .

يقول سفيان الثوري ــ وهو المعروف بمواقفه الشديدة : (ليس أخاف إهانتهم وإنما أخاف كرامتهم فلا أرى سيئهم سيئة) [٣] .

وفي الجملة : الدخول على السلاطين فيه خطر عظيم لان النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وأنعامهم ، أو بالطمع فيهم ، ولا

---

(١) إحياء علوم الدين ٢ / ١٢٨ .

(٢) انظر/ الإسلام بين العلماء والحكام ص ١٢٢ .

(٣) سير الإعلام ٧ / ٢٦٢ ، وانظر/ تلبيس إبليس ص ١٢٢ .

يتماسك عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم[1] .

وقد يرد هنا إعتراض بأن يقول قائل : لم كان بعض السلف يدخلون على الحكام ؟ والجواب على ذلك : أنهم كانوا يدخلون على السلطان أو الحاكم رغبة في إصلاحه وفي نفس الوقت كانوا يحملون المثل العليا في العزة والكرامة ، والإستغناء عمّا عندهم ولقد شهدت لهم الأمة الإسلامية بهذا ، فما غرتهم دنيا الملوك ، ولا هابهم بطش الحاكم وجبروته . وما أصدق ماقيل في ذلك : تعلم الدخول منهم ثم ادخل !! وأضف إلى ذلك : ان الحكام الذين عاصروا علماءنا كانوا على إستعداد لقبول الحق .

والتاريخ الإسلامي مليء بالأحداث التي توضح الصورة العملية الحيّة لهذا المنهج المبارك .

) عمر بن حبيب[2] يدخل على المأمون[3] :

ذكر الخطيب البغدادي[4] بسنده عن عمر بن حبيب ، قال :

---

(١) تلبيس إبليس ص ١٢٢ .

(٢) عمر بن حبيب العدوي البصري القاضي . (ت : ٢٠٧هـ) .
ولي قضاء البصرة ثم ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد للمأمون ، ويقال : ان الرشيد أراد قتله لأنه رد عليه خطا فرد الله عنه . (التاريخ الكبير ٦ / ١٤٨ وإخبار القضاة ٢ / ١٤٢ وسير الإعلام ٩ / ٤٩٠) .

(٣) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي . (ت : ٢١٨هـ) . تولى الخلافة في محرم سنة ١٩٨هـ ، بعد مقتل أخيه . دعا إلى القول بخلق القرآن وحمل الناس على ذلك بالقوة ، وامتحن العلماء في ذلك . (سير الإعلام ١٠ / ٢٧٢ والبداية والنهاية ١٠ / ٢٧٤ وتاريخ الخلفاء ص ٣٠٦) .

(٤) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، أبوبكر . (ت : ٤٦٣هـ) أحد الحفاظ المؤرخين ، كان فصيح اللهجة عارف بالأدب يقول الشعر ، ولوعا بالمطالعة والتاليف . ذكر له ياقوت أسماء ٥٦ كتابا ، من أفضلها : « تاريخ بغداد » . (الاعلام ١ / ١٧٢) .

« وفدت مع وفد من أهل البصرة حتى دخلنا على أمير المؤمنين المامون ، فجلسنا ، وكنت أصغرهم سنا ، فطلب قاضيا يولّى علينا بالبصرة ، فبينا نحن كذلك إذ جيء برجل مقيد بالحديد ، مغلولة يده إلى عنقه ، فحلت يده من عنقه ، ثم جيء بنطع فوضع في وسطه ومدت عنقه ، وقام السياف شاهرا السيف ، واستأذن أمير المؤمنين في ضرب عنقه فأذن له ، فرأيت أمراً عظيماً فقلت في نفسي : والله لأتكلمن فلعله أن ينجو ، فقلت : ياأمير المؤمنين اسمع مقالتي ، فقال لي : قل . فقلت : إنّ أباك حدثني عن جدك عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا كان يوم القيامة ينادي منادي من بطان العرش : ليقم من أعظم الله أجره ، فلا يقوم إلا من عفا عن ذنب أخيه » .

فاعف عنه عفا الله عنك ياأمير المؤمنين ، فقال لي : آلله إن أبي حدثك عن جدي عن ... ، فقلت آلله إن أباك حدثني عن جدك عن .... ، .

فقال : صدقت إن أبي حدثني عن جدي عن ابن عباس بهذا ، ياغلام إطلق سبيله فأطلق سبيله ، وأمر أن أولي القضاء »[1] .

وبدخول عمر بن حبيب في مجلس المأمون تحقق الخير الكثير ، إذ كان سببا في إطلاق سراح رجل كاد أن تضرب عنقه .

وهنا تجدر الإشارة إلى حديث الرسول ﷺ إذ يقول : « لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما ، فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع

---

(١) تاريخ بغداد ١١ / ١٩٨ ، ١٩٩ .

عنه »[1] .

وقال ﷺ : « لا ينبغي لامرىء شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ، ولن يحرمه رزقا هو له »[2] .

لذلك أقسم عمر بن حبيب على الكلام ، وتلافى ذلك الموقف قبل فوات الوقت . وبإسلوب رفيع أعجب به المأمون ، فأطلق سراح الرجل وعين عمر بن حبيب قاضيا على البصرة . وهذا الإسلوب متمثل في تذكير المأمون بمشهد من مشاهد القيامة ، وطريق النجاة بعظيم الأجر ، ومما زاد الإسلوب وقعا في قلب المأمون أنه أتى برواية يرويها أبوه عن جده ، ليكون الوقع أقوى في نفسه ، فكان يضيف إلى لزوم الحجة ، وقوة الدليل ، الوفاء للآباء والأجداد ، والشهود لهم بصدق الرواية .

دخوله على هارون الرشيد [3]:

قال عمر بن حبيب القاضي : « حضرت مجلس الرشيد يوماً فجرت مسألة فتنازعها الخصوم ، وعلت الأصوات فيها ، فإحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ فدفع بعض الحديث ، وزادت المدافعة

---

(١) قال عنه الحافظ العراقي : حديث عكرمة رواه الطبراني بسند ضعيف ، والبيهقي في شعب الإيمان بسند قوي . (انظر حاشية الإحياء ٢ / ٢٧١) .

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن عباس ، ورواه الترمذي وحسنه ، وابن ماجة من حديث أبي سعيد : لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه . (المصدر السابق ٢ / ٢٧١) .

(٣) هارون الرشيد ، بن محمد بن المنصور العباسي . (ت : ١٩٣هـ) . وهو خامس خلفاء الدولة العباسية ، وكان عالما بالأدب والحديث والفقه . بويع بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادي سنة ١٧٠هـ ، بعهد من أخيه المهدي . (سير الإعلام ٩ / ٢٧٦ وتاريخ الخلفاء ص ٢٦٣ والبداية والنهاية ١٠ / ٢١٣) .

والخصام حتى قال قائلون منهم : أبو هريرة متهم فيما يرويه ، وصرحوا بتكذيبه ، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ، ونصر قولهم ، فقلت أنا : الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ فنظر إليّ الرشيد نظر مغضب ، وإنصرفت إلى منزلي ، فلم ألبث أن جاءني غلام فقال : أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول ، وتحنط وتكفن . فقلت : اللهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك ، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه ، وأدخلت على الرشيد ، وهو جالس على كرسي ، حاسرا ذراعيه ، بيده السيف ، وبين يديه النطع ، فلما بصر بي قال : ياعمر بن حبيب ، ماتلقاني أحد من الدفع والرد بمثل ماتلقيتني به وتجرأت علي ، فقلت : ياأمير المؤمنين ، إن الذي قلته ودافعت عنه ، وملت إليه ، وجادلت عنه إزدراء على رسول الله ﷺ ، وعلى ماجاء به ، فإنه إذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين ، فالشريعة باطلة ، والفرائض والأحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود ، مردودة غير مقبولة . فالله الله ياأمير المؤمنين أن تظن ذلك ، أو تصغى إليه ، وأنت أولى أن تغار لرسول الله ﷺ من الناس كلهم ، فلما سمع كلامي رجع إلى نفسه ثم قال : أحييتني ياعمر بن حبيب أحياك الله ، أحييتني أحياك الله ، أحييتني أحياك الله »[1] .

وكيف لا يحيى وكلمة الحق قد استقرت في قلبه ، فاغلقت مداخل الشيطان ، وانقذته من انزلاقة خطيرة في نصرته لمن طعن في أصحاب رسول الله ﷺ ، واتهمهم بالكذب . فتناولها عمر بن حبيب باسلوب رفيع ، مستند على أصول لا تقبل النقاش ، مع دفع الغيرة والشهامة في قلب الرشيد وذلك بقوله : وأنت أولى أن تغار ... ، فكان في هذا الإسلوب

---

(١) تاريخ بغداد ١١ / ١٩٧ .

إحياء للحق في قلبه ، ومن ثم إعترافه بالخطأ . فهل أحد ينكر على عمر بن حبيب دخوله على الرشيد بهذه الصورة .

أبو حازم[1] يدخل على سليمان[2] :

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة ، وهو يريد مكة ، فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان : ياأبا حازم مالنا نكره الموت ؟ فأجابه بكل صدق وصراحة قائلا : لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب .

قال سليمان : كيف القدوم على الله ؟

أبو حازم : ياأمير المؤمنين ، أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق (الهارب) يقدم على مولاه .

وتمضي تلك الكلمات الصادقة لتلامس قلب سليمان ، ومايسعه إلا أن يبكي ويقول : ليت شعري مالي عند الله ؟

قال أبو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله تعالى ، حيث يقول : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم ﴾[3] .

---

(١) سلمة بن دينار . (ت : بعد سنة ١٤٠هـ) .
وهو شيخ المدينة المنورة . كان واعظا زاهدا . قيل أن أصله فارسي وأمه رومية ، وهو مولى بني ليث . ولد في أيام الزبير وابن عمر ، ومات في خلافة أبي جعفر . (سير الإعلام ٦ / ٩٦ وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٣ وحلية الأولياء ٣ / ٢٩٩) .

(٢) سليمان بن عبد الملك بن مروان . (٥٤ ــ ٩٩هـ) . كنيته : أبو أيوب . تولى الخلافة سنة ٩٦هـ ، وتميز بالعقل والفصاحة ، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر . ولد في المدينة ، ونشأ في الشام ، وكانت عاصمته دمشق . (البداية والنهاية ٩ / ١٧٧ ومروج الذهب ٢ / ١٢٧ والإعلام ٣ / ١٣٠) .

(٣) الإنفطار ١٣ .

وأخذ سليمان يسال ، وأبو حازم يجيب ... إلى أن قال : ماتقول فيما نحن فيه ؟ قال : أوتعفيني ؟ قال : لابد فإنها نصيحة تلقيها إلي .

قال أبو حازم : إن آباءك قهروا الناس بالسيف ، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ، ولا رضا منهم ، حتى قتلوا منهم قتلة عظيمة وقد ارتحلوا . قال رجل من الحاضرين لأبي حازم : بئسما قلت .

قال أبو حازم : ان الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه . ثم سال سليمان أبا حازم : وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ فاجابه : أن تاخذه من حله فتضعه في حقه .

قال سليمان : ومن يقدر على ذلك ؟ فأجابه : من يطلب ويخاف النار[1] .

ودخل يوما أبو حازم على أمير المدينة فقال له : تكلم . قال له : انظر الناس ببابك ، إن أدنيت أهل الخير ، ذهب أهل الشر ، وإن أدنيت أهل الشر ذهب أهل الخير[2] .

ولما دخل على أحد الأمراء ، ووجد عنده مجموعة من العلماء قال : إن خير الأمراء من أحب العلماء ، وإن شر العلماء من أحب الأمراء[3] .

---

(١) بتصرف حاشية الأحياء ٢ / ١٣٠ .
(٢) و (٣) سير الإعلام ٦ / ١١٠ ، ١٠١

مالك بن دينار[1] يدخل على أمير البصرة :

دخل مالك على أمير البصرة ، فقال له : أيها الأمير قرأت في بعض الكتب إن الله تعالى يقول : « ماأحمق من سلطان ، وماأجهل ممن عصاني ، ومن أعزّ ممن أعتز بي . أيها الراعي السوء دفعت إليك غنما سمانا صحاحا ، فاكلت اللحم ، ولبست الصوف ، وتركتها تتقعقع .

فقال له أمير البصرة : أتدري ماالذي يجرئك علينا ، ويجنبنا عنك ؟ قال : لا . قال : قلة الطمع فينا ، وترك الإمساك لما في أيدينا[2] .

أبو مسلم الخولاني[3] يدخل على معاوية[4] .

دخل يوما أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان ، فقال له :

---

(١) مالك بن دينار . (ت : ١٣١هـ) . عالم جليل يعد من ثقة التابعين ، ومن أعيان كتبة المصاحف . له مواعظ طيبة ويعد من كبار الزهاد . ولد في أيام ابن عباس ، وسمع من أنس بن مالك . (طبقات بن سعد ٧ / ٢٤٣ ، وسير الإعلام ٥ / ٣٦٢ والإعلام ٥ / ٢٦٠) .

(٢) إحياء علوم الدين ٢ / ١٢٩ .

(٣) هو عبد الله بن ثوب . (ت : ٦٢هـ) . تابعي جليل ، وفقيه عابد ، نعته الذهبي بريحانة الشام . ويعتبر رأس مدرسة القرآن في الشام ، ومن كبار المجاهدين ، وكانت له مواقف في واقعة صفين ، فقد حاول مع مجموعة من القراء إنهاء الحرب بين معاوية وعلي . (تذكرة الحفاظ ١ / ٤٩ وسير الإعلام ٤ / ٩ والبداية والنهاية ٨ / ١٤٦ والحلية ٢ / ١٢٢) .

(٤) معاوية بن أبي سفيان بن حرب . (ت : ٦٠هـ) . كاتب الوحي ، أسلم عام الفتح ، وقيل قبل ذلك ، وماأظهر إسلامه إلا يوم الفتح خوفا من أبيه . بايعه أهل الشام بالخلافة ، وبعد استشهاد الإمام علي ، بايعه الحسن سنة ٤٠هـ ، وسمي هذا العام بعام الجماعة . (سير الإعلام ٣ / ١١٩ والبداية والنهاية ٨ / ١١٧ والإعلام ٧ / ٢٦١) .

السلام عليك أيها الأجير !! اعلم إنه ليس من أجير استرعى رعية إلا وهو مسئول عنها ، فإن داوى مرضاها ، وهنا جرباها ، ووضعها في أنف الكلأ ، وصفو من الماء ، وفاه أجره .

يامعاوية إنك أحدوثة ، إنك لو عدلت بين جميع قبائل العرب ، ثم ملت على اقلها مال جورك بعدلك [1] .

كان كثير من العلماء يدخلون على الحكام ليدفعوا الظلم عن المسلمين . فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يدخل على قطلوبك الكبير [2] حين شكا إليه رجل من المسلمين من مظلمة له ، وكان قطلوبك فيه جبروت ، وتكلم معه في ذلك .

قال قطلوبك : أنا كنت أريد أن أجيء إليك لأنك عالم زاهد ــ قال ذلك مستهزئا ــ فأجابه ابن تيمية : لا تعمل عليّ دركوان [3] فقد كان موسى خيرا مني ، وفرعون كان شراً منك ، وكان موسى يجيء إلى باب فرعون كل يوم ثلاث مرات ، ويعرض عليه الإيمان [4] .

إما الإمام الغزالي فقد جهر بالحق والنصيحة في وجه الملوك ، والسلاطين ، فقد دخل على سنجر بن ملك شاه السلجوقي [5] ، الذي

---

(١) الشفا في مواعظ الملوك والخلفا / ابن الجوزي ص ٨٨ .

(٢) سيف الدين قطلوبك التشنكير . (ت : ٧٢٩هـ) . أمير رومي ، كان من أكابر الأمراء ولي الحجّوبية في وقت ، وهو الذي عمر القناة بالقدس . توفي ٧ ربيع الأول ، ودفن بشمال باب الفراديس . (البداية والنهاية ١٢ / ٢٣٧) .

(٣) كلمة فارسية معناها : المكر والحيلة .

(٤) فوات الوفيات ١ / ٧٧ .

(٥) سنجر بن الملك شاه بن الب أرسلان بن ميكائيل بن سلجوق . (٤٧٩ — ٥٥٢هـ) أبو الحارث ، وأسمه أحمد ولقب بسنجر ، وقد أسره الغز نحوا من =

كان يحكم خراسان من أقصاها إلى أقصاها ، ليدفع الظلم عن المسلمين ، وحفاظا على أرواحهم وأموالهم .

قال له : « أسفا إن رقاب المسلمين كانت تنقض بالمصائب ، والضرائب ورقاب خيلك كادت تنقص بالاطواق الذهبية »[1] .

وكان بعضهم يدخل من أجل أن يلتمس المصلحة للمسلمين ، كما فعل العالم الزاهد ابن السمّاك[2] ، فقد دخل على رئيس في شفاعة لفقير فقال : « إني أتيتك في حاجة والطالب والمعطي عزيزان إن قضيت الحاجة ، ذليلان إن لم تقض ، فانظر لنفسك عز البذل عن ذل المنع ، وعزّ النجح عن ذلّ الرد »[3] .

ودخل يوما على الرشيد فقال له : إن لك بين يدي الله موقفا فانظر أين منصرفك إلى الجنة أم إلى النار ؟ فبكى الرشيد حتى كاد يموت[4] .

= خمس سنة ، ثم هرب منهم وعاد إلى مكة في بمرو . توفي ودفن في قبة بناها سماها دار الآخرة . (البداية والنهاية ١٢ / ٢٣٧) .

(١) من رسائل الإمام الغزالي بالفارسية . نقلها إلى العربية الإستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه : رجال الفكر والدعوة ص ٢٣٧ .

(٢) محمد بن صبيح العجلي ، مولاهم الكوفي ، ويعرف بابن السماك . (ت : ١٨٣هـ) (سير الإعلام ٨ / ٣٢٨ والبداية والنهاية ١٠ / ١٨٣ والحلية ٨ / ٢٠٣) .

(٣) سير الإعلام ٨ / ٣٢٩ .

(٤) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣ وسير الإعلام ٨ / ٣٢٩ .

الفصل الثاني

إلتزام الصدق والجرأة في الحق

إن إلتزام كلمة الصدق ، والجلادة في إسدائها بوجه الحاكم ، ليس بالأمر اليسير ، فقد يكون ثمنها غاليا ، وحملها ثقيلا ، وقد يترتب عليها القتل وزوال المال ، لكن الجنة تحت ظلالها .

قال الرسول الكريم ﷺ : « سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى سلطان جائر فنهاه فقتله »[1] .

وفي رواية : « أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك »[2] .

وقال : « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، إلا إن سلعة الله غالية ، إلا إن سلعة الله الجنة »[3] .

فكم من عالم سقط على الطريق من أجل أن تعيش كلمة الحق ، وكم من عالم عذب وأهين من أجل أن تبقى كلمة الحق عزيزة عالية لا تنالها يد الظالمين ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾[4] ، وكم من عالم قد

---

(١) رواه الحاكم من حديث جابر ، وقال عنه صحيح ٣ / ١٩٥ .

(٢) رواه الحسن البصري مرسلا . (كذا قال الحافظ العراقي . حاشية الاحياء ٢ / ٢٧٣) .

(٣) قال المناوي في فيض القدير : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر ، وفي سنده أبو مزوة وهو ضعيف ، وأخرجه الحاكم ، وقال صحيح لكن توزع . انظر تحفة الأحوذي ٧ / ١٤٧ .

(٤) المنافقون : ٨ .

حرم جميع حقوقه من أجل أن يحفظ حق الله . ولا غرابة في ذلك ولا عجب ، فهم أهل لتلك المواقف ، إذ على أكتافهم حملت شريعة الإسلام ، وفي صدورهم حفظ كتاب الله ، وسنة رسوله الكريم ﷺ .

و« إن الحكام الظالمين الذين تولوا أمر الإسلام حينا من الدهر لم يستطيعوا البتة تسخير العلماء الأبرار ، لتنفيذ أهوائهم أو السير في ركابهم المعوج ، مع ما أوتوا من قوة بأس ، وشدة جبروت ، وتمكين في النيل . وكيف لايكون ذلك وقد نهي العلماء والمسلمون أجمع من أن يركنوا إليهم لقوله تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾ »[1][2] .

يقول سلطان العلماء ــ العز بن عبد السلام[3] : « العلماء ورثة الأنبياء فيجب عليهم من البيان ماوجب على الأنبياء »[4] .

ولم يكن أمام العلماء إلا الوفاء لله ، ولميثاقه ، وأن يقولوا كلمة الحق لا يخشون في الله لومة لائم . فالرزق محدود ﴿ وفي السماء رزقكم وماتوعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ماأنكم تنطقون ﴾[5] . والأجل مكتوب ﴿ لكل أجل كتاب ﴾[6] إذن : على العلماء أن يعقدوا

---

(١) هود : ١١٣ .

(٢) الإسلام بين العلماء والحكام ص ٨ .

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي . (٥٧٧ ــ ٦٦٠هـ) .
شيخ الإسلام واحد الائمة الأعلام . له مواقف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقبه تلميذه ابن دقيق بـ « سلطان العلماء » .
(البداية والنهاية ١٣ / ٢٣٥ وطبقات الشافعية ٨ / ٢٠٩) .

(٤) طبقات الشافعية ٨ / ٢٢٣ .

(٥) الذاريات : ٢٢ ، ٢٣ .

(٦) الرعد : ٣٨ .

البيعة كما عقدها الصحابي عبادة بن الصامت[1] مع رسول الله ﷺ قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ... ، إلى أن قال : وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم »[2] .

وقد وصف كعب الأحبار[3] عمر الخطاب بأنه قرن من حديد ، وذلك عندما أرسل إليه عمر يسأله : ياكعب كيف تجد نعتي ؟ قال : أجد نعتك قرن من حديد . قال : وما قرن من حديد ؟ قال : أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم[4] .

وكما أن الحديد ﴿ فيه بأس شديد ﴾[5] فكذلك سيدنا عمر فيه بأس

---

(١) عبادة بن الصامت بن قيس أبو الوليد الأنصاري ، الصحابي الجليل ، والإمام القدوة أحد النقباء ليلة العقبة ، ومن أعيان البدريين . سكن بيت المقدس ، وقيل : إنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . مات بالرملة سنة ٣٤هـ ، وهو ابن أثنين وسبعين سنة .

(سير الإعلام ٢ / ٥ وأسد الغابة ٣ / ١٦٠ وكنز العمال ١٣ / ٥٥٤) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ / ٢٨٨ ، وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٠٨ .

(٣) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري . (ت : ٣٢هـ) .

تابعي ، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن ، وأسلم في زمن خلافة أبي بكر الصديق ، وقدم المدينة في خلافة عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثير من أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي فيها عن مئة وأربع سنين . (تذكرة الحفاظ ١ / ٤٩ وحلية الأولياء ٤٥ / ٣٦٤ والإعلام ٥ / ٢٢٨) .

(٤) من رواية عمر بن ربيعة . رواه الطبراني ، وقال عنه الهيثمي : رجاله ثقات . انظر مجمع الزوائد ٩ / ٦٥ ، ٦٦ . وقد أورده الغزالي في الإحياء ٢ / ٣٠٠ بأن النبي ﷺ قال في وصف عمر : « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق » وقال عنه الحافظ العراقي : رواه الترمذي بسند ضعيف مقتصرا على آخر الحديث من حديث علي . (انظر المصدر السابق) .

(٥) الحديد : ٢٥ .

شديد على أهل الباطل ، وغيرة قوية على حرمات الله ، فكان أهل لهذا التشبيه .

وهنا نقول : هل حذا العلماء حذو عمر بن الخطاب في الصدع بالحق ؟ وماذا كان موقفهم تجاه أخطاء الحكام ومظالمهم ، وقد أخذ الله عليهم الميثاق أن لايكتموا العلم ؟ .

وإجابة على ذلك ، نعرض بعض المواقف المشرقة ، التي تعرض لها بعض العلماء في صدعهم بالحق ومواجهتهم لحكامهم .

حطيطة الزيات[1] مع الحجاج[2] :

لقد أسدى للتاريخ العالم ــ الشاب الشهيد ــ حطيطة الزيات ، أعظم المواقف التي تشرف بتسجيلها في صفحاته ، وذلك يوم أن وقف بوجه الحجاج ــ الذي عرف ببطشه وجبروته ــ وقال له : سل مابدا لك فإني عاهدت الله عند المقام[3] على ثلاث خصال : (إن سئلت لأصدقن ، وإن ابتليت لاصبرن ، وإن عوفيت لاشكرن) .

---

(١) تابعي جليل ، واجه الحجاج ، وأغلظ القول معه ، فقتله وكان عمره ١٨ عاما . ورد اسمه بالتاء « حطيطة » انظر كتاب المحن ص ٣٨٠ ، وورد بغيرها « حطيط » انظر الاحياء ٢ / ٣٠٣ .

(٢) الحجاج بن يوسف بن عقيل ، أبو محمد الثقفي . (٣٩ ــ ٩٥هـ) . تولى إمرة العراق والمشرق كله مدة عشرين سنة ، وله فتوحات كثيرة وصلت إلى بلاد الهند والسند ، وإلى قريب من بلاد الصين . حاصرا بن الزبير بالكعبة ورماها بالمنجنيق وأذل أهل الحرمين . قال عنه الإمام الذهبي : كان ظلوما جبارا ناصبيا خبيثا سفاكا للدماء ونعته بقوله : وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه ، وأمره إلى الله ، وله توحيد بالجملة . (سير الإعلام ٤ / ٣٤٣ ولسان الميزان ٢ / ١٨٠ والبداية والنهاية ٩ / ١١٧) .

(٣) مقام إبراهيم عليه السلام .

ومن خلال تلك الخصال الثلاثة تبرز شخصية هذا العالم الجليل ، الذي صدق ماعاهد الله عليه عند المقام المبارك .

جيئ بحطيطة الزيات إلى الحجاج ، فلما دخل عليه قال له : أنت حطيطة ؟ قال : نعم .

ح [1] : ياحطيطة : أين كنت يوم كذا وكذا ، وقد طلبتك ، ولو أصبتك لقتلتك ؟ ثم قال : إني أسالك .

ط : سل ، فإني عاهدت ربي حول بيته [2] : لئن سئلت لاصدقن ، ولئن ابتليت لاصبرن ، ولئن عوفيت لاشكرن . ثم قال : ياحجاج هل تقرا من القرآن شيئاً ؟

ح : نعم .

ط : إقرا . فقرأ الحجاج : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إلى قوله تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ [3] .

ط : قدك الآن فأنت تقتل هؤلاء كلهم .

ح : ماتقول في أبي بكر وعمر ؟

ط : أقول فيهما خيرا .

وهنا يوجه الحجاج إليه سؤالا في غاية الإحراج ، قال له : فما تقول في ؟

ط : أقول فيك إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم ، وتقتل

---

(١) للاختصار : (ح : الحجاج) و (ط : حطيطة) .
(٢) في الاحياء : (عاهدت الله عند المقام) .
(٣) الإنسان من ١ إلى ٨ .

بالظنة .

ح : فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .

ط : أنه أعظم جرما منك ، وإنما أنت خطيئة من خطاياه .

وهنا دعا الحجاج معداً (الجلاد) وقال له : اسمعني صوته .

ط : كلا لا يسمعك صوتي .

فأخذه معد فوضع الوهق[1] على ساقية فحطمه ، فقال حطيطة : يامعد أبك علي ياابن اللخناء ، فهل رأيت جزعا وأنا بين يديك أسير . فعمد معد إلى قصب فشقه ثم أدرجه فيه ، وشده ، وأمر الناس أن ينزعوه ، فجعلت القصب تحمل مامرت عليه من اللحم حتى ماتركت منه شيئا إلا شرحته . وبينا حطيطة على هذا الحال إذ وقع ذباب على بعض جراحاته فقال : « حس » ! فقال له أهل السجن : بالله مارأينا مثلك قط ، قد مضغت بألوان العذاب لم تسمع منك حسا ولا بسا ، وتقول « حس » من ذباب ! فقال : إنه ليس من عذابكم ، وإنه من عذاب الله ، وإن الله إذا شاء أن يفرغ الصبر على من يشاء من عباده أفرغه ، وإذا شاء أن ينزعه نزعه . فأتى معد الحجاج وقال له : أيها الأمير قد أفسد علي أهل السجن ، فقال له : أذهب فارح منه . فجاء معد فأخرجه في عباء ثمّ أمر الناس فجلسوا عليه حتى إذا لم يشك أحد في موته ، ألقاه في الرّحبة .

قال جعفر بن أبي المغيرة[2] : فمررت به فوجدته في آخر رمق ،

---

(١) حبل في طرفه انشوطة .

(٢) جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القمي . (ت : بين ١٢١ ــ ١٣٠) .

وهو الذي روى هذه الحادثة . روى عن سعيد بن جبير ، وعكرمة وغيرهما . دخل مكة أيام بن عمر مع سعيد بن جبير .

(تهذيب التهذيب ٢ / ١٠٨ وتهذيب الكمال ٥ / ١١٢) .

فقلت : ياحطيطة ألك حاجة ، قال : نعم ، اسقني شربة من ماء فإنه كان أشد عذابهم عليّ ، قال : فقدمت فأتيته بشربة من سويق حب الرمان ، فجئت فوجدته قد مات ــ رحمه الله [1]. وبهذا الموقف الجليل قدم حطيطة الزيات زهرة عمره ، وثمرة حياته ، ضحية من أجل أن تعيش زهرة الحق ، ومن أجل أن يقف مجرى الطغيان .

وما تلك الصورة الرائعة إلا واحدة من بطولات عديدة قدمها علماؤنا الاجلاء عبر صفحات الجهاد في سبيل الحق ، وليحدوا من طغيان الحكام الذين تجاوزا حدود مسؤولياتهم في رعاية مصالح الأمة الإسلامية .

سعيد بن جبير [2] مع الحجاج :

وبمثل ماقدمه حطيطة ، كان لعالمنا الجليل سعيد بن جبير المثل الرفيع ، والقدوة الحسنة في التضحية والثبات ، إذ أريق دمه الطاهر ضحية في سبيل الحق ، في الوقت الذي ماكان على وجه الأرض من أحد إلا وهو مفتقر إلى علم سعيد [3] ، وعلى الرغم من ذلك فقد قتله الحجاج ــ طاغية العراق ــ شر قتلة .

وعلى الرغم من شدة الموقف ، وتوقع النهاية المؤلمة ، ظل سعيد

---

(١) كتاب المحن ٣٨٠ ــ ٣٨٢ والاحياء ٢ / ٣٠٣ .

(٢) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي . (ت : ٩٥هـ) . من كبار التابعين . أخذ العلم عن ابن عباس ، وابن عمر . ثار مع ابن الأشعث ضد الحجاج ، فلما قتل ابن الأشعث ذهب سعيد إلى مكة ، فقبض عليه واليها خالد بن عبد الله القسري ، وأرسله إلى الحجاج فقتله شر قتله في واسط (وهي مدينة في العراق وسميت بواسط لتوسطها بين الكوفة والبصرة . معجم البلدان ــ واسط) . (طبقات ابن سعد ٦ / ٢٥٦ وسير الإعلام ٤ / ٣٢١ والبداية والنهاية ٩ / ٦٩ وحلية الأولياء ٤ / ٢٧٢) .

(٣) هذا ماقاله الإمام أحمد بن حنبل . انظر وفيات الأعيان ٢ / ١١٢

صابرا محتسبا مسلما أمره إلى الله ، ولم يجزع أو يجبن .

وتبدأ الواقعة بدخول سعيد إلى مجلس الحجاج ، حيث جيئ به .

وهنا ينظر رجل من الحاضرين إلى حال سعيد ، فيبكي . فقال له سعيد : مايبكيك ؟ قال : لما أصابك ، قال سعيد : فلا تبك ، كان في علم الله أن يكون هذا ثم تلا قوله تعالى : ﴿ ماأصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبراها ﴾[1] .

قال الحجاج لسعيد : ماإسمك ؟ .

سعيد : سعيد بن جبير .

ح[2] : بل شقي بن كسير .

س : بل كانت أمي أعلم بإسمي منك .

ح : شقيت أمك وشقيت أنت .

س : الغيب يعلمه غيرك .

ح : لابدلنك بالدنيا نارا تلظى .

س : لو علمت أن ذلك بيديك لاتخذتك إلها .

ح : فما قولك في محمد ؟

س : نبي الرحمة وإمام الهدى

ح : فما قولك في علي ، أهو في الجنة أم في النار ؟

س : لو دخلتها وعرفت من فيها ، عرفت أهلها .

ح : فما قولك في الخلفاء ؟

س : لست عليهم بوكيل .

---

(١) الحديد : ٢٢ .

(٢) ح : الحجاج ، وس : سعيد .

ح : فأيهم أعجب إليك ؟

س : أرضاهم لخالقي .

ح : فأيهم أرضى للخالق ؟

س : علم ذلك عند الذي يعلم سرّهم ونجواهم .

ح : أحب أن تصدقني .

س : إن لم أحب أن أكذبك .

ح : فما بالك لا تضحك ؟

س : وكيف يضحك مخلوق خلق من طين ، والطين تأكله النار .

ح : فما بالنا نضحك ؟

س : لم تستو القلوب .

وأخيرا يشعر الحجاج أنه غير قادر على إضعاف سعيد ، أو دفعه إلى إعطاء الولاء ، فيسلك طريقا آخر ، هو الإغراء بالمال ، فأمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت ، فجمعه بين يديه .

قال سعيد : إن كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير في شيء من الدنيا إلا ماطاب وزكا[1] ثم يدعو الحجاج بالعود والناي ، فلما ضرب بالعود ، ونفخ بالناي ، بكى سعيد فقال الحجاج : مايبكيك ؟ أهو اللعب ؟

قال سعيد : هو الحزن . أما النفخ فذكرني يوما عظيما ، يوم ينفخ في

---

(١) رحم الله ابن جبير ، لم يكن من رواد المال أو الجاه ، ولا من الذين يبيعون دينهم بعرض من الدنيا ، وقد بين للحجاج أن المال وسيلة لصلاح الدنيا والآخرة ان كان مورده الحلال ، وإلا ﴿ يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ (الشعراء ٨٨ — ٨٩) .

الصور ، وأما العود فشجرة قطعت من غير حق ، وأما الأوتار فمن الشاة تبعث يوم القيامة .

قال الحجاج : ويلك ياسعيد !!

س : لا ويل لمن زحزح عن النار وادخل الجنة[1] .

ح : اختر ياسعيد أي قتلة اقتلك ؟

س : اختر أنت لنفسك ، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة .

ح : أتريد أن أعفو عنك ؟

س : إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر .

ح : إذهبوا به فاقتلوه ، فلما خرج ضحك ، فأخبر الحجاج بذلك ، فردوه إليه وقال : ماأضحكك ؟

س : عجبت من جراتك على الله ، وحلم الله عليك ، فأمر بالنطع فبسط وقال : اقتلوه .

س : ﴿ وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ﴾[2] .

ح : وجهوا به لغير القبلة .

س : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾[3] .

ح : كبوه على وجهه .

س : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾[4] .

---

(١) قوله ماخوذ من قوله تعالى ﴿ فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ (آل عمران : ١٨٥) .

(٢) الانعام : ٧٩ .

(٣) البقرة : ١١٥ .

(٤) طه : ٥٥ .

ح : اذبحوه .

س : أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة ..

ثم دعا سعيد على الحجاج بقوله : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي .

وقيل : لما بلغ الحسن البصري مقتل سعيد قال : (اللهم قاصم الجبابرة ، أقصم الحجاج) فما بقي بعد ذلك أياما حتى وقع في جوفه الدود ، وأصابه الكزاز [١][٢] .

وهكذا سقط سعيد شهيدا في سبيل الله ، وتنقضي المحنة باستشهاده ، لكن تبقى صورة المحنة تتكرر ، وتصيب امثال سعيد ، كلما ظهر على الساحة حاكم ظالم جبار ، وعالم صابر يصدع بالحق ، ولا يخشى في الله لومة لائم .

الدروس المستفادة من المحنة .

١ ــ اتباع اسلوب الاغراء ــ من قبل الحاكم ــ مع العلماء بعد فشل اسلوب العنف والشدة ، والعكس .

٢ ــ لم يكن علماؤنا الأجلاء من عباد المال ، أو من الذين يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل .

---

(١) الكزاز : ماء يأخذ من شدة البرد ، وتعتري منه رعدة . (انظر تاج العروس : ٤ / ٧٤ ولسان العرب ٥ / ٤٠٠) .

(٢) محنة سعيد ، انظر : (كتاب المحن / التميمي ص ٢٠٨ ــ ٢٢٥ ووفيات الاعيان ٢ / ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، وسير الإعلام ٤ / ٣٢٩ ــ ٣٣٨ ، والبداية والنهاية ٩ / ٦٩ ــ ٩٨) .

٣ ــ لجوء الحاكم الظالم إلى البطش والقهر والقتل عند الشعور بالهزيمة أمام العلماء في مقابلة الحجة بالحجة ، والبرهان بالبرهان .

٤ ــ الاسلوب الجريء الصادق في الرد على السلطان من غير خوف ولا رهبة .

٥ ــ وفيما ظهر من المحنة أن سعيدا لم يكن « من هواة الطرب ، ولا من رواد الناي والعود ، وإنما من هواة الحق ورواد الإسلام الذي وهب حياته له »[1] .

٦ ــ اعراض سعيد عن أخذ المال ، وإحتقاره له ، واعراضه عن سماع العزف وإظهاره الحزن والبكاء ، كان درسا للحجاج يشعره بالذنب الذي حاق به .

وهنا يرد سؤال ، وهو : هل يجوز للمسلم أن يعرض نفسه للأخطار ، أو العذاب والهلاك ، وذلك بتصريحه بإنكاره ، ومواجهته الحادة بأخطاء الحكام ؟

يبدو ــ والله أعلم ــ إن كان إنكاره هذا يؤدي إلى فتنة يتعدى شرها ، وضررها إلى غيره ، أو إلى أحد أقاربه وأهله ، فهذا غير جائز ، لان المسلم لايحق له أن يوقع الضرر بغيره .

أما إذا لم يتوقع تسرب الأذى إلى غيره أو أحد أقاربه ، فهذا جائز بل مندوب إليه وصاحبه آخذ بالعزيمة . وليس كما يتصور البعض : بأن ذلك من قبيل تعريض النفس للهلاك ، لأن النبي ﷺ إعتبره أفضل الجهاد فقال : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام ص ١٤٢ .

فأمره ونهاه فقتله »[1] .

الأوزاعي مع عبد الله بن علي[2] :

ومن مواقف الصدق والإستبسال في مواجهة الحكام ، موقف العالم الجليل الإمام الأوزاعي مع عبد الله بن علي .

قال الأوزاعي : (بعث عبد الله بن علي إلي ، فاشتد ذلك علي ، وقدمت فدخلت والناس سماطان[3] فقال : ماتقول في مخرجنا وما نحن فيه ؟ قلت : اصلح الله الأمير : قد كان بيني وبين داود بن علي[4] مودة . قال لتخبرني ، فتفكرت ثم قلت : لاصدقنه ، وإستبسلت للموت ، ثم رويت عن يحيى بن سعيد[5] حديث الأعمال[6] ، وبيده قضيب ينكت به ،

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠٣

(٢) ابن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي . (ت : ١٤٧هـ) . وهو عم أبي جعفر المنصور ، وهو الذي أخذ الشام من أيدي بني أمية ، وكان عليها واليا حتى مات السفاح ، ثم دعا إلى نفسه فبعث المنصور أبا مسلم الخراساني فهزمه وهرب عبد الله إلى أخيه سليمان فاختفى عنده ، ولما سقط بيد المنصور أمر بسجنه بدار جدرانها مبنية على ملح ، فلما كان من الليل أرسل على جدرانها الماء فسقط عليه البناء ، وهلك سنة ١٤٧هـ . (البداية والنهاية ١٠ / ١٠٤ وتاريخ الطبري ٩ / ٢٦٤) .

(٣) أي : صفان .

(٤) داود بن علي بن عبد الله بن العباس . (ت : ١٣٣) . وهو عم أبو جعفر المنصور ، والسفاح العباسي . كان خطيبا فصيحا ، ومن كبار القائمين على الثورة من بني أمية ، وهو أول من ولي المدينة من بني العباس ، وأول من أقام الحج للناس في ولاية العباسيين . (ميزان الإعتدال ٢ / ١٣ والإعلام ٢ / ٣٣٣) .

(٥) يحى بن سعيد بن قيس بن عمرو . (ت : ١٤٤هـ) . الإمام العلامة المجود ، عالم المدينة في زمانه ، وهو صاحب حديث الأعمال ، ويقال : رواه عنه نحو المئتين . (التاريخ الكبير ٨ / ٢٧٥ وسير الإعلام ٥ / ٤٦٨ وتهذيب التهذيب ١١ / ٢٢١) .

(٦) قوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل أمرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى

ثم قال : ياعبد الرحمن ، ماتقول في قتل أهل البيت ؟ فأجابه بحديث النبي ﷺ قال : « لايحل قتل المسلم إلا في ثلاث ... »[1] وساق الحديث ، فقال : أخبرني عن الخلافة ، وصية من رسول الله ﷺ ؟ فقلت : لو كانت وصية من رسول الله ﷺ ماترك علي رضي الله عنه ــ أحدا يتقدمه قال : فما تقول في أموال بني أمية ؟ قلت : إن كانت لهم حلالا فهي عليك حرام ، وإن كانت عليهم حراما فهي عليك أحرم ، فأمر بي فاخرجت[2] .

وقد أثنى الإمام الذهبي رحمه الله على الإمام الأوزاعي في موقفه هذا ، فقال : « قد كان عبد الله بن علي ، ملكا جبارا سفاكا للدماء ، صعب المراس ، ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمر الحق كما ترى ، لا كخلق من علماء السوء الذين يحسنون للأمراء مايقتحمون به الظلم والعسف ، ويقلبون لهم الباطل حقا ــ قاتلهم الله ــ أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق »[3] .

= الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ماهاجر إليه » .

أخرجه الشيخان من حديث عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وقوله : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله » زيادة مسلم على البخاري .

(صحيح البخاري ب / بدء الوحي ١ / ٢ ، وصحيح مسلم ب / قوله ﷺ « إنما الأعمال بالنيات » ١٣ / ٥٣ ، ٥٤ شرح النووي) .

(١) (الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) . (صحيح مسلم ك / القسام ب / مايباح به دم المسلم ١١ / ١٦٥ شرح النووي) .

(٢) سير الإعلام ٧ / ١٢٥ .

(٣) المصدر السابق

استدعاء أبو جعفر المنصور لابن طاووس[1] :

وكان مع ابن طاووس الإمام مالك بن أنس ، فلما دخلا عليه أطرق ساعة ثم إلتفت إلى ابن طاووس ، فقال له : حدثني عن أبيك طاووس ، فأجابه : حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال : « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل الجور في عدله » . فامسك المنصور ساعة . قال مالك : فضممت ثيابي مخافة أن يملاني من دمه ، ثم إلتفت إليه أبو جعفر فقال : عظني ياابن طاووس قال : نعم ، ياأمير المؤمنين أن الله تعالى يقول : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذي الأوتاد الذين طغو في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك صوت عذاب إن ربك لبالمرصاد ﴾[2] .

قال مالك : فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه ، فأمسك عنه ثم قال : ناولني الدواة ، فأمسك عنه . فقال : مايمنعك أن تناولنيها ؟ فقال : أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها ، فلما سمع ذلك ، قال : قوما عني .

قال طاووس : ذلك ماكنا نبغي منذ اليوم . قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاووس فضله[3] .

---

(١) عبد الله بن طاووس بن كيسان اليماني . الإمام المحدث الثقة ، توفي سنة ١٣٢هـ ، وقال ابن سعد : مات في خلافة أبي العباس السفاح . (وفيات الاعيان ٢ / ٥١١ وسير الإعلام ٦ / ١٠٣ وتهذيب التهذيب ٥ / ٢٦٧) .

(٢) الفجر ٦ — ١٥ .

(٣) راجع تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٠ ، والقاضي شمس الدين ابن خلكان ذكران المنصور طلب ابن طاووس ومالك بن أنس ، قال : فصدعه ابن طاووس بكلام . (وفيات الاعيان =

وبكل جلادة يمتنع حتى عن مناولته الدواة خشية أن يكتب بها معصية تغضب الله فيكون شريكه في ذلك . وهذا هو ديدن علمائنا الأوائل ، فقد كانوا أحذر الناس من هذه الإنزلاقة الخطيرة التي تورد صاحبها مورد الهلاك ، لذلك عندما سأل السجان الإمام أحمد بن حنبل ــ عندما كان في السجن ــ قال : ياأبا عبد الله : الحديث الذي روي عن الظلمة ، وأعوانهم صحيح ؟

فأجابه الإمام أحمد : نعم .

قال السجان : فأنا من أعوان الظلمة .

قال الإمام أحمد : فأعوان الظلمة من يأخذ شعرك ، ويغسل ثوبك ، ويصلح طعامك ويبيع ويشترى منك ، فأمّا أنت فمن أنفسهم[1] .

فإذا كان هذا حال السلف الصالح ، فلماذا آل حال الخلف الطالح في كثير من بلدان عالمنا الإسلامي ، إلى ماهم عليه من الهنات والتخبط ، والتلاعب بالدين على حساب مصلحة الأسياد ، بل لم ينل الرفعة والتكريم إلا ذلك الرعديد الجبان الذي حمل الأمانة لتكون حجة عليه لا له ، في الوقت الذي خلت الساحة ــ إلا ماندر من العلماء المخلصين الصادقين ، وظهر المداهنون المتملقون المسالمون الذين أشربوا في قلوبهم الرعب وحب المال والجاة والكسب ، ولا عليهم بعد ذلك إنهزم الحق أم إنتصر ، مادامت الدائرة لا تدور عليهم .

= ٢ / ٥١١) . والإمام الذهبي له رأي في ذلك إذ يقول : « هذا لايتجه ، لأن ابن طاووس مات في سنة ١٣٢ ، وذلك قبل دولة المنصور ، بل في هذه السنة قتل آخر الخلفاء الأموية ، مروان الحمار ، وقام فيها السفاح ، والله أعلم » (سير الاعلام ٦ / ١٠٤) لكن العلماء إختلفوا في سنة وفاته .

(١) مناقب الإمام أحمد / ابن الجوزي ص ٣٩٧ .

وقديما قال الإمام الذهبي : « فلو نظر الأئمة السابقون ، علماء اليوم ، وما هم عليه من الهنات والتخبط » ثم تمثل بقول الشاعر :

أمّا الخيام فإنّها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها[1]

فماذا يكون موقف الذهبي لو نظر إلى أحوال كثير من علماء أمتنا الإسلامية في أيامنا هذه !! .

يقول الرسول ﷺ : « يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة ، وقضاة كذبة ، فمن أدرك ذلك الزمان فلا يكونن لهم جابيا ولا عريفا ولا شرطيا »[2] .

وقديما قال الشاعر :

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها[3]

ابن أبي ذئب[4] مع عبد الصمد[5] وأبي جعفر المنصور :

روى الخطيب البغدادي بسنده عن حسن بن زيد قال : (كان ولي

---

(١) سير الاعلام ٨ / ٤٠٨ .

(٢) المعجم الصغير للطبراني ١ / ٢٠٤ .

(٣) عزاه ابن القيم في اعلام الموقعين ١ / ١٠ لعبد الله ابن المبارك .

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة القرشي المدني ، أبو الحارث . (٨٠ ـ ١٥٩هـ) الإمام العابد ، والشيخ الفقيه ، كان لايهاب سلطانا ، وهو نظير الإمام مالك في الفقه ، وربما أنكر على الإمام مالك أشياء ترك الأخذ فيها ببعض الأحاديث كان يراها مالك من اجماع أهل المدينة ، وغير ذلك من المسائل . (تذكرة الحفاظ ١ / ١٩١ والبداية والنهاية ١٠ / ١٣١) .

(٥) عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس . (١٠٤ ـ ١٨٥هـ) . أمير عباسي ، وهو عم المنصور ، وكان عامله على مكة والطائف ، ثم ولي المدينة وعزله المهدي عنها سنة ١٥٩هـ . (تاريخ بغداد ١١ / ٣٧ والإعلام ٤ / ١١) .

عبد الصمد على المدينة قال : فعاتب بعض القرشيين وحبسه حبسا ضيقا ، قال : وكتب بعض قرابته إلى أبي جعفر فشكا ذلك إليه وأخبره ، فكتب أبو جعفر إلى المدينة ، وأرسل رسولا وقال : اذهب فانظر قوما من العلماء فأدخلهم عليه حتى يروا حاله [1]، وتكتبوا إلي بها فادخلوا عليه في حبسه مالك بن أنس ، وابن أبي ذئب .. وغيرهم من العلماء قال : اكتبوا بما ترون إلى أمير المؤمنين . قال : وكان عبد الصمد لما بلغه الخبر حل عنه الوثاق ، وألبسه ثيابا ، وكنس البيت الذي كان فيه ، ورشه ، ثم ادخلهم عليه ، فقال لهم الرسول : اكتبوا بما رأيتم ، فأخذوا يكتبون : يشهد فلان وفلان ، قال ابن أبي ذئب : لاتكتب شهادتي[2] أنا أكتب شهادتي بيدي إذا فرغت فارم إلى بالقرطاس . فكتبوا : رأينا محبسا لينا ، ورأينا هياة حسنة ، وذكروا مايشبه هذا الكلام . قال : ثم دفع القرطاس إلى ابن أبي ذئب ، فلما نظر في الكتاب فرأى هذا الموضع ، قال : يامالك داهنت وفعلت وملت إلى الهوى ، لكن اكتب : رأيت محبسا ضيقا وأمرا شديدا ، قال : فجعل يذكر شدة الحبس .

وبعث بالكتاب إلى أبي جعفر . قال : فقدم أبو جعفر حاجا فمر بالمدينة فدعاهم فلما دخلوا عليه جعلوا يذكرون ، وجعل ابن أبي ذئب يذكر شدة الحبس ، وضيقه وشدة عبد الصمد ومايلقون منه . قال الحسن بن زيد : فلما رأيت ذلك ، رأيت أن الينة ، وخشيت على عبد الصمد من أبي جعفر أن يعجل عليه ، فقلت : ياأمير المؤمنين ويرضي هذا أحدا ؟ .

(١) كانت هذه هي ثقة الحكام بعلماء المسلمين ، لما كان العلماء يتحلون به من الصدق والصلاح فلا يرتضون حكما غيرهم لأنهم أقدر الناس على الإنصاف ، والتخلص من الميول والأهواء .

(٢) نهاه عن ذلك لعلمه أن ماجرى إنما هو طمس للحقيقة .

قال ابن أبي ذئب : أما والله إن سالني عنك لاخبرنه ، فقال أبو جعفر : وإني أسالك ، فقال : ياأمير المؤمنين ، ولي علينا ففعل بنا واطنب فيّ فلما ملأني غيظا قلت : أفيرضي هذا أحدا ياأمير المؤمنين ؟ سله عن نفسك ، فقال أبو جعفر : فإني أسألك عن نفسي . قال لا تسألني . فقال : أنشدك الله كيف تراني ؟

قال : اللهم لا أعلمك إلا ظالما جائرا . قال : فقام إليه وفي يده عمود فجلس قربه .

قال الحسن بن زيد : فجمعت إلى ثوبي مخافة أن يصيبنى من دمه . فقلت ألا تضرب العمود ؟ فجعل يقول له : يامجوسي أتقول هذا لخليفة الله في أرضه ؟ وجعل يرددها عليه ، وابن أبي ذئب يقول : نشدتني بالله ياعبد الله ، إنك نشدتنى بالله . قال : ولم ينله بسوء . قال : وتفرقوا على ذلك)[1] .

والعجيب إنّ في مثل هذا الموقف لايتردد ابن أبي ذئب عن إجابة المنصور عندما سأله عن نفسه ، وذلك برهان لما إلتزمه العلماء على أنفسهم من نصرة الحق إينما كانوا ، وحيثما حلوا .

وحقا إنّه لفضل عظيم يسجل للعلماء الذين أسدوا النصيحة للحكام معرضين أنفسهم لأخطار كبيرة قد تنجم عن نزوات الحكام وإنفعالاتهم .

قدوم ابن أبي أنعم[2] علىٰ أبي جعفر :

قدم ابن أبي أنعم على أبي جعفر يشكو جور العمال ، فأقام ببابه

---

(١) تاريخ بغداد ٢ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، وانظر الاحياء ٢ / ٣٠٤ .

(٢) عبد الله بن زياد بن أنعم المعافري الأفريقي . (ت : ١٦١هـ) . عالم وقاض ، اشتهر

أشهرا ثم دخل عليه ، فقال له أبو جعفر : ماأقدمك ؟ قال : جور العمال ببلدنا ، فجئت لاعلمك فإذا الجور يخرج من دارك .

وفي رواية أخرى ، جاء فيها : فقلت : رأيت ياأمير المؤمنين ظلما فاشيا وأعمالا سيئة ، فظننت لبعد البلاد منك ، فجعلت كلما دنوت منك كان أعظم للأمر ، فنكس طويلا ثم رفع رأسه فقال : كيف لي بالرجال ؟ قلت : أفلح عمر بن عبد العزيز كان يقول : « الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ماينفق فيها ، فاطرق طويلا ، فقال لي الربيع ــ أوما إلي ــ أن أخرج ، فخرجت ، وما عدت [1] .

لم يثن بعد البلاد ، وطول الطريق هذا العالم الجليل عن الوصول إلى الخليفة من أجل النصح والإرشاد ، وبكل صراحة وشجاعة يواجه الخليفة ليكشف له الستار عن حقيقة الأمر .

نعم : لقد جاء من مكان بعيد ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولم يمنعه عناء الطريق عن هدفه المنشود في الإصلاح والتغيير .

وموقف ابن أبي أنعم هذا يذكرنا بموقف الرجل الذي قص عنه القرآن الكريم في سورة « يس » بقوله تعالى : ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل

بالجراة على الملوك ، وزجرهم عن الجور والعسف . ولد ببرقة وهو أول مولود في الإسلام بافريقية ، ونشأ بها ، وولي قضاء القيروان مرتين ، ثم رحل إلى بغداد فاتصل بالمنصور العباسي قبل أن يلي الخلافة ، وكان رفيق المنصور فقد جمعهم الإشتغال بالعلم . ولما ولي المنصور الخلافة دعاه إليه فوعظه ابن أبي أنعم وحذره من ارتكاب المظالم ، واستأذنه في العودة إلى القيروان ، فأذن له ولم يجئه بعد ذلك . (طبقات علماء افريقية ص ٢٧ وتاريخ بغداد ١ / ٢١٤ والإعلام ٣ / ٣٠٧) .

(١) ميزان الاعتدال ٢ / ٥٦٣ .

يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾[1] .

أبو جعفر المنصور يجمع الفقهاء :

لما ثار أهل الموصل على أبي جعفر المنصور ، جمع الفقهاء وفيهم أبو حنيفة[2] فقال : أليس صح أن الرسول ﷺ قال : « المؤمنون عند شروطهم » . وأهل الموصل شرطوا أن لايخرجوا علي ، وقد خرجوا على عاملي ، وقد حلت لي دماؤهم . فقال رجل : يدك مبسوطة عليهم ، وقولك مقبول فيهم ، فإن عفوت فأنت أهل العفو ، وإن عاقبت فبما يستحقون ، فقال لأبي حنيفة : ماتقول ياشيخ ؟ ألسنا في خلافة نبوة ، وبيت أمان ؟ .

قال أبو حنيفة : إنهم شرطوا لك مالا يملكون ، وشرطت عليهم ماليس لك لإن دم المسلم لا يحل إلا بأحد معان ثلاث ، فإن أخذتهم أخذت بما لا يحل ، وشرط الله أحق أن توفي به[3] .

---

(١) آية ٢٠ ، ٢١ .

النعمان بن ثابت . (ت : ١٥٠هـ) . فقيه العراق ، واحد الائمة الاعلام ، أصحاب المذاهب ، وهو أقدمهم وفاة . ادرك عهد الصحابة ، وراى بعضهم مثل : أنس بن مالك ، وقيل روى عن سبعة من الصحابة . طلبه عمر بن هبيرة على القضاء فامتنع ، واراده المنصور بعد ذلك للقضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل ، فحبسه إلى أن مات ، وصلى عليه ستة مرات لكثرة الزحام عليه ، وقبره في بغداد . رحمه الله . (وفيات الاعيان ٢ / ١٦٣ وتاريخ بغداد ١٣ / ٣٢٣ والبداية والنهاية ١٠ / ١٠٧) .

(٣) أبو حنيفة لأبي زهرة ص ٣٣ .

عبد السلام النابلسي[1] مع المعز الفاطمي[2] :

احضر بين يدي المعز ، أبو بكر النابلسي ، فقال له المعز : بلغني عنك إنك قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ، ورميت المصريين بسهم .

قال النابلسي : ماقلت هذا . فظن المعز أنه رجع عن قوله : فقال : كيف قلت ؟ قال : قلت ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر !! .

قال : ولم ؟ قال : لأنكم غيرتم دين الأمة ، وقتلتم الصالحين ، وأطفأتم نور الإلهية ، وادعيتم ماليس لكم .

فأمر بإشهاره في أول يوم ، ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضربا شديدا مبرحا ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث ، فجيئ بيهودي فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن .

قال اليهودي : فأخذتني رقة عليه ، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات رحمه الله[3] .

---

(١) هو العالم الزاهد الورع العابد التقي ، أبو بكر النابلسي ، وكان يقال له : الشهيد ، وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس .
(البداية والنهاية ١١ / ٢٨٤) .

(٢) معن بن إسماعيل بن سعيد بن عبدالله أبو تميم الفاطمي . (ت : ٣٦٥) صاحب الديار المصرية ، وباني القاهرة ، وهو أول من ملك الديار المصرية من الفاطميين ، وكانت أيامه في الملك قبل أن يملك مصر ، وبعد ماملكها ثلاثا وعشرين سنة ، منها سنتان وتسعة أشهر بمصر ، والباقي ببلاد المغرب . (البداية والنهاية ١١ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ والأعلام للزركلي ٧ / ٢٦٥) .

(٣) البداية والنهاية ١١ / ٢٨٤ .

سفيان الثوري مع أبي جعفر :

يقول سفيان الثوري : أدخلت على أبي جعفر بمنى ، فقلت له : اتق الله فإنما أنزلت هذه المنزلة ، وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار ، وأبناؤهم يموتون جوعا ، حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر دينار ، وكان ينزل تحت الشجرة . فقال : فإنما تريد أن أكون مثلك ؟ قال : قلت : لاتكن مثلي ولكن كن دون ماأنت فيه ، وفوق ماأنا فيه . فقال لي : أخرج[1] .

والحق : إنّ العلماء في مواقفهم هذه سجلوا أروع بطولات التضحية والصدق في تقديم النصيحة للحاكم ، واحتوت مواقفهم الصادقة على مصارحة جريئة عكست للحكام ماهم عليه من التخبط ، وارتكاب الآثام والأخطاء بحق الأمة الإسلامية . فكما أن المسلم مرآة أخيه ، فمرآة الحكام ، هم العلماء المخلصون .

وهذه المواقف التي أشرنا إليها يبدو على معظمها صفة العنف والشدة ، وهو أسلوب انتهجه العلماء لتأديب الحكام — إن صح التعبير — ولو أن الإمام سفيان الثوري صرح بذلك عندما قال له الأوزاعي : ياأبا عبد الله إن هؤلاء[2] ليس يرضون منك إلا بالاعظام لهم ، فقال : ياأبا عمرو إنا لسنا نقدر أن نضربهم ، وإنما نؤديهم بمثل هذا الذي ترى ، والذي أشار إليه ماوقع بينه وبين عبد الصمد في مكة المكرمة بموسم الحج ، عندما طلب عبد الصمد منه أن يكتب عنه المناسك فأجابه

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل ١ / ١٠٦ .
(٢) المشار إليهم هم الحكام .

سفيان بقوله : أولا أدلك على ماهو أنفع لك منها ؟ قال : وماهو ؟ قال : تدع ماأنت فيه ، قال : وكيف أصنع بأمير المؤمنين ؟ قال : إن أردت كفاك الله أبا جعفر [١] .

(١) الحلية ٧ / ٣٩ وسير الاعلام ٧ / ٢٦١ — ٢٦٢ .

الفصل الثالث

محاسبة العلماء للحكام

إنّ من واجب الحاكم المسلم ، مراعاة حقوق الله ، وإقامة شرعه ، ورعاية مصالح العباد على أساسه ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتو الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور﴾[1] ، والذين جعل الله لهم التمكين في الأرض هم الحكام ، وهو شرط الله عز وجل على من آتاه الله الملك[2] .

والأمة الإسلامية لها الحق إن تختار الحاكم المسلم العادل ، وتشترط في طاعته طاعته لله ، وفي عصيانه ، عصيانه لله ، ثم فرض الله على الأمة الإسلامية محاسبة الحاكم إذا زاغ عن الحق ، وعمل بالهوى ، وهذا جزء من مهمتها الكبرى التي ألزمها الله بها بقوله :﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[3] ، وكما نقل عن محمد الباقر[4] رضي الله عنه ـــ قوله : وهل انكار المنكر إلا المحاسبة ؟ والأمر بالمعروف إلا النصيحة القائمة على دعوة الخير ، والخير هو إتباع القرآن

---

(١) الحج : ٤١ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ومانقله عن الضحاك .

(٣) آل عمران : ١٠٤ .

(٤) محمد بن علي بن زين العابدين بن الحسين الهاشمي القرشي . (ت : ١١٤هـ) خامس الائمة الإثني عشر عند الامامية . كان ناسكا عابدا له في العلم والتفسير آراء وأقوال . (حلية الأولياء ٣ / ١٨٠ وتذكرة الحفاظ ١ / ١٢٤ والاعلام ٦ / ٢٧١) .

الكريم والسنة المطهرة[1] .

ويقرر الخليفة أبو بكر الصديق هذا المبدا بعد توليه الخلافة ، فيقول : أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسات فقوموني إلى أن قال : اطيعوني ماطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .[2]

وعمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ يقف على المنبر فيقول : أيها الناس ، إن أحسنت فاعينوني ، وإن صدفت فقوموني ، فقال رجل من آخر المسجد : لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فما كان من أمير المؤمنين إلا أن يقول : الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعواج عمر بسيفه[3] .

اذن : فالقداسة والإتباع لشرع الله ، وما الحاكم إلا راع استرعاه الله أمر هذه الأمة « ياداود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى »[4] وجعل الله المرجع الوحيد عند التنازع ـــ بعد أن أمر بطاعته وطاعة رسوله ، وطاعة أولى الأمر ـــ والذي تعود إليه الأطراف المتنازعة ، هو أمر الله ورسوله ﴿ ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسل ، وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾[5] واسقط أولي الأمر لانهم قد يكونون طرفا

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٣٩٠ .
(٢) محاظرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ١ / ١٧٠ .
(٣) انظر المصدر السابق ٢ / ١٨ .
(٤) سورة (ص) ٢٦ .
(٥) النساء : ٥٩ .

في التنازع ، أو أنهم بشر يخطئون ويصيبون .

وخير من يقوم بمهمة محاسبة الحاكم في هذه الأمة ، هم العلماء لأنهم الثلة الواعية البصيرة بأمر هذا الدين ، والقادرة على التصدي والمواجهة .

المنذر بن سعيد[1] يحاسب الناصر لدين الله[2] .

لما اشتدت الجفوة بين المنذر بن سعيد ، والخليفة الناصر لدين الله ، نتيجة محاسبة المنذر له على إسرافه في بناء مدينة الزهراء[3] أراد ولده الحكم أن يزيل ماوقع بينهما ، فاعتذر له عند الخليفة فقال : ياأمير المؤمنين ، إنه رجل صالح وما أراد إلا خيرا ، ولو رأى ماانفقت وحسن تلك البنية[4] لعذرك . فلما قال له ولده ذلك ، أمر ففرشت بفرش الديباج ،

---

(١) المنذر بن سعيد البلوطي ، أبو الحكم الأندلسي . (ت : ٣٥٥) . قاضي قضاة الأندلس ، وينسب إلى « فحص البلوط » وهو مكان قريب من قرطبة (انظر معجم البلدان ١ / ٤٩٢) ، وكان إماماً عالماً ، وخطيباً مفوهاً ، جامعاً لصنوف العلم والتقوى والزهد والورع . تولى القضاء والجمعة على عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله ، ولم يسمع اخطب منه بالأندلس . (سير الاعلام ١٦ / ١٧٣ ، والبداية والنهاية ١١ / ٢٨٨ وتاريخ علماء الأندلس ٢ / ١٤٤ وتاريخ قضاة الأندلس ص ٦٦) .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المرواني الأندلسي ، باني مدينة الزهراء بويع بالخلافة سنة ٣٠٠هـ ، وكان عمره ٢٢ سنة ، ودامت دولته ٥٠ سنة ، وكان صاحب فتوحات كثيرة ، وغزوات مشهورة ، وهو أول من تلقب بالقاب الخلافة بعد مقتل المقتدر ، ووهن الخلافة العباسية . (سير الاعلام ١٥ / ٥٦٢ ، والبداية والنهاية ١١ / ٢٣٨ والنجوم الزاهرة ٣ / ٣٣٠) .

(٣) مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس ، اختطها عبد الرحمن الناصر الأموي سنة ٣٢٥هـ ، وعملها متزها له ، وأنفق عليها من الأموال مابلغ حد الإسراف . (معجم البلدان ٣ / ١٦١) .

(٤) يريد بالبنية القبة التي شيدها الناصر بالزهراء ، واتخذ قراميدها من فضة وبعضها مغشى =

وجلس فيها لأهل دولته ، ثم قال لقرابته ووزرائه : أرأيتم أم سمعتم ملكا كان قبلي صنع مثل ماصنعت ؟ فقالوا : والله ياأمير المؤمنين ، وإنك الأوحد في هذا الشأن ، فبينما هم على ذلك ، إذ دخل المنذر بن سعيد ناكسا رأسه ، فلما أخذ مجلسه قال له ماقال لقرابته ، فاقبلت دموع المنذر تنحدر على لحيته لسوء مارأى ، وقال : والله ياأمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ ، ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكن مع ماآتاك الله تعالى وفضلك به على المسلمين حتى ينزلك منازل الكافرين ، فاقشعر الخليفة من قوله ، وقال له : انظر ماتقول ، كيف أنزلني الله منازلهم ، فقال : نعم أليس الله تعالى يقول : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ، ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا ، وسررا عليها يتكئون وزخرفا .. ﴾[1] . فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ، وجعلت دموعه تنحدر على لحيته ، ثم أقبل على المنذر وقال له : جزاك الله خيرا ، وعن الدين خيرا فالذي قلت هو الحق ، ثم قام من مجلسه وأمر بنقض سقف القبة ، واعاد قراميدها[2] ترابا على صفة غيرها[3] .

بالذهب ، وجعل سقفها نوعين ، صفراء فاقعة إلى بيضاء ناصعة يستلب الأبصار شعاعها . انظر مجلة الأزهر ــ رمضان ١٣٧١هـ .(مقالة الأستاذ / عبد الحميد العبادي .)

(١) الزخرف ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) القراميد : مفردها « قرميد » وهي الآجر ، ويقال لطوابيق الدار : القراميد ، وبالفتح « القرمد » : خزف يطبخ . (انظر تاج العروس ٢ / ٤٦٥ ولسان العرب ٣ / ٣٥٢) .

(٣) انظر البداية والنهاية ١١ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ . كذلك : مقالة الأستاذ عبد الحميد العبادي . مجلة الأزهر ــ رمضان ١٣٧١هـ .

وهنا استطاع المنذر أن ينهى الخليفة من منكر ، ذلك هو الإسراف واللعب بأموال الأمة على حساب مصالحها ، وقد نهاهم الله عن ذلك .

رحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ الخليفة الثاني بعد رسول الله ﷺ فقد ضرب المثل الأعلى في الحرص على أموال الأمة ، ورعاية حقوق العباد .

كان لأمير المؤمنين عمر خازن على بيت المال يقال له : « معيقيب » فكنس البيت يوما ، فوجد فيه درهما فدفعه إلى ابن عمر ، فقال : ياويحك يامعيقب مالي ومالك ؟ أردت أن تخاصمني أمة محمد في هذا الدرهم يوم القيامة .

وقال عمر : إني لا أجد يحل لي أن آكل من مالكم إلا ماكنت آكل من مالي الخبز والزيت والتمر .

وقال ابن عمر : رأيت عمر في المنام فقال : منذ كم فارقتكم . قلت : منذ اثنتي عشرة . قال : إنما انفلت من الحساب الآن[1] .

ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ، قدمت إليه مراكب الخلافة ، فقال : مالي ومالها ، نحوها عني ، وقدموا إلى دابتي ، فقربت إليه ، فجاء صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة ، فقال : تنح عني ، مالي ولك : إنما أنا رجل من المسلمين ، ثم أمر بالستور فرفعت ، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء ، فأمر ببيعها ، وأدخال ثمنها بيت مال المسلمين ، ثم ذهب يتبوأ مقيلا ، فأتاه ابنه فقال له : أتقيل ولا ترد المظالم ، فقال : أي بني ، إني سهرت البارحة في أمر عمك سليمان ، فإذا صليت الظهر رددت

---

(١) الشفا ص ٧٥ ، ٧٦ ، وانظر سيرة عمر بن الخطاب ص ٧٥ ، ١٦٤ لابن الجوزي .

المظالم ، فقال : من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ فقبل رأسه وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني ، فخرج ولم يقل [1] .

فالحاكم عليه مسؤولية كبرى أمام الله ، وحسابه عسير ، فجميع الرعية لهم حقوق عليه ، وكلهم سائله يوم القيامة حقه ، فليعد الجواب ليوم السؤال !

ذلك الأمر هو الذي دفع الشيخ منذر بن سعيد أن يغضب لله لا لنفسه ، ويحاسب الخليفة على اسرافه رغم مخالفة البطانة الذين قالوا له : وانك الأوحد في شأنك .

فلا تفاخر على حساب مصلحة الأمة ، ولا تثاقل إلى الأرض على حساب الجهاد في سبيل الله ﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ [2] .

وحقا فالناس بين رجلين : عالم وحاكم ، إن صلحا صلح الناس ، وإن فسدا ، فسد الناس ، وعم الشر . لذلك عندما طلب الملك من المنذر أن يصلي بالناس صلاة الإستسقاء يوما ، قال للرسول الذي جاءه بهذا الخبر : كيف تركت الملك ؟ قال : تركته أخشع مايكون ، وأكثره دعاء ، فقال القاضي : سقيتم والله ، إذا خشع جبار الأرض ، رحم جبار السماء (وهذا من فقه المنذر) ثم قال لغلامه : ناد في الناس الصلاة ، فجاء الناس إلى محل الإستسقاء ، وجاء القاضي منذر بن سعيد ، فصعد

---

(١) الشفا لابن الجوزي ص ٧٧ ، ٧٨ ، وانظر : سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، ت : محب الدين الخطيب ص ١٠٤ ، والزهد للإمام أحمد ص ٢٩٣ .

(٢) التوبة : ٣٨ .

المنبر والناس ينظرون إليه ويسمعون مايقول ، فلما أقبل عليهم كان أول ماخاطبهم به قال : ﴿ سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم ﴾[1] ثم أعادها مرارا فأخذ الناس في البكاء والنحيب والتوبة والإنابة ، فلم يزالوا كذلك حتى سقوا ورجعوا يخوضون في الماء[2] .

عبد القادر الجيلاني [3] يحاسب المقتفى لأمر الله[4] :

وقف الشيخ عبد القادر على المنبر ليحاسب المقتفى لأمر الله ، وينكر عليه توليه يحيى بن سعيد ، المشهور بابن المزاحم الظالم ، القضاء

---

(١) الانعام : ٥٤ .

(٢) الخبر في البداية والنهاية ١١ / ٢٨٩ ، والملك كما ورد في سير الاعلام ١٥ / ٥٦٣ هو الناصر لدين الله ، وعندما أصابهم القحط لبس الخليفة ثوبا خشنا ، وبكى واستغفر ، وتذلل لربه ، وقال : ناصيتي بيدك ، لاتعذب الرعية بي ، لن يفوتك مني شيء ، فبلغ القاضي فتهلل وجهه وقال : إذا خشع جبار الأرض ، يرحم جبار السماء .

(٣) عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني . (٤٧١ — ٥٦١هـ) وهو من كبار الزهاد . دخل بغداد وهو شاب سنة ٤٨٨هـ ، واتصل بشيوخ العلم وسمع الحديث ، وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي ، وبرع بأساليب الوعظ وانتفع به الناس كثيرا ، وكان فيه زهد كبير ، ولاتباعه وأصحابه فيه مغالاة ، ويذكرون عنه أقوالا ومكاشفات أكثرها مغالات . صنف كتاب : الغنية ، وفتوح الغيب ، وفيها أشياء حسنة ، وذكر فيها أحاديث ضعيفة وموضوعة . تصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ (البداية والنهاية ١٢ / ٢٥٢ وشذرات الذهب ٤ / ١٩٨ والنجوم الزاهرة ٥ / ٣٧١) .

(٤) محمد بن أحمد بن المستظهر . (ت : ٥٥٥هـ) . ولي الخلافة وله من العمر يومئذ أربعون سنة ، وكان قد بويع بها بعد خلع الراشد بيومين ، وخطب له على المنابر يوم الجمعة لعشرين من ذي القعدة سنة ٥٣٠هـ ولقب بالمقتفى لأنه كما يقال : أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام ، وقال له : سيصل هذا الأمر إليك فاقتف بي ، فصار إليه بعد ستة بأيام فلقب بذلك . (البداية والنهاية ١٢ / ٢١٠ والكامل في التاريخ ١١ / ٢٥٦ والاعلام ٥ / ٣١٧) .

فقال مخاطبا له : « وليت على المسلمين اظلم الظالمين ، فما جوابك غدا عند رب العالمين ، ارحم الراحمين فارتعد الخليفة وعزل المذكور لوقته »[1] .

العز بن عبد السلام مع سلطان الديار المصرية :

كان لسلطان العلماء ، موقف عظيم يبدو عليه ملامح الصدق ، ونور الهدى . طلع الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ، ومجلس المملكة ، وما السلطان فيه من الابهة ، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية ، وشاهد العز الأمراء وهم يقبلون الأرض بين يدي السلطان ، فثارت حمية الحق في صدره ، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه : ياأيوب ماحجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر تبيح الخمور ؟ فقال هل جرى هذا ؟ فقال : نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة — يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون — فقال : ياسيدي هذا أنا ماعملته ، هذا من زمان أبي فقال : أنت من الذين يقولون : « إنا وجدنا آباءنا على أمة ... »[2] فرسم السلطان بابطال تلك الحانة .

قال الباجي[3] : سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان ، وقد شاع

---

(١) قلائد الجواهر ص ٨ .

(٢) الزخرف : ٢٢ .

(٣) هو الإمام علاء الدين أبو الحسن الباجي ، أحد تلامذة العز بن عبد السلام . (طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٢٠٩) .

الخبر : ياسيدي كيف الحال ؟ فقال : يابني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه ، فقلت : ياسيدي أما خفته ؟ فقال : والله يابني استحضرت هيبة الله تعالى ، فصار السلطان قدامي كالقط[1] .

شيخ الإسلام ابن تيمية يحاسب أمير التتار « غازان »[2] :

ولشيخ الإسلام ابن تيمية موقف رائع في محاسبته للسلطان ، وذلك عندما زحف جيش غازان التتري من ايران نحو حلب ، والتقى جيش غازان بجيش الناصر في وادي سلمية يوم ٢٧ ربيع الأول سنة ٦٩٩هـ ، وبعد معركة عنيفة هزم جيش الناصر ، وانهزم الجند وأمراؤهم ، ونزح أعيان دمشق إلى مصر يتبعون سير الناصر حتى خلت دمشق من حاكم أو أمير ، أو أعيان البلاد ، لكن شيخ الإسلام بقي صامدا مع عامة الناس واجتمع مع كبارهم ، وأتفق معهم على تولي الأمور ، وأن يذهب هو بنفسه على رأس وفد من الشام لمقابلة غازان ، فقابله في بلده « النبك » وقد دارت بينهما مناقشة شديدة ، حاسب فيها غازان على تصرفه السيء ، ونكثه للعهد .

قال الشيخ ابن تيمية لغازان ــ وكان هناك ترجمان يترجم كلام الشيخ :

(أنت تزعم إنّك مسلم ، ومعك قاض وإمام ، وشيخ ومؤذنون ، على

---

(١) المصدر السابق .

(٢) وهو رابع ملك مسلم من التتار ، (٦٧٠ ــ ٧٠٣هـ) ، وهو أخو خدا بنده (٦٨٠ ــ ٧١٦) الذي ألف له الرافضي الكتاب المردود عليه .

(انظر البداية والنهاية ١٤ / ٢٩ ، وحاشية مختصر منهاج السنة ص ٣٣٩) .

مابلغنا فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا ؟ وأبوك وجدك كانا كافرين ، وما غزوا بلاد الإسلام بعد أن عاهدونا ، وأنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت ، وجرت لابن تيمية مع غازان أمور قام بها ابن تيمية كلها لله وقال الحق ولم يخش إلا الله عز وجل .

ثم قرب غازان إلى الوفد طعاما فأكلوا إلا ابن تيمية ، فقيل له : إلا تاكل ؟ فقال كيف آكل من طعامكم ، وكله مما نهبتم من أغنام الناس ، وطبختموه مما قطعتم من اشجار الناس ؟ وغازان مصغ لما يقول ، شاخص إليه لايعرض عنه ، وإن غازان من شدة ماأوقع في قلبه من الهيبة والمحبة ، سأل من هذا الشيخ ؟ إني لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه ، ولا أوقع من حديثه في قلبه ، ولا رأيتني أعظم انقيادا لأحد منه فأخبر بحاله ، وما هو عليه من العلم والعمل ، ثم طلب منه غازان الدعاء فقال الشيخ يدعو : اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك ، فانصره وأيده ، وملكه البلاد والعباد ، وإن كان قد قام رياء وسمعة ، وطلبا للدنيا ، ولتكون كلمته هي العليا ، وليذل الإسلام وأهله فأخذ له ، وزلزله ، ودمره ، وأقطع دابره ، وغازان يؤمن على دعائه ، ويرفع يديه .

قال البالسي[1] : فجعلنا نجمع ثيابنا خوفا من أن تتلوث من دم ابن تيمية إذا أمر بقتله ، فلما خرجنا من عنده ، قال قاضي القضاة ــ وغيره ممن كان معه ــ كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك ، والله لا نصحبك من هنا ، فقال : وإني والله لا أصحبكم فإنطلقوا عصبة وتأخر هو في خاصة نفسه ومن معه جماعة من أصحابه ، فتسامعت به الخواتين والأمراء

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر البالسي ، الذي كان من أعضاء وفد المقابلة ، وهو شيخ عابد ناسك .(انظر مختصر منهاج السنة للذهبي ص ٣٣٢ .)

أصحاب غازان ، فأتوه يتبركون بدعائه ، وهو سائر إلى دمشق ، ووالله ماوصل إلى دمشق إلا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه ، وكنت أنا من جملة من كان معه ، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه ، فخرج عليهم جماعة من التتار فشلحوهم ـــ أي سلبوهم ثيابهم وما معهم ـــ)[1] .

الإمام النووي[2] يحاسب الظاهر بيبرس[3] :

لما أراد الظاهر بيبرس ، قتال التتار بالشام ، أخذ الفتاوى من العلماء بجواز أخذ المال من الرعية يستنصر به على قتالهم ، فكتب له فقهاء الشام بذلك ، فاجازوه فقال : هل بقي من أحد ؟ فقيل له : بقي الشيخ محي الدين النووي ، فطلبه فحضر فقال له : اكتب خطك مع الفقهاء ، فامتنع ، فقال : ماسبب امتناعك ؟ فقال : أنا أعرف إنك كنت في الرق للأمير بندقار[4] ، وليس لك مال ثم منّ الله عليك وجعلك ملكا ، وسمعت إن عندك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من الذهب ، وعندك مائتا جارية ، لكل جارية حق من الحلي ، فإذا أنفقت ذلك كله ،

---

(١) (البداية والنهاية ١٤ / ٧ و ١٤ / ٨٩ ، وانظر حاشية مختصر منهاج السنة ص ٣٢٩ ـــ ٣٣٢) .

(٢) يحيى بن شرف ، أبو زكريا ، محي الدين ، النووي الشافعي . (٦٣١ ـــ ٦٧٦هـ) علامة في الفقه والحديث ، وله في « نوا » (وهي قرية من قرى حوران بسورية) وإليها نسبته . (النجوم الزاهرة ٧ / ٢٧٨ والاعلام ٨ / ١٥٠) .

(٣) بيبرس العلائي البندقاري ، الصالحي . (٦٢٥ ـــ ٦٧٦هـ) ركن الدين الملك الظاهر ، صاحب الفتوحات والأخبار والآثار . كان شجاعا جبارا يباشر الحروب بنفسه ، وله وقائع هائلة مع التتار والصليبيين . (فوات الوفيات ١ / ٨٥ والنجوم الزاهرة ٧ / ٩٤ والاعلام ٢ / ٧٩) .

(٤) هو علاء الدين ايدكين البندقار . (انظر ترجمة بيبرس في الاعلام ٢ / ٧٩) .

وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلا من الحوائص ، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي ، افتيتك بأخذ المال من الرعية ، فغضب الظاهر من كلامه ، وقال : أخرج من بلدي ــ يعني دمشق ــ فقال : السمع والطاعة . وخرج إلى نوى ، فقال الفقهاء : إنّ هذا من كبار علمائنا وصلحائنا ، وممن يقتدى به فأعده إلى دمشق ، فرسم برجوعه ، فامتنع الشيخ وقال : لا أدخلها والظاهر فيها ، فمات الظاهر بعد أشهر[1] .

عالم أزهري يحاسب الخديوي إسماعيل[2] :

يقول صاحب كتاب من أخلاق العلماء : حدثني صديقي الكريم محمد فهمي الناضوري (باشا) عن أحمد أفندي بدوي ، عن أبيه عن جده ، وكان من شيوخ الأزهر في زمن الخديوي إسماعيل .

قال : لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة ، وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلافة بين قوادها وجيوشها ، ضاق صدر الخديوي لذلك ، فركب يوما مع شريف باشا وهو محرج ، فأراد أن يفرّج عن نفسه ، فقال الشريف : ماذا تصنع حينما تلم لك ملمة تريد أن تدفعها ؟ فقال : ياأفندينا ، إنّ الله عودني إذا حاق بي شيء من ذلك ألجا إلى صحيح البخاري يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس ، فيفرج الله عني ، قال : فكلم

---

(١) من أخلاق العلماء ص ٩ .

(٢) إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي الكبير . (١٢٤٥هـ ــ ١٣١٢) . خديوي مصر ، ولد في القاهرة وتعلم بها ، ثم في فرنسا ، وولي مصر سنة ١٢٧٩هـ وهو أول من أطلق عليه لقب الخديوية من رجال أسرته . إستمر في الحكم حتى سنة ١٢٩٦ ، حيث طلبت حكومتا إنكلترا وفرنسا من حكومة الأستانة بعزله ، فعزل في تلك السنة ، وقضى بقية أيامه في أوربا وتركيا إلى أن توفي في الأستانة سنة ١٣١٢هـ ونقلت جثته إلى القاهرة . (الاعلام ١ / ٣٠٨) .

الخديوي شيخ الجامع الأزهر ، وكان الشيخ العروسي ، فجمع له صلحاء العلماء وأخذوا يتلون في البخاري أمام القبة القديمة في الأزهر ، قال : ومع ذلك ظلت الهزائم تتوالى ، فذهب الخديوي ، ومعه شريف إلى العلماء ، وقال لهم محنقا : اما انّ هذا الذي تقرؤونه ليس صحيح البخاري ، أو انكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح ، فإنّ الله لن يدفع بكم ، ولا بتلاوتكم شيئا ، فوجم العلماء ، وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له : منك ياإسماعيل ، فانا روينا عن النبي ﷺ أنه قال : لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم[1] ، فزاد وجم المشائخ وانصرف الخديوي ، ومعه شريف ، ولم ينبسا كلمة ، وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه ، فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسأل : أين الشيخ القائل للخديوي ماقال ؟ فقال الشيخ : أنا ، فأخذه وقام ، وإنقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ ، يودعونه وداع من لايأمل أن يرجع ، وسار شريف بالشيخ إلى أن دخلا على الخديوي في قصره ، فإذا به قاعد في البهو ، وأمامه كرسي أجلس الشيخ عليه وقال له : أعد ياأستاذ ماقلته لي في الأزهر ، فأعاد عليه الشيخ كلمته وردد الحديث وشرحه ، فقال له الخديوي : وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء ؟ .

قال له : ياأفندينا ، أليس المحاكم المختلطة فتحت بقانون يبيح الربا ، أليس الزنا برخصة ؟ أليس الخمر مباحا ؟ أليس ، أليس ، وعدد له منكرات تجري بلا إنكار ، وقال : كيف تنتظر النصر من السماء ؟ فقال الخديوي : وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب ، وهذه هي مدنيتهم ؟ قال

---

(١) سبق تخريجه ص ٥١ بلفظ مقارب .

الشيخ : إذن فما ذنب البخاري ؟ وما حيلة العلماء !؟ ففكر الخديوي مليا ، وأطرق طويلا ، ثم قال له : صدقت صدقت[1] .

(١) من أخلاق العلماء ص ١٠١ و ١٠٢ .

الفصل الرابع

تقديم العلم على حظوظ النفس

« واعلم أنه لا مفسد أضر على الدين ، وأبعث على إضاعة الكتاب ونبذه وراء الظهر ، واشتراء ثمن قليل به ، من جعل أرزاق العلماء ورتبهم في أيدي الأمراء والحكام فيجب أن يكون علماء الدين مستقلين تماما الإستقلال دون الحكام لا سيما المستبدين منهم ، وأنني لا أعقل معنى لجعل الرتب العلمية ، ومعايش العلماء في أيدي السلاطين والأمراء إلا جعل هذه السلاسل الذهبية أغلال في أعناقهم يقودونهم بها إلى حيث شاءوا من غش العامة باسم الدين ، وجعلها مستعبدة لهؤلاء المستبدين »[1] .

لذلك كان أكثر علماء السلف يرفضون أعطيات الحكام ، ويهربون من قرب الأمراء المستبدين ، كما يهربون من الوحش الكاسر ، وكانوا يرفضون اشغال بعض المناصب للحكام ، لأنهم يعتبرون كل ذلك بمثابة إمتحان يجريه بعض الحكام للعلماء لمعرفة مقدار الولاء لهم .

يقول حذيفة بن اليمان ـــ رضي الله عنه : (إياكم ومواقف الفتن ، قيل : وما هي ؟ قال : أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه)[2] .

---

(١) مقالة الشيخ محمد رضا . تفسير المنار ٤ / ٢٨٤ .

(٢) تفسير المنار ٤ / ٢٨٥ .

وكان سعيد بن المسيب[1] يتجر في الزيت ، ويقول : انّ في هذا لغني عن هؤلاء السلاطين[2] .

وهنا نود التنبيه إلى أن مايأخذه العلماء من أموال مقابل قيامهم بالوظائف المعروفة ، من إمامة وخطابة ، وتدريس ، وغير ذلك ، إنّما لتفرغهم من العمل الذي يكسبون به ، لذا كان أخذهم لهذا المال جائز حتى لو كان من غير الأوقاف التي أوقفها أصحابها من المسلمين لصرفها بهذا الشأن ، الّا أن الذي يريده الإسلام من هؤلاء العلماء أن لا تكون هذه أداة للسكوت عن منكرات الحكام ، وترك الإنكار عليهم أو التقاعس عن بيان مايرونه خطا وضلالا ، حتى لو أغضب الحكام[3] .

وسفيان الثوري كان يدعو إلى العمل الحر دون التقيد بوظائف السلطان أو الحاكم حتى لا يكون أسيراً لها ، وفي ذلك يقول : « العالم إذا لم يكن له معيشة صار وكيلا للظلمة ، والعابد إذا لم تكن له معيشة أكل بدينة ، والجاهل إذا لم تكن له معيشة كان سفيراً للفسّاق » .

وكان — رحمه الله — أكثر العلماء بعداً عن منح الحكام ، لأنه يخشى أن يكون هذا دافعا للسكوت عن الباطل . ويعبر عن ذلك بقوله :

---

(١) سعيد بن حزن بن أبي وهب ، القرشي . (ت : ٩٤هـ) عالم أهل المدينة ، وسيد التابعين في زمانه ، رأى مجموعة من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلي ، قال عنه علي بن المديني : (لا أعلم في التابعين أحدا أوسع علما من ابن المسيب ، وهو عندي من اجلّ التابعين) . وله مواقف عظيمة في الصدع بالحق . (طبقات ابن سعد ٥ / ١١٩ والحلية ٢ / ١٦١ وسير الاعلام ٤ / ٢١٧ والبداية والنهاية ٩ / ٩٩) .

(٢) احياء علوم الدين ٢ / ١٢٦ .

(٣) الإسلام بين العلماء والحكام ص ١٢٨ .

« ليس أخاف إهانتهم ، وإنما أخاف كرامتهم فلا أرى سيئتهم سيئة »[1] .

وكثير من العلماء تركوا العَطاء تورعاً منهم ومخافة علىٰ دينهم من أن يُحمَلوا علىٰ مالا يحل .

يقول أبو ذر للأحنف بن قيس : « خذ العطاء ماكان نحله ، فإذا كان أثمان دينكم فدعوه »[2] .

وحتى علماء السلف الذين كانوا يقبلون أعطيات الحكام ، لم يأخذوها طمعا في المال أو رغبة فيه ، بل هم في ذلك على قسمين :[3] .

١ ــ كانوا يأخذونها بقصد الإنفاق ، وتوزيعها على أهل العلم وطلابه ، أو على من هم بحاجة إليها من فقراء المسلمين على شرط أن لا تكون تلك المنح سببا يثنيهم عن القيام بواجبهم إزاء الحاكم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالإمام مالك كان لايتاثم من الأخذ من الخلفاء لأنه مال المسلمين[4] .

ولما بعث المتوكل[5] للإمام أحمد بن حنبل مبلغا من المال قدره ــ عشرة آلاف درهم ــ مع أحد حجبته ، امتنع الإمام أحمد من أخذها

---

(١) سير الإعلام ٧ / ٢٦٢ ، وكما قيل في المثل العامي : أطعم الفم تستحي العين !!

(٢) الاحياء ٢ / ١٢٠ .

(٣) راجع هذه التقسيمات الإسلام بين العلماء والحكام ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٤) كتاب أحمد بن حنبل لأبي زهرة ص ٧٦ .

(٥) جعفر بن محمد بن هارون الرشيد العباسي . (٢٠٧ ــ ٢٤٧هـ) . بويع بالخلافة بعد الواثق ٢٣٢هـ ، ونقل مقر الخلافة من بغداد إلى سامراء ، وأغتيل فيها . (تاريخ بغداد ٧ / ١٦٥ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٤٩) .

وقبولها . فقال له الحاجب : ياأبا عبد الله إني أخشى من ردك إياها أن يقع وحشة بينك وبينه ، والمصلحة لك في قبولها . فأخذها الإمام أحمد ووزعها على المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة ، فلم يبق منها درهم واحد ، وحتى الكيس الذي كانت فيه تصدق به ، ولم يعط لأهله منها شيء وهم في غاية الفقر والجهد[1] .

وهجر الإمام أحمد عمه وولديه لأنهم قبلوا صلة السلطان بسبب حاجتهم ، ثم أمر بسد الباب الذي بينه وبينهم ، وتحامى منازلهم أن يدخل منها إلى منزله شيء[2] .

ويقرر الإمام الغزالي قبول العطية فيقول : (أن يأخذ ماأخذ من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين ، فإنّ مالا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه . فإذا كان السلطان إنّ لم يفرقه ، واستعان به على ظلم ، تقول : أخذه منه ، وتفرقته أولى من تركه في يده ، وهذا قد رآه بعض العلماء ، وعلى هذا ينزل ماأخذه أكثرهم ، ولذلك قال ابن المبارك[3] : إنّ الذين يأخذون الجوائز اليوم يحتجون بابن عمر ، وعائشة أم المؤمنين ، مايقتدون بهما لأنّ ابن عمر فرق ماأخذه حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين ألفا ، وعائشة فعلت مثل ذلك ،

---

(١) البداية والنهاية ١٠ / ٣٣٨ .

(٢) انظر مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٤٦٥ ــ ٤٦٦ وطبقات الحنابلة ١ / ١٠ .

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي . (ت : ١٨١هـ) . العالم الزاهد ، الذي أفنى عمره في الأسفار حاجا ، ومجاهدا ، وتاجرا . كان من سكان خراسان ، ومات بهيت . (سير الاعلام ٤ / ٤٨١ والبداية والنهاية ٩ / ٩٣ وتهذيب التهذيب ٢ / ٣٨) .

وجابر بن زيد[1] جاءه مال فتصدق به ثم قال : رأيت أن آخذ منهم وأتصدق أحب إليّ من أن أدعها في أيديهم . وهكذا فعل الشافعي[2] رحمه الله بما قبله من هارون الرشيد فإنّه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة[3] .

٢ ـــ يأخذون حظهم المقسوم من الحكام ، وفي نفس الوقت يقومون بواجبهم تجاه الحاكم ، ومن هؤلاء بعض أئمة أهل البيت الكريم كالإمام جعفر الصادق[4] فقد كانوا يأخذون حظ بني هاشم من الأموال ، وكذلك الإمام الشافعي كان يأخذ حظه من سهم بني عبد المطلب من الغنيمة .

هذا إذا كانت أموال الحكام من الحلال الطيب ، أمّا إذا تغيرت الصور فله حكم آخر ، يقول النبي ﷺ : « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به »[5] .

---

(١) جابر بن زيد الأزدي اليحمدي ، أبو الشعثاء . (ت : ١٠٣هـ) . تابعي جليل من كبار تلامذة ابن عباس . (سير الاعلام ٤ / ٤٨١ والبداية والنهاية ٩ / ٩٣ وتهذيب التهذيب ٢ / ٣٨) .

(٢) محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي القرشي . الإمام القدوة ، واحد الأئمة الاعلام ، وإليه تنسب الشافعية ، ولد في غزة ، ومات أبوه إدريس شابا . فنشا يتيما في حجر أمه . أقبل على الحديث والفقه حتى أصبح إمام الملة . توفي في مصر ، رحمه الله . (سير الاعلام ١٠ / ٥ وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٢٩ وتهذيب التهذيب ٩ / ٢٥) .

(٣) احياء علوم الدين ٢ / ١٢٢ .

(٤) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . (٨٠ ـــ ١٤٨هـ) رأى بعض الصحابة . (حلية الأولياء ٣ / ١٩٢ وسير الاعلام ٦، ٢٥٥) .

(٥) رواه الترمذي من حديث كعب بن عجرة ، وحسنة . انظر حاشية الاحياء ٢ / ١٣٧ .

ويقرر الإمام الغزالي عن وضع أموال السلاطين في عصره ، فيقول : « إنّ أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها ، وكيف لا والحلال هو الصدقات والفيء والغنيمة لا وجود لها ، وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ، ولم تبق الّا الجزية وإنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به فإنهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ ، والمأخوذ منه ، والوفاء له بالشرط ، ثم إذا نسب ذلك إلى ماينصب إليهم من الخراج المضروب على المسلمين ، ومن المصادرات والرشا ، وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيرة » .

ثم يفرق بين عطية السلاطين في الماضي ، وعطاياهم في زمانه ، فيقول :

« إنّ الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين ، كانوا مستشعرين من ظلمهم ، ومتشوقين إلى إستمالة قلوب الصحابة والتابعين ، وحريصين على قبولهم عطاياهم ، وجوائزهم ، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال ، بل يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به ، وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ، ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم ، ولا يغشون مجالسهم ، ولا يكثرون جمعهم ، ولا يحبون بقاءهم ، بل يدعون عليهم ، ويطلقون اللسان فيهم ، وينكرون المنكرات عليهم ، فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ماأصابوا من دنياهم ، ولم يكن بأخذهم بأس » .

أما عن زمانه فيقول : « فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في إستخدامهم والتكثر بهم ، والإستعانة بهم على أغراضهم ، والتجمل بغشيان مجالسهم ، وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والإطراء في حضورهم ومغيبهم ، فلم لم يذلّ الآخذ بالسؤال

أولا ، وبالتردد في الخدمة ثانيا ، وبالثناء والدعاء ثالثا ، وبالمساعدة له على أغراضه عند الإستعانة رابعا ، وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا ، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادسا ، وبالستر على ظلمه ومقابحه ، ومساوى ، أعماله سابعا ، لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي ــ رحمه الله ــ مثلا .

فإذاً : لايجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان مايعلم إنه حلال لافضائه إلى هذه المعاني ، فكيف مايعلم إنه حرام ، أو يشك فيه ، فمن إستجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين ، فقد قاس الملائكة بالحدادين ، ففي أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ، ومراعاتهم ، وخدمة عمالهم ، وإحتمال الذل منهم ، والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم ، وكل ذلك معصية »[1] .

أسلوبهم في رد منح الحكام .

١ ــ منهم من ردها بوجه الحاكم .

٢ ــ منهم من ردها برفق وليونة .

فإما عن الفريق الأول ، فسنستعرض بعض المواقف التي تبين لنا ذلك .

الفضيل بن عياض يرد أعطية هارون الرشيد .

عندما حج هارون الرشيد ، وعظه الفضيل بما وعظ ، فلما هم الرشيد بالخروج ، قال للفضيل : أعليك دين ؟ قال : نعم ، دين لربي لم يحاسبني عليه ، فالويل لي أن سألني ، والويل لي أن ناقشني ، والويل لي أن

(١) احياء علوم الدين ٢ / ١٢٢ ، ١٢٣ .

لم يلهمني حجتي . قال : إنما أنا أعني دين العباد ، قال : إنّ ربي لم يأمرني بهذا ، أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره ، فأعطاه الرشيد ألف دينار فردها ، وقال له : أنا أدلك على النجاة ، وتكافئني بمثل هذا ، سلمك الله ووفقك ، ولم يكلمه بعدها[1] .

أبو حازم يرفض أعطية سليمان :

لما حج سليمان بن عبد الملك ، وعظه أبو حازم بما هو مشهور ، فقال له : ارفع إلينا حوائجك . قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطاني منها يكفي ، وما منعني منها رضيت ، يقول تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾[2] فمن الذي يستطيع أن ينقص من كثير ماقسم أو يزيد في قليل ماقسم الله ؟ فبكى سليمان بكاءا شديدا ، فقال رجل من جلسائه : أسأت إلى أمير المؤمنين . فقال أبو حازم : أسكت فإن الله تعالى أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه [3] .

أبو جعفر المنصور يسأل سفيان أن يرفع حاجته :

وجّه سفيان الثوري كلاما حادا في غاية الجراءة إلى أبي جعفر المنصور عندما أدخل عليه في منى ، وسأله أن يرفع حاجته ، فأجابه بقوله : إتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا ، فطأطأ رأسه ثم رفع فقال : ارفع إلينا حاجتك ، فقال سفيان : إنّما أنزلت هذه المنزلة بسيوف

---

(١) علماء الإسلام . محمد السلمان ص ١٢٠ .

(٢) الزخرف ٣٢ .

(٣) علماء الإسلام ص ١٢٠ .

المهاجرين والأنصار ، وأبناؤهم يموتون جوعا ، فاتق الله واوصل إليهم حقوقهم . فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال : ارفع إلينا حاجتك ، فقال سفيان : حج عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ فقال لخازنه : كم أنفقت ؟ قال : بضعة عشر درهما . وأرى ههنا أموالا لا تطيق الجبال حملها ، وخرج[1] .

وبالرغم من أن المنصور يطلب من سفيان أن يرفع حاجته ليكرمه ، ويسدي عليه فضلا ، إلا أن ذلك لم يثن سفيان عن توبيخ المنصور ، ومع تكرار الطلب من قبل المنصور ، يزداد سفيان في عنفه لأن نفسه الكريمة تجردت عن عوارض الدنيا الزائلة ، طالبة نصرة الحق مهما فاتها من حظوظ الدنيا .

سفيان يرفض إستلام القضاء :

أتي بسفيان الثوري إلى المهدي ، فلما دخل عليه سلم ولم يسلم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه ، متكئا على سيف يرقب أمره ، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق ، وقال له : ياسفيان تفر ههنا وههنا ، وتظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ؟ فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟ قال سفيان : إن تحكم في يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل ، فقال الربيع : ياأمير المؤمنين الهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ أتأذن لي أن أضرب عنقه[2] ، فقال له المهدي :

---

(١) احياء علوم الدين ٢ / ١٢٩ .

(٢) الربيع بن يونس هذا وضيع الأصل جاهل بالشرع وأحكامه مائل للدنيا والتسلط على العباد فلا غرابة أن يصدر منه هذا القول والفعل .

أسكت ويلك ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم ، فنشقى لسعادتهم ، أكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم ، فكتب ودفعه إليه ، فأخذه ورمى به في دجلة ، وغاب عن أنظار الناس ، فطلب في كل بلد فلم يوجد ، فعين مكانه شريك النخعي [(١)(٢)].

ومع أن هذه المنحة (قضاء الكوفة) كان يتمناها الكثير ، إلا أن سفيان آثر إلتزام منهجه في إعتزال الحكام ، والإبتعاد عن عطاياهم ، وعدم التقرب إليهم .

وتوجد روايات تفيد ندم سفيان على شدّته وعنفه مع الحكام وربما لأنه وجد أن ذلك أعاقه عن نشر السنة وإضطره للإختفاء والبعد عن الجماعات .

ومن العلماء من شغل بعض المناصب للحكام ، لكن ليس على حساب الدين والإخلاص لله تعالى ، ومع ذلك فقد كانوا كارهين لها ، عاملين جهدهم على تركها .

فهذا ابن الأثير [(٣)] قد تولى بعض المناصب الجليلة ، وعندما عرض له مرض كف يديه ورجليه ، إنقطع في منزله ، وترك المناصب ، والإختلاط

---

(١) شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي . (ت : ١٧٧هـ) . استقضاه المنصور على الكوفة سنة ١٥٣ ، واشتهر بعدله وحكمته . توفي في الكوفة . (وفيات الاعيان ١ / ٢٢٥ وتاريخ بغداد ٩ / ٢٧٩ وميزان الإعتدال ٢ / ٢٧٠ والبداية والنهاية ١٠ / ١٧١) .

(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٠ .

(٣) المبارك بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد . (٥٤٤ ــ ٦٠٦هـ) . مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي ، المعروف بابن الأثير . كان عالما في الأصول والنحو والحديث ، واللغة ، وله تصانيف كثيرة) (البداية والنهاية ١٣ / ٥٤) .

بالناس ، وكان الرؤساء يغشونه في منزله . فحضر إليه بعض الأطباء ، والتزم بعلاجه ، ولما قارب البرء وأشرف على الصحة ، ودفع للطبيب شيئا من الذهب ، وقال : امض لسبيلك ، فلامه أصحابه على ذلك وقالوا له : هلا أبقيته إلى حصول الشفاء ؟ فقال لهم : أنني متى عوفيت طلبت للمناصب ، ودخلت فيها وكلفت قبولها ، أما مادمت على هذه الحالة فإني لا أصلح لذلك ، فإصرف أوقاتي في تكميل نفسي ومطالعة كتب العلم ، ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم ، والرزق لابد منه ، فاختار — رحمه الله — عطلة جسمه لتحصل له بذلك الإقامة على العطلة عن المناصب ، وفي تلك الفترة ألف كتاب جامع الأصول ، والنهاية ، وغيرهما[1] .

سالم بن عبد الله[2] يرفض السؤال :

« دخل هشام[3] الكعبة ، فإذا هو بسالم بن عبد الله ، فقال له : سلني حاجة ، قال : إني أستحي أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج قال : الآن فسلني حاجة ، قال : والله ماسألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألها

---

(١) علماء الإسلام ص ٥٧ .

(٢) سالم بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — (ت : ١٠٦) الإمام الزاهد مفتي المدينة ، وأحد العلماء الاعلام ، ومن فقهاء المدينة السبعة ، وهو من العباد الزهاد ، فقد كان خشن العيش ، ويلبس الصوف الخشن . ولد في خلافة عثمان . (سير الاعلام ٤ / ٤٥٧ ، والبداية والنهاية ٩ / ٢٣٤ وتهذيب التهذيب ٤٣٦) .

(٣) هشام بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي . (ت : ١٢٥هـ) بويع بالخلافه بعد أخيه يزيد بعهد منه إليه سنة ١٠٥هـ . (الكامل لابن الأثير ٥ / ٢٦١ ، والبداية والنهاية ٩ / ٣٥١ ودول الإسلام ١ / ٨٥) .

من لايملكها »[1].

العز بن عبد السلام والملك الأشرف[2] :

إلتقى العز بن عبد السلام مع السلطان موسى ، في الوقت الذي كان السلطان قد مرض مرض الموت ، فقال العز للسلطان : « السلطان في مثل هذا المرض ، وهو على خطر ونوابه يبيحون فروج النساء ، ويدمنون الخمور ، ويرتكبون الفجور ، ويتنوعون في تمكيس المسلمين ، ومن أفضل ماتلقى الله به أن تتقدم بإبطال هذه القاذورات وبإبطال كل مكس ، ودفع كل مظلمة ، فتقدم — رحمه الله — بإبطال ذلك كله ، وقال له : جزاك الله عن دينك ، وعن نصائحك ، وعن المسلمين خيرا ، وجمع بيني وبينك في الجنة بمنه وكرمه ، وأطلق له ألف دينار مصريه ، فردها عليه ، وقال : هذه اجتماعة ﷺ ولا أكدرها بشيء من الدنيا »[3].

أبو حنيفة مع المنصور العباس :

ومن العلماء من كان يرد منح الحكام وإعطياتهم برفق ومن غير تجريح ، ذلك مايظهر من موقف الإمام أبي حنيفة — رحمه الله — عندما أرسل إليه أبو جعفر المنصور بجائزة مقدارها عشرة آلاف درهم ، وجارية ، فامتنع عن أخذ المال ، وإعتذر عن الجارية بإسلوب لطيف فقال : إني

---

(١) سير الاعلام ٤ / ٤٦٦ والبدايه والنهاية ٩ / ٢٣٥ .

(٢) موسى بن الملك العادل بن أيوب . وكان العز بن عبد السلام له مواقف كثيرة معه بدمشق قبل خروجه إلى مصر . (انظر طبقات الشافعية ٨ / ٢١٨ — ٢٤١) .

(٣) المصدر السابق ٨ / ٢٤١ .

ضعفت عن النساء ، وكبرت فلا أستحل أن أقبل جارية لا أصل إليها ، ولا أجرؤ أن أبيع جارية خرجت من ملك أمير المؤمنين [1] .

ولما وقع الشقاق بين المنصور ، وزوجه بسبب ميله عنها ، واحتكما عند أبي حنيفة ، فقضى لها ، فلما بلغ أبو حنيفة منزله ، أرسلت زوج المنصور خادما ومعه مال ، وثياب ، وجارية وحمار ، فردها وقال للخادم إقرئها السلام وقل لها : إنما ناضلت عن ديني ، وقمت بذلك المقام لله ، لم أرد بذلك تقربا إلى أحد ، ولا التمست به دنيا[2] .

وبهذا يتضح لنا موقف العلماء من اعطيات الحكام ، وكيف أنهم صانوا العلم الذي كرمهم الله به ، ورفع درجاتهم ، من أن يكون عرضة للأهواء والنزوات . لذلك عندما أهدي إلى عيسى بن يونس[3] مبلغ كبير من المال ، رده وقال : (لا والله لا يتحدث أهل العلم إني أكلت للسنة ثمنا .. ، فأما عن الحديث ، فلا ولا شربة ماء ، ولا اهليلجة [4][5] .

ذلك لأن العالم إذا طالت يده إلى ماعند الناس ، هان عليه علمه ، وسقطت هيبته ، وقل حياء الناس منه ، ويزداد ذلك كلما كانت رغبته بما عند الحكام أكثر .

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام ص ١٢٢ .

(٢) أبو حنيفة ، للأستاذ أبي زهرة ص ٣٧ .

(٣) ابن أبي إسحاق ، عمرو بن عبد الله . (ت ٨٧هـ ، وقيل ٨٨هـ) الإمام القدوة الحافظ ، كان واسع العلم ، كثير الرحلة ، وافر الجلالة . قيل إنه غزا خمسا وأربعين غزوة . (سيرالاعلام ٨ / ٤٨٩ وميزان الاعتدال ٣ / ٣٢٨) .

(٤) بكسر الالف وفتح اللام : شجر ينبت في الهند وكابل والصين ، ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار .

(٥) سير الاعلام ٨ / ٤٩٣ .

وسفيان الثوري يذم العلماء الذين يلوذون بباب السلاطين ، فيقول : (إذا رأيت القارئ يلوذ بباب السلطان فاعلم انه لص)[1] .

وينصح العلماء بقوله : (إنّ هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة ، فاتركوا لهم الدنيا)[2] ولقوله شاهد في الشعر :

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقد صور لنا العالم الجليل وهب بن منبه[3] استغناء العلماء الأوائل ، وعزوفهم عن دنيا الملوك ، ودنيا الناس ، وقارنهم بعلماء عصره فقال : (كان العلماء قبلنا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لايلتفتون إلى دنياهم ، فكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم رغبة في علمهم فأصبح أهل العلم منا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم ، فأصبح أهل الدنيا زاهدين في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم ، فإياك وأبواب السلاطين ، فإن عند أبوابهم فتنا كمبارك الإبل ، ولا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك مثله)[4] .

وكان كلامه هذا موجه إلى عطاء الخراساني[5] .

---

(١) الحليه ٦ / ٣٨٧ .

(٢) سير الاعلام ٧ / ٢٧٨ .

(٣) وهب بن منبه بن كامل بن سيج . (٣٤ ــ ١١٤هـ) . تابعي جليل ، كانت له معرفة بكتب الأوائل ، وله صلاح وعبادة ، ويروى عنه أقوال حسنة ، وحكم ومواعظ ، وكان من أبناء فارس ، وكان على قضاء صنعاء . (تذكرة الحفاظ ١ / ٩٥ وسير الاعلام ٤ / ٥٤٤ والبداية والنهاية ٩ / ٢٧٦) .

(٤) علماء الإسلام / محمد السلمان ص ٢٠ .

(٥) عطاء بن أبي مسلم الخراساني . (٥٠ ــ ١٣٥هـ) . الإمام المحدث الواعظ ، نزيل دمشق والقدس . (سير الاعلام ٦ / ١٤٠ والنجوم الزاهرة ١ / ٣٣١) .

الفصل الخامس
الحكمة البالغة وحسن التصرف

ذكر الخطيب البغدادي بسنده عن شعيب بن حرب[1] يقول : (بينا أنا في طريق مكة ، إذ رأيت هارون الرشيد ، فقلت لنفسي : قد وجب عليك الأمر والنهي ، فقالت لي : لا تفعل فإن هذا رجل جبار ، ومتى أمرته ضرب عنقك ، فقلت في نفسي لابد من ذلك ، فلما دنا مني صحت : ياهارون قد أتعبت الأمة ، وأتعبت البهائم ، فقال : خذوه ، فادخلت عليه ، وهو على كرسي ، وبيده عمود يلعب به ، فقال : ممن الرجل ؟ قلت : من أفناء الناس . قال : ماحملك أن تدعوني باسمي ؟ قال شعيب : فورد على قلبي كلمة ماخطرت لي قط على بال . قال : فقلت له أنا أدعو الله باسمه فاقول : ياالله يارحمان ، ولا أدعوك باسمك ؟ وماتنكر من دعائي باسمك ، وقد رأيت الله تعالى سمى في كتابه أحب الخلق إليه محمدا ، وكنى أبغض الخلق إليه أبا لهب ، فقال : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾[2] فقال : أخرجوه ، فأخرجوني)[3] وبهذه الحكمة إستطاع أن يؤدي واجبه ، وفي نفس الوقت يطفيء غضب هارون الرشيد ويصل إلى هدفه في إصلاح الحاكم ، وتوجيهه

---

(١) شعيب بن حرب . (ت : ١٩٦هـ) . الإمام القدوة العابد الزاهد ، من أبناء خراسان ، ومن أهل بغداد . تحول إلى المدائن واعتزل بها ، وكان له فضل ، ثم خرج إلى مكة ، ونزل بها إلى أن مات بها . (ميزان الاعتدال ٢ / ٢٧٥ وسير الاعلام ٩ / ١٨٨) .

(٢) المسد : ١ .

(٣) تاريخ بغداد ٩ / ٢٣٩ ــ ٢٤٠ .

نحو الخير .

حكمة الأوزاعي مع أبي جعفر :

بعث أبو جعفر المنصور إلى الأوزاعي ـــ وكان بالساحل ـــ فاتاه وسلم عليه بالخلافة ثم أجلسه جنبه وقال له : ماالذي أبطأك عنا ياأوزاعي ؟

قال الأوزاعي : ماالذي تريده ياأمير المؤمنين ؟ .

قال أبو جعفر : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم .

قال الأوزاعي : فانظر ياأمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك .

قال أبو جعفر : وكيف أجهله وأنا أسألك عنه ، وفيه وجهت إليك ، وأقدمتك له .

قال الأوزاعي : أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به .

وهنا صاح به الربيع ، وأهوى بيده إلى السيف ، فانتهره المنصور ، وقال له : هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة . فطابت نفس الأوزاعي ، وانبسط في الكلام ، ثم ذكر له حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه : « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه ، فإن قبلها بشكر ، وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها أثما ، ويزداد الله بها سخطا عليه »[1] .

قال أيضا : « أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة »[2] .

---

(١) قال عنه الحافظ العراقي : ذكره ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء . حاشية احياء علوم الدين ٢ / ٣٠٥ .

(٢) ابن أبي الدنيا ، وابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد . (المصدر السابق ٢١ / ٣٠٥) .

ياأمير المؤمنين : من كره الحق فقد كره الله ، إن الله هو الحق المبين . إن الذي لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله ﷺ ، وقد كان بهم رءوفاً رحيما ، مواسيا لهم بنفسه في ذات يده ، محمودا عند الله ، وعند الناس ، فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق ، وأن تكون بالقسط لهم فيه قائما ، ولعوراتهم ساترا . لاتغلق عليك دونهم الأبواب ، ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمه عندهم ، وتبتئس بما أصابهم من سوء .

ياأمير المؤمنين : قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ، أحمرهم وأسودهم ، مسلمهم وكافرهم ، وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا أنبعث منهم فئام وراء فئام ، وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه .

ثم قال : كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ، ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : يامحمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك ، وملأت قلوبهم رعبا[1] فكيف بمن شق استارهم ، وسفك دماءهم ، وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم ، وغيبهم الخوف منه .

ياأمير المؤمنين : دعا رسول الله ﷺ إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : يامحمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا ، فدعا النبي ﷺ الاعرابي

---

(١) حديث عروة بن رويم . رواه ابن أبي الدنيا ، وهو مرسل ، وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين . (المصدر السابق) .

فقال : اقتص مني ، فقال الاعرابي : قد احللتك بأبي أنت وأمي ، وماكنت لافعل ذلك أبدا ، ولو أتيت على نفس . فدعا له بخير[1] .

ياأمير المؤمنين : رض نفسك لنفسك ، وخذ لها الأمان من ربك ، وأرغب في جنة عرضها السماوات والأرض التي قال فيها رسول الله ﷺ : « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا ومافيها »[2] .

ياأمير المؤمنين : إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك ، وكذا لايبقى لك كما لم يبق لغيرك .

ياأمير المؤمنين : أتدري ماجاء في تأويل هذه الآية عن جدك : « مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها »[3] . قال : الصغيرة التبسّم ، والكبيرة الضحك . فكيف بما عملته الأيدي ، وحصدته الألسن .

ياأمير المؤمنين : بلغني أن عمر بن الخطاب قال : لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك ، وهو على بساطك .

ياأمير المؤمنين : أتدري ماجاء في تاويل هذه الآية عن جدك : ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا ، وأبو داود والنسائي ، وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه : طعن رسول الله ﷺ في خاصرة أسيد بن حضير ، فقال : أوجعتني ، قال : اقتص ، ... قال : صحيح الاسناد . (المصدر السابق) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه بلفظ « لقاب قوس أحدكم .. » فتح الباري ٦ / ١٥ ك / الجهاد والسير ب / الحور العين .

(٣) الكهف : ٤٩ .

الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾[1] قال الله تعالى : ياداود إذا قعد الخصمان بين يديك ، فكان لك في أحدهما هوى ، فلا تتمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه ، فأمحوك عن نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة . ياداود إنا جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ، ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ، ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء .

ياأمير المؤمنين : إنك قد بليت بأمر لو عرض على السماوات والأرض والجبال لابين أن يحملنه ، وأشفق منه .

ياأمير المؤمنين : استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما ، فقال له : مامنعك عن الخروج إلى عملك ، إما أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله ، قال : لا . قال : وكيف ذلك ، قال : أن رسول الله ﷺ قال : « مامن وال يلي شيئا من أمور المسلمين إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، لا يفكها إلا عدله ، فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب ، فإن كان محسنا نجا بإحسانه ، وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار سبعين خريفا »[2] .

---

(١) سورة ص ٢٦ .

(٢) الحديث : مامن وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرّم الله عليه الجنة » بهذا اللفظ : رواه البخاري في صحيحه ك / الاحكام ب من استرعى رعية فلم ينصح .. (فتح الباري ١٣ / ١٢٦) ورواه مسلم ك / الايمان ب / استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (صحيح مسلم ١ / ١٢٥) ورواه ابن أبي الدنيا من هذا الوجه والطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز (كذا قال الحافظ العراقي ٢ / ٣٠٦ من حاشية الاحياء) .

فقال له عمر ــ رضي الله عنه : ممن سمعت هذا ، قال من أبي ذر وسلمان ، فأرسل إليهما فسألهما ، فقالا : نعم سمعناه من رسول الله ﷺ فقال عمر : واعمراه من يتولاها بما فيها . فقال أبو ذر رضي الله عنه من سلت الله أنفه ، والصق خده بالأرض ، قال : فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني ، ثم قلت : ياأمير المؤمنين ، قد سأل جدك العباس النبي ﷺ امارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي ﷺ : ياعباس ياعم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها[1] .

نصيحة منه لعمه ، وشفقة منه عليه ، وأخبره أنه لا يغني عنه من الله شيئا ، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لايقيم أمر الناس إلا حصيف العقل ، أريب العقد لايطلع منه على عوره ، ولا يخاف منه على حره ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وقد بلغني ياأمير المؤمنين إن جبرائيل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال : أتيتك حين أمر الله بمنفاخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة ، فقال له : ياجبريل صف لي النار ، فقال : إن الله تعالى أمر بها فاوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى أسودت ، فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ، ولا يطفا لهبها ، والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ، ولو ان ذنوبا من شرابها صب في مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه ، ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبل الأرض جميعا لذابت ومااستقلت ، ولو ان رجلا ادخل النار ثم أخرج منها مات أهل الأرض من نتن ريحه ، وتشويه خلقه وعظمه ، فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل عليه السلام لبكائه ، قال : أتبكي يامحمد وقد غفر لك

---

(١) رواه البيهقي من حديث جابر متصلا ، ومن رواية ابن المنكدر مرسلا وقال : هذا هو المحفوظ مرسلا (حاشية الاحياء ٢ / ٣٠٦) .

ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ، ولم بكيت ياجبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه ؟ قال : أخاف أن ابتلى بما إبتلي به هاروت وماروت ، فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي ، فأكون قد أمنت مكره ، فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء ، ياجبريل ، يامحمد ، إن الله آمنكما أن تعصياه فيعذبكما ، وفضل محمد على سائرَ الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة[1] .

ولقد بلغني ياأمير المؤمنين إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين » .

ياأمير المؤمنين : إن أشد الشدة القيام لله بحقه ، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى ، وأنه من طلب العز بطاعة الله أعزه ، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه ، فهذه نصيحتي إليك ، والسلام عليك . ثم نهضت فقال لي إلى أين ؟ فقلت إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله . فقال : قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك ، وقبلتها ، والله الموفق للخير ، والمعين عليه ، وبه استعين وعليه أتوكل ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا فإنك المقبول القول غير المتهم في النصيحة ، قلت : أفعل إن شاء الله ، فأمر له بمال يستعين به على خروجه ، فلم يقبله ، وقال : أنا في غنى عنه ، وماكنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا ، وعرف المنصور مذهبه في ذلك[3] .

---

(١) رواه البيهقي من حديث جابر متصلا ، ومن رواية ابن المنكدر مرسلا وقال : هذا هو المحفوظ مرسلا . (حاشية الاحياء ٢ / ٣٠٦) .

(٢) الحديث بطوله رواه ابن أبي الدنيا معضلا بغير اسناد . (حاشية الاحياء ٢ / ٣٠٧) .

(٣) الحادثة : بتصرف يسير / احياء علوم الدين ٢ / ٣٠٤ ــ ٣٠٧ .

الفصل السادس

الكتاب إلى الحكام

كان العلماء يدونون كلماتهم المضيئة ، ويبعثون بها إلى الحكام والأمراء لإقرار الحق وبيانه ، ودفع الحكام للعدل بين الناس ، وتحذيرهم من مغبة الظلم ، وإتباع الهوى .

ولعل الكلمات المضيئة التي دونها العلماء بأقلامهم ، وبعثوها إلى الحكام كان لها الأثر العميق في إصلاح الحكام ، وتغيير مواقفهم نحو الأفضل .

وهذا الفصل يفند إدعاء الماركسيين في إتهام العلماء بالسير في ركاب ظلمة الحكام . وتخدير الجماهير عن مصالحها .

كتاب أبي الوفاء[1] إلى عميد الدولة[2] :

كتب أبو الوفاء علي بن عقيل كتابا إلى الوزير عميد الدولة ، يقول

---

(١) علي بن عقيل الحنبلي البغدادي . (ت : ٥١٣هـ) . شيخ الحنابلة في عصره ، كان إماما مبرزا كثير العلوم ، مكبا على الإشتغال والتصنيف صنف كتبا كثيرة أهمها : « الفنون » الذي يزيد على أربعمائة مجلد . وقيل : انه لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب . (الشذرات ٤ / ٣٥ والبداية والنهاية ١٢ / ١٨٤) وقد نشر القسم الأول منه بعناية جورج مقدسي .

(٢) محمد بن أبي نصر بن محمد بن جهير الوزير . (ت : ٤٩٣هـ) . كان حليما قليل العجلة ، وقد ولي الوزارات مرات ، يعزل ثم يعاد ، وأخيرا حبس بدار الخلافه فلم يخرج من السجن إلا ميتا . (البداية والنهاية ١٢ / ١٥٩ وسير الاعلام ١٩ / ١٧٥) .

فيه : (وقد ملأتكم في عيونكم مدائح الشعراء ، ومداجات المتمولين بدولتكم ، الأغنياء الأغبياء ، الذين خسروا الله فيكم ، فحسنوا لكم طرائقكم ، والعاقل من عرف قدر نفسه ، ولا يغره مدح من لا يخبرها) [1] .

كتاب عبيد الله بن عبد الله [2] إلى عمر بن عبد العزيز :

كتب إلى عمر بن عبدالعزيز يقول له :

بسم الذي أنزلت من عنده السور   والحمد لله أما بعد ياعمر
إنْ كنت تعلم ماتاتي وماتذر   فكن على حذر قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المحتوم وارض به   وإن أتاك بما لاتشتهي القدر
فما صفا لأمرئ عيش يسرّ به   إلا سيتبع يوما صفوه كدر [3]

رسالة الأوزاعي إلى الخليفة المهدي العباسي :

يشفع في زياده أرزاق أهل الساحل ، وجاء فيها :

(أمّا بعد : ولى الله لأمير المؤمنين أموره بما ولى به أمور من هدى واجتبى ، وجعله بهم مقتديا ، فإنّ أمير المؤمنين أصلحه الله كتب إلى الّا أدع أعلامه كلما فيه صلاح عامه وخاصة ، فإن الله عز وجل يأجر على من عمل به ، ويحسن عليه الثواب ، وأنا أسأل الله عز وجل أن يلهم أمير

---

(١) المنهج الأحمد ٢ / ٢٢٠ والذيل على طبقات الحنابلة ١ / ١٤٨ .

(٢) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (ت : ٩٨هـ) . أحد فقهاء المدينة السبعة ، ومفتي المدينة وعالمها ، وهو أخو المحدث عون وجدهما عتبة أخو عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنهما ــ (أسير الاعلام ٤ / ٤٧٥ والتهذيب ٧ / ٢٣) .

(٣) (الحلية ٢ / ١٨٨ ، ١٨٩ وسير الاعلام ٤ / ٤٧٧) .

المؤمنين من أعمال البر مايبلغه به عفوه ورضوانه في دار الخلود ، وقد كان أمير المؤمنين ــ حفظه الله ــ قصر بأهل الساحل على عشرة دنانير في كل عام سلفا من عطاياتهم ، وأمير المؤمنين ــ أصلحه الله ــ إنْ نظر في ذلك عرف أن ليس في عشرة دنانير لأمرىء ذي عيال عشرة أو أدنى من ذلك أو أكثر كفاف .

ولو أجرى عليهم أمير المؤمنين ــ أصلحه الله ــ في اعطياتهم سلفا في كل عام خمسة عشر دينارا ماكان فيها عن مصلح ذي عيال فضل ولا قدر كفاف ، وأهل الساحل بمنزل عظيم غناؤه عن أمير المؤمنين ، فإنه لايستمر لبعوث أمير المؤمنين فصول إلى ثغوره ، ولا سياحه في بلاد عدوهم حتى يكون من وراء بيضتهم ، وأهل ذمتهم بسواحل الشام من يدفع عنهم عدوا إن هجم عليهم ، وإنهم إذا كان القيظ تناوبوا الحرس على ساحل البحر رجالا وركبانا ، وإذا كان الشتاء قاسوا طول الليل وقره ووحشته حرسا في البروج ، والناس خلفهم في اجنادهم في البيوت ... فإن رأى أمير المؤمنين ــ حفظه الله ــ أن يأمر لهم في اعطياتهم قدر الكفاف ، ويجريه عليهم في كل عام فعل ، وقد تصرمت السنة التي كانت تأتيهم فيها عشراتهم ، ودخلوا في غيرها حتى اشتدت حاجتهم ، وظهر عليهم ضرها ، وهم رعية أمير المؤمنين ، والمسئول عنهم فإنه راع ، وكل راع مسئول عن رعيته .

أتم الله على أمير المؤمنين نعمته ، وأحسن بلاءه في رعيته ، وقد قدم علينا رسول أمير المؤمنين بالعطية من النفقة والكسوة التي أمرَ أمير المؤمنين عافاه الله بقسمها في أهل الساحل ، فقسمناها فيهم من دينار لكل رجل ، وديناربن ، وقل المال عن اليتامى والأرامل فلم يقسم فيهم شيء ، ولليتامى

والأرامل والمساكين في الوجوه الثلاثة في كتاب الله عز وجل من الصدقات ومن خمس المغانم ، وماأفاء الله على رسوله والمؤمنين من أهل القرى ، فإن رأى أمير المؤمنين اصلحه الله أن يبعث بما يقسم فيهم فعل .

جعل الله أمير المؤمنين برسوله ﷺ متشبها في رأفته ورحمته بالمؤمنين ، وأتم عليه نعمته ومعافاته والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[1] .

رسالة الإمام مالك إلى الخليفة هارون الرشيد :

جاء فيها :

(أمّا بعد : فإني كتبت إليك بكتاب لما لك فيه رشدا ، ولم أدخر فيه نصحا تحميدا لله ، وأدبا مع رسول الله ﷺ فتدبره بعقلك ، وردد فيه بصرك ، وارعه سمعك ، ثم اعقله بقلبك ، واحضر فهمك ، ولا تغيبن عنه ذهنك ، فإن فيه الفضل في الدنيا ، وحسن الثواب في الآخرة) .

ثم ينقله إلى معرض الآخرة ، وكرب الموت ، وشدة اللقاء ، وأهوال القيامة التي تشيب من هولها الولدان ، وتهد من صدعتها الأبدان .

قال : اذكر نفسك في غمرات الموت ، وكربة ماهو نازل بك منه ، وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه ، ثم الحساب ، ثم الخلود بعد الحساب ، واعد لله عز وجل مايسهل عليك أهوال تلك المشاهد وكربها فإنك لو رأيت سخط الله تعالى ، وماصار إليه الناس من ألوان العذاب ، وشده نقمته عليك ، وسمعت زفيرهم في النار ،

(١) تقدمة الجرح والتعديل ١ / ١٩٣ ــ ١٩٥ .

وشهيقهم ، مع كلوح وجوههم ، وطول غمتهم ، وتقلبهم في دركاتها على وجوههم ، ولا يسمعون ، ويدعون بالويل والثبوت ، وأعظم من حسرة ، إعراض الله عنهم ، وإنقطاع رجائهم ، واجابته اباهم بعد طول الغم ، بقوله : ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾[1] .

ثم حذره من بطانة السوء الذين لا يخافون الله ، فقال : لا تأمن على شئ أمرك من لا يخاف الله ، فإنه بلغني أن عمرَ بن الخطاب ــ رضي الله عنه أنه قال : شاور في أمرك الذين يخافون الله . احذر بطانه السوء ، وأهل الردى على نفسك[2] .

كتاب القاضي أبو يوسف[3] إلى هارون الرشيد :

جاء ذلك في مقدمة كتاب الخراج الذي كتبه القاضي أبو يوسف ، بناءاً على طلب هارون الرشيد .

قال : ياأمير المؤمنين : إن الله وله الحمد . قد قلدك أمرا عظيما ثوابه أعظم الثواب ، وعقابه أشد العقاب ، قلدك أمر هذه الأمة ، فأصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير ، قد استرعاكهم الله ، وائتمنك عليهم ، وابتلاك بهم ، وولاك أمرهم وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه ، فلا تضيعن ماقلدك

---

(١) المؤمنون : ١٠٨ .

(٢) الإسلام بين العلماء والحكام ص ١٠٦ .

(٣) هو : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش : (ت : ١٨٢هـ) . العلامة المحدث ، قاضي القضاة ، بلغ في العلم ما لا مزيد عليه ، وكان الرشيد يبالغ في إجلاله . صحب أبا حنيفة سبع عشرة سنة ، وكان أبوه فقيرا ، له حانوت ضعيف وكان أبو حنيفة يتعاهده بالدراهم ، مئة بعد مئة . (سير الاعلام ٨ / ٤٧٠ وتاريخ بغداد ١٤ / ٢٤٢) .

الله من أمر هذه الأمة والرعية ، فإن القوة في العمل بإذن الله ، لا تؤخر عمل اليوم إلى غد ، فإنك إذا فعلت ذلك أضعت . إن الأجل دون الأمل ، فبادر الأجل بالعمل ... فإنه لاعمل بعد الأجل .

إن الرعاة مؤدون إلى ربهم مايؤدي الراعي إلى ربه ، فاتم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهاره ، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعد به رعيته ، ولا تزغ فتزيغ رعيتك ، وإياك والأمر بالهوى ، والأخذ بالغضب ، وإذا نظرت إلى أمرين ، أحدهما للآخرة ، والآخرة للدنيا فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فإن الآخرة تبقى ، والدنيا تفنى ، وكن من خشية الله على حذر ، وأجعل الناس عندك في أمر الله سواء ، القريب والبعيد ، ولا تخف في الله لومة لائم ، واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان ، واتق الله فإن التقوى بالتوقي .

ثم يوصيه بحفظ الأمانة ورعاية حق الله فيقول :

إني أوصيك ياأمير المؤمنين بحفظ مااستحفظك الله ، ورعاية مااسترعاك الله ، وأن لاتنظر في ذلك إلا إليه وله ، فإنك إن لاتفعل تتوعر عليك سهوله الهدى ، وتعمى في عينيك وتتعفى رسومه ، ويضيق عليك رحبه ، وتنكر منه ماتعرف ، وتعرف منه ماتنكر ، فخاصم نفسك خصومة من الفلج[1] لها لا عليها ، فإن الراعي المضيع يضمن ماهلك على يديه مما لو شاء رده عن مواطن الهلكه ، بإذن الله ، وأورده أماكن الحياه والنجاه ، فإذا ترك ذلك أضاعه ، وإن تشاغل بغيره ، كانت الهلكه عليه أسرع وبه أضر ، وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك ، ووفاه الله

---

(١) قيل الفَلْجَ : تباعد مابين الثنايا والرباعيات (غريب الحديث لابن الجوزي ٢ / ٢٠٤) وقيل : فلجت الشيء أي شققته نصفين (المصباح المنير ص ٤٨٠) .

أضعاف ماوفي له ، فاحذر أن تضيع رعيتك فيستوفي ربها حقها منك ، ويضيعك بما أضعت أجرك ، وإنما يدعم البنيان قبل أن ينهدم ، وإنما لك من عملك ماعملت فيمن ولاك الله أمره فلست تنسى ولا تغفل عنهم وعما يصلحهم فليس يغفل عنك ، ولا تضيع حظك من هذه الدنيا في هذه الليالي والأيام بكثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسبيحا وتهليلا وتمجيدا ، والصلاة على رسول الله ﷺ نبي الرحمة وإمام الهدى[1] .

وهنا ينتهز الإمام أبو يوسف هذه الفرصة ـــ وهي حاجة الرشيد إلى كتاب في الأموال ـــ فيجعل مقدمته هذه النصيحة المباركة ، عسى أن يستقيم لها أمر الرشيد إلى أحسن حال .

ويلاحظ أن أبا يوسف كان صريحا مع الرشيد مستعليا بإيمانه فلم يرائي أو يجامل بل قال له الحق باسلوب واضح .

وهكذا كان علماؤنا ـــ رحمهم الله ـــ لا يدعون موضعا يُرجىٰ فيه النصح لله ولدينه ، إلا كانوا السباقين إليه ، فيدلون بدلوهم المبارك .

---

(١) مقدمة كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٣ ـــ ٦ .

الباب الثالث

مناهج العلماء مع الأمة

ويشمل على :

الفصل الأول : منهج العلماء مع اقرانهم .
الفصل الثاني : منهج العلماء مع العامة .
الفصل الثالث : منهج العلماء مع المبتدعة .

الفصل الأول

منهج العلماء مع اقرانهم

التناصح بين العلماء ، وملازمة بعضهم الآخر ، وسد الثغور التي يدخل عن طريقها إليهم ، والتواصي بينهم بالصبر والثبات ، كل ذلك كان حاصلا بين علماء السلف ومن جاء بعدهم من علماء الأمة العاملين ، حفاظا على كرامة العلم ، ورفعا لشان العلماء وحاميا منيعا أمام المحن التي تعترض طريق دعوتهم ، ذلك لأن العلماء أكثر عرضة من غيرهم ، وإذا انقضت عليهم الدنيا بأنيابها ، أخلدت الكثير منهم إلى الأرض وجعلتهم فريسة لعوارضها الزائلة .

وفي الكلام عن منهج العلماء مع أخوانهم ، وعن طريق استعراض بعض مواقف العلماء فيما بينهم ، تظهر لنا بعض الأساليب من خلال تلك المواقف . ونستعرض أهمها :

(١) تثبيت بعضهم لبعض في معرض البلاء :

ولبيان ذلك نترك الحديث لعالمنا الجليل عباس الدوري[1] ليحدثنا عن موقف أبي جعفر الأنباري مع الإمام أحمد بن حنبل .

---

(١) عباس بن محمد بن حاتم الدوري البغدادي . (ت : ٢٧١هـ) . وهو صاحب يحيى بن معين ، وتلميذه ، وراوي تاريخه ، وهو من شيوخ أبي داود والنسائي . (تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٧٩ والبداية والنهاية ١١ / ٤٩ والتهذيب ٥ / ١٢٩) .

قال : سمعت أبا جعفر يقول : لما حمل أحمد إلى المأمون ، اخبرت فعبرت الفرات ، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه ، فقال : يأبا جعفر تعنيت . فقلت : ياهذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق ، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت ، لابد من الموت ، فاتق الله ولا تجب ، فجعل أحمد يبكي ويقول : ماشاء الله ، ثم قال : يأبا جعفر أعد علي ، فأعدت عليه وهو يقول : ماشاء الله[1] .

محمد بن نوح[2] مع الإمام أحمد بن حنبل :

يقول الإمام أحمد بن حنبل : (مارأيت أحدا على حداثة سنه ، وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، وإني لارجو أن يكون الله قد ختم له بخير .

قال لي ذات يوم وأنا معه خلوين : يأبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي أنت رجل يقتدى به ، وقد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله واثبت لأمر الله ، أو نحو هذا الكلام ، فعجبت من تقويته لي ، وموعظته اياي)[3] .

---

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٣٩١ وسير الاعلام ١١ / ٢٣٩ .

(٢) محمد بن نوح العجلي . (ت : ٢١٨هـ) . وهو صاحب الإمام أحمد بن حنبل . حمل إلى المأمون مقيدا مع الإمام أحمد ، ثم توفي في الطريق ، وهو في ريعان شبابه . وكان يثبت الإمام أحمد في محنته ، ويدفعه إلى الصبر والثبات . قال عنه الإمام أحمد : مارأيت أقوم بأمر الله منه . رحمه الله . (شذرات الذهب ٢ / ٤٥ وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٢٦) .

(٣) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٣٩٣ .

ويتقبل الإمام أحمد ــ عليه رحمة الله ــ محنته بصدر رحب ، مومنا بقضاء الله وقدره ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وبكل ثبات وصبر يصمد أمام ذلك الزحف الجارف الذي أغرى وأخرس الكثير من العلماء ، ولم يثبت في تلك المحنة إلا القليل .

يقول صالح بن الإمام أحمد : (فأجاب القوم جميعا إلا أربعة : أبي ومحمد بن نوح وعبيد الله بن عمر القواريري[1] والحسن بن حماد[2] ، ثم أجاب عبيد الله بن عمر ، والحسن بن حماد ، وبقي أبي ، ومحمد بن نوح في الحبس)[3] .

ولما حمل الإمام أحمد بن حنبل بن حنبل ليضرب جاؤوا إلى بشر بن الحارث[4] وقالوا له : قد وجب عليك أن تتكلم ، فقال : « اتريدون مني أن أقوم مقام الأنبياء ، ليس ذلك عندي ، حفظ الله أحمد بن حنبل من بين

---

(١) عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري البصري . (ت : ٢٣٥هـ) . نزيل بغداد . كان إمام حافظا من شيوخ البخاري ومسلم ، وكتب عنه الإمام أحمد بن حنبل ، وهو ثقة صدوق كثير الحديث . توفي ببغداد ، وحضر جنازته خلق كثير . (طبقات بن سعد ٧ / ٣٥٠ وتذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣٨ وسير الاعلام ١١ / ٤٤٢ وتاريخ بغداد ١١ / ٣٩٢) .

(٢) الحسن بن حماد . أبو علي الحضرمي الملقب بـ « سجادة » ، كان من جلة العلماء وثقاتهم في زمانه . (النجوم الزاهرة ٢ / ٣٠٦ وشذرات الذهب ٢ / ٩٩ وسير الاعلام ١١ / ٣٩٢) .

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٣٨٧ ــ ٣٨٨ .

(٤) بشر بن الحارث . (ت : ٢٢٧هـ) . المشهور بالحافي ، إمام قدوة ، ومحدث زاهد رباني . كان رأسا في الورع ، ومن العقلاء الأذكياء ، وكان من أبناء الرؤساء ، فآثر الزهد والفقر على الغنى ، والتكاثر ، وله حكم ومواعظ . وقد أفرد ابن الجوزي مناقبه في كتاب . (تاريخ بغداد ٧ / ٦٧ والحلية ٨ / ٣٣٦ والجرح والتعديل ٢ / ٣٥٦ وسير الاعلام ١٠ / ٤٦٩) .

يديه ومن خلفه »[1] .

وقد صدق بشر في كلامه ، فالمحن والشدائد هي التي تسفر عن معادن الرجال ، وتخترق الحجب لتكشف الستار عن كل مخبوء مستور .

(٢) ملازمة العلماء بعضهم لبعض :

وفي معرض التعريف بشيخ البخاري والترمذي ، موسى بن حزام ، قالوا : إنه كان ثقة صالحا . وقال عنه ابن حبان[2] : (كان في أول أمره ينتحل الارجاء ، ثم أعانه الله بأحمد بن حنبل ، فانتحل السنة ، وذب عنها ، وقمع من خالفها ، مع لزوم الدين حتى مات)[3] .

وحصل ذلك بفضل الله ، ثم بفضل الإمام أحمد بن حنبل ، وطريقته في الإصلاح .

ويذكر عبد الله بن المبارك فضل الملازمة وتأثيرها ، فيقول : لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة ، وسفيان ، كنت كسائر الناس .

(٣) اسلوب الشدة مع التقريع واللوم :

من العلماء من انتهج هذا الإسلوب مع أقرانه ، وخاصة إذا رأوا منهم

---

(١) سير الاعلام ١١ / ٢٥٤ .

(٢) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي . (ت : ٣٥٤) . مؤرخ ، وعلامة ، ومحدث ، ولد في « بست » (من بلاد سجستان) ، وتنقل في الأقطار وهو أحد المكثرين من التصنيف . قال عنه ياقوت : أخرج من علوم الحديث ماعجز عنه غيره . من مؤلفاته « المسند الصحيح » في الحديث ، ويقال أنه أصح من سنن ابن ماجة . (ميزان الاعتدال ٣ / ٣٩ والبداية والنهاية ١١ / ٢٦٩ والاعلام ٦ / ٧٨) .

(٣) تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٤١ .

تساهلا مع الحاكم أو تقربا منه ، أو ميلا للدنيا واتباعا للهوى .

عبد الله بن المبارك يؤنب ابن علية[1] :

بعث عبد الله بن المبارك إلى ابن علية يوبخه غاية التوبيخ ، ويعنفه بكلمات قاسية ، لأن ابن علية ولي صدقات البصرة ، وولي ببغداد المظالم في آخر خلافة هارون الرشيد .

وقد جاء ذلك في الأبيات التي بعثها إليه . قال فيها :

ياجاعل العلم له بازيا تصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيله تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعدما كنت دواء للمجانين
أين رواياتك فيما مضى عن ابن عون وابن سيرين
ودرسك العلم بآثاره في ترك أبواب السلاطين
تقول أكرهت فماذا كذا زل حمار العلم في الطين
لاتبع الدين بالدنيا كما يفعل ضلال الرهابين[2]

الإمام الحسن البصري ينهى مجموعة من العلماء :

وذلك عندما وجدهم واقفين على باب ابن هبيرة[3] ، فقال لهم :

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصري . (ت : ١٩٣هـ) . الإمام العلامة الحافظ ، المشهور بابن علية ، وهي أمه ، وكان فقيها من أئمة الحديث ولي صدقات البصرة ، وولي المظالم ببغداد في آخر خلافة هارون الرشيد ، فنزل ببغداد ومات بها . (تاريخ بغداد ٦ / ٢٢٩ وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٢٢ وسير الاعلام ٩ / ١٠٧) .

(٢) سير الاعلام ٩ / ١١٠ و١١٥ .

(٣) عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين . (ت : ١٠٧) . الأمير ، أبو المثنى الفزاري الشامي ، أمير العراق ، ووالده أميرها . كان ينوب ليزيد بن عبد الملك فعزله هشام ، =

« مايجالسكم هاهنا ؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء ، أما والله مامجالستهم مجالسة الأبرار تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم ، قد فرطحتم [1] نعالكم ، وشمرتم ثيابكم ، وجززتم شعوركم ، فضحتم القراء [2] فضحكم الله ، لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم ، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم ، أبعد الله من أبعد » [3] .

وقد عنفهم الإمام الحسن البصري على فعلتهم تلك ، ونهرهم ، لأن في ذلك تنقيصا لقدر العلماء ، وهدرا لكرامه العلم ، فعلى العالم أن يزهد فيما عند الناس ليصون علمه من أن تخالطه الأهواء واللذات ، فيوقع صاحبه في الشباك .

العمري [4] ينكر على الإمام مالك ، وابن أبي ذئب [5] :

ومن العلماء الذين شددوا في اسداء النصيحة لأصحابهم هو الإمام العمري ـــ رحمه الله ـــ فقد كان مشتغلا بنفسه ، قوالا بالحق ، إمارا

= وجمعت له العراق سنة ١٠٣هـ ، ثم عزل بخالد القسري . (سير الاعلام ٤ / ٥٦٢) .

(١) أي : عرضتم .

(٢) هذه الكلمة كانت تطلق على العلماء سابقا .

(٣) (الحلية ٢ / ١٥٠ ، ١٥١ وسير الاعلام ٤ / ٥٨٦) .

(٤) عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . (ت : ١٨٤هـ) . أبو عبد الرحمن ، كان شديدا قوالاً بالحق ، عابداً زاهداً ، وكانت له مواقف محمودة مع هارون الرشيد . (الحلية ٨ / ٢٨٣ وسير الاعلام ٨ / ٣٧٣ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٠٦) .

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة . (ت : ١٥٨) . من بني عامر بن لؤي ، من قريش ، وهو تابعي جليل من رواة الحديث ، ومن أهل المدينة ، وكان يفتي بها ، وكان من أورع الناس ، وأفضلهم . (النجوم الزاهرة ٢ / ٣٥ وتهذيب التهذيب ٩ / ٣٣٠) .

بالمعروف ، لاتأخذه في الله لومة لائم ، وكان ينكر على الإمام مالك اجتماعه بالدولة .

« كتب العمري إلى مالك ، وابن أبي ذئب ، وغيرهما ، بكتب أغلظ لهم فيها وقال : أنتم علماء تميلون إلى الدنيا ، وتلبسون اللين ، وتدعون التقشف ، فجاوبه ابن أبي ذئب بكتاب أغلظ ، وجاوبه مالك جواب فقيه »[1] .

وكتب إليه الإمام مالك يطلب منه المجيء إلى المدينة ليقيم فيها ، ويكون قريبا من المسجد النبوي ، فكتب إليه العمري : « أكره مجاورة مثلك ، إن الله لم يرك متغير الوجه فيه ساعة قط » .

ويعلق الإمام الذهبي على كلام العمري في حق الإمام مالك فيقول : « هذا على سبيل المبالغة في الوعظ والإرشاد ، فمالك من أقول العلماء ، ومن أشدهم تغيرا في رؤيه المنكر »[2] .

سعيد بن المسيب مع عبد الرحمن بن عبد القاري[3] :

لما قامت البيعة للوليد ، وسليمان بالمدينة ، قال عبد الرحمن لسعيد : (إنّي مشير عليك بخصال ، قال : وماهن ؟ قال : تعتزل مقامك ، فإنك تقوم حيث يراك هشام بن إسماعيل ، قال : ماكنت لاغير مقاما قمته منذ أربعين سنة . قال : تخرج معتمرا ، قال : ماكنت لانفق

---

(١) سير الاعلام ٨ / ٣٧٤ .

(٢) سير الاعلام ٨ / ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٣) عبد الرحمن بن عبد القاري المدني . يقال له صحبة ، وإنما ولد في أيام النبوة وقيل أتي به إلى النبي ﷺ وهو صغير . (سير الاعلام ٤ / ١٤ وشذرات الذهب ١ / ٨٨) .

مالي ، وأجهد بدني في شيء ليس لي منه نية ، قال : فما الثالثة ؟ قال : تابع ، قال : أرأيت إن كان الله أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما على ؟ قال : وكان أعمى)[1] .

أبو حازم يحذر الزهري ويأمره بالمعروف :

أصابَ المدينة جائحة أيام عبد الملك بن مروان[2] فانتقل الزهري إلى دمشق ، واتصل بعبد الملك ، واعجب بعلمه ففرض له عطاء يأخذه من الديوان ، وظل متصلا باولاده يعلمهم الحديث ، وحسنت حاله بعد فقر ، وظهرت عليه آثار النعمة ، فخاف عليه أبو حازم من ذلك ، فكتب إليه رسالة يحذره ، ويأمره بالمعروف . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

عافانا الله واياك أبابكر من الفتن ، ورحمك من النار ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها . أصبحت شيخا كبيرا قد أثقلتك نعم الله عليك بما أصح من بدنك ، وأطال من عمرك ، وعلمت حجج الله تعالى مما حملك من كتابه وفقهك فيه مين دينه ، وفهمك من سنة نبيه ﷺ فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك ، وكل حجة يحتج بها عليك ، الغرض الأقصى . إبتلى في ذلك شكرك ، وإبدى فيه فضله

(١) (الحلية ٢ / ١٧٠ ، ١٧١) وسير الاعلام ٤ / ٢٣١) .

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي . (٢٦ — ٨٦هـ) . إستقل بالخلافة سنة ٦٥هـ ، وكان من رجال الدهر ، ودهاة الرجال ، وكان الحجاج من ذنوبه ، وهو أول من ضرب الدنانير ، وكتب عليها القرآن . (سير الاعلام ٤ / ٢٤٦ والبداية والنهاية ٩ / ٦١) .

عليك ، وقد قال : ﴿ لئن شكرتم لازيدنكم ، ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد ﴾[1] انظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل ؟ فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها ، وعن حججه عليك كيف قضيتها ، ولا تحسبن الله راضيا منك بالتغرير ، ولا قابلا منك التقصير ، هيهات ليس كذلك ! أخذ على العلماء في كتابه إذ قال : ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم ﴾[2] إنك تقول إنك جدل ماهر عالم ، قد جادلت الناس فجدلتهم ، وخاصمتهم فخصمتهم ادلالا منك بفهمك ، واقتدارا منك برايك ، فأين تذهب عن قول الله عز وجل : ﴿ هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ﴾[3] .

اعلم أن أدنى ماارتكبت ، وأعظم مااحتقبت ، أن أنست الظالم ، وسهلت له طريق الغي بدنوك ، حين أدنيت ، واجابتك حين دعيت ، فما اخلقك أن تبوء بإثمك غدا مع الجرمة ، وأن تسأل عما تسأل عما أردت باغضائك عن ظلم الظلمة ، إنك أخذت ماليس لمن أعطاك ، ودنوت ممن لا يَرُدُّ على أحد حقا ، ولا ترك باطلا حين أدناك ، وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك ، جعلوك قطبا تدور رحى باطلهم عليك وجسرا يعبرون بك بلاءهم ، وسلما إلى ظلالتهم ، وداعيا إلى غيهم ، سالكا سبيلهم يدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم ، فلم يبلغ اخص وزرائهم ، ولا أقوى أعوانهم لهم ، إلا مابلغت من إصلاح فسادهم ، وإختلاف الخاصة والعامة إليهم ، فما أيسْر ماعمروا لك

(١) إبراهيم : ٧ .
(٢) آل عمران ١٨٧ .
(٣) النساء : ١٠٩ .

في جنب ماخربوا عليك ، وما أقل ماأعطوك في كثير ماأخذوا منك [1].

فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب رجل مسئول ، وانظر كيف شكرك لمن غذّاك بنعمه صغيرا وكبيرا ، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه من الناس بخيلا ، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستيرا ، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريبا ، ما لك لا تنتبه من نعستك ، وتستقيل من عثرتك ، فتقول : والله ماقمت لله مقاما واحدا احيي له فيه دينا ، ولا أميت له فيه باطلا ، إنما شكرك لمن استحملك كتابه ، واستودعك علمه . مايؤْمِنُك أنْ تكون من الذين قال فيهم : ﴿ فخلف من بعدهم خَلْفٌ ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ﴾[2] . إنّك لست في دار مقام ؟ قد أوذنت بالرحيل ! ما بقاء المرء بعد اقرانه ؟ طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل ! يابؤس من يموت وتبقى ذنوبه بعده إنك لم تؤمر بالنظر لوراثك على نفسك ، ليس أحد أهلا أن تردفه على ظهرك ذهبت اللذة ، وبقيت التبعة ، ماأشقى من سعد بكسبه غيره . إحذر فقد أتيت وتخلص فقد أدهيت ، إنك تعامل من لايجهل والذي يحفظ عليك لا يغفل . تجهز فقد دنا منك سفر ، وداو دينك فقد دخله منك سقم شديد ، ولا تحسبن أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك ، ولكني أردت أن تنعش مافات من رأيك ، وترد عليك ما عزب عليك من حلمك ، وذكرت قوله تعالى : ﴿ ذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾[3] اغفلت ذكرى من مضى من أسلافك وأقرانك ، وبقيت

---

(١) ماأعمق وعي أبي حازم وماأنفذ نظرته ، وما أحد بصيرته ؟!! .

(٢) الاعراف : ١٦٩ .

(٣) الذاريات : ٥٥ .

يعدهم كقرن أعضب . فانظر هل أبتلوا بمثل ماأبتليت ؟ أو دخلوا في مثل مادخلت فيه ؟ وهل تراه إدخر لك خير مُنعوه ؟ أو علّمك شيئا جهلوه ؟ بل جهلت ماأبتليت به من حالك في صدور العامة ، وكلفهم بك أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك ، إن أحللت أحلوا ، وإن حرمت حرموا ، وليس ذلك عندك ، وكان في إكبابهم عليك ، ورغبتهم فيما بين يديك ذهاب علمهم ، وغلبه الجهل عليك وعليهم ، وطلب حب الرياسة وطلب الدنيا منك ومنهم . أما ترى ماأنت فيه من الجهل والغره ؟ وماالناس فيه من البلاء والفتنة ؟ ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم ، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك ، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ماأدركت ، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت ، فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره ، وفي بلاء لايقدر قدره ، فالله لنا ولك ولهم المستعان .

واعلم أن الجاه جاهان : جاه يجريه الله على يدي أوليائه لأوليائه : الخامل ذكرهم ، الخافيه شخوصهم ، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله ﷺ : « ان الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا شهدوا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة »[1] فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أولئك حزب الله ، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون ﴾[2] .

وجاه يجريه الله على يدي أعدائه لأوليائه ومِقَةٌ يقذفها الله في قلوبهم

---

(١) أخرجه الآجري في كتاب الغرباء ص ٥٠ . تحقيق / بدر البدر ، واخرجه بلفظ مقارب ابن ماجة ، حيث رقم ٣٠٨٩ ، وابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء ، وباختلاف يسير أخرجه الحاكم في المستدرك ٤ / ٣٢٨ .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

لهم فيعظمهم الناس بتعظيم أولئك لهم ، ويرغب الناس فيما في أيديهم لرغبة أولئك فيه لهم ﴿ أولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾[1] .

ومأأخوفني أن تكون ممن ينظر لمن عاش مستورا عليه في دينه ، مقتورا عليه في رزقه ، معزولاً عن البلاء ، مصروفة عنه الفتن في عنفوان شبابه ، وظهور جلده وكال شهوته ، مقضىً بذلك دهره ، حتى إذا كبرت سنة ، ورق عظمه ، وضعفت قوته ، وانقطعت شهوته ولذته ، فتحت عليه الدنيا شرّ فتوح ، فلزمته تبعتها وعلقته فتنتها ، وأعشت عينية زهرتها ، وصفت لغيره منفعتها ، فسبحان الله ما أبين هذا الغبن ، وأخسر هذا الأمر ، فهلا إذا عرضت لك فتنتها ذكرت أمير المؤمنين عمر ــ رضي الله عنه ــ في كتابه إلى سعد : أما بعد فاعرض عن زهرة ماأنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أسمالهم ، لاصقه بطونهم بظهورهم ، ليس بينهم وبين الله حجاب ، لم تفتنهم الدنيا ، ولم يفتتنوا بها ، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا . فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ، ورسوخ علمك وحضور أجلك ، فمن يلوم الحدث في سنه ، والجاهل في علمه ، والمأفون في رأيه المدخول في عقله ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون . على من المعول ؟ وعند من المستعتب ، نحتسب عند الله مصيبتنا ، ونشكو إليه بثنا ، وما نرى منك ، ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[2] .

وكتاب أبي حازم هذا يحمل في جنباته الصدق والأمانة ، والشعور

---

(١) المجادلة : ١٩ .

(٢) الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر في الإسلام ص ٧٢ ــ ٧٨ .

بالمسئولية تجاه دين الله ، ونصرة الحق تحت رايته ، بعيدا عن الأهواء ، وبعيدا عن الرغبة فيما بأيدي الحكام حتى لا تثقل الألسن بعد خفتها ، فتتخارس عن قولة الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . لذلك نجد أبا حازم قد أغلظ فى الوعظ والإرشاد تجاه الزهري ، ثم تعنيفه بهذا الإسلوب الرائع .

تأنيب وهب بن منبه لعطاء الخراساني »

قال وهب بن منبه لعطاء : « ويحك ياعطاء ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ، وأبواب الأمراء ؟ ويحك ياعطاء ، أتاتي من يغلق عنك بابه ، ويظهر لك فقره ، ويواري عنك غناه ، وتترك باب من يقول « ادعوني استجب لكم »[1] ؟ ويحك ياعطاء إن كان يغنيك مايكفيك ، فاوهى مافى الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يغنيك مايكفيك فليس في الدنيا شيء يكفيك ، ويحك إنّما بطنك بحر من البحور ، وواد من الأودية ، لا يملؤه شيء إلا التراب » .

وقال له : « كان العلماء قبلكم قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لايلتفتون إلى أهل الدنيا ، ولا إلى مافي أيديهم ، فكان أهل الدنيا يبذلون إليهم دنياهم رغبة في علمهم ، فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في الدنيا ، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم ، فاياك ياعطاء وأبواب السلطان ، فإن عند أبوابهم فتنا كمبارك الإبل ، لاتصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك مثله »[2] .

---

(١) غافر : ٦٠ .

(٢) البداية والنهاية ٩ / ٢٧٩ ، ٢٨٣ .

(٤) حث العلماء أقرانهم على تقوى الله في كل موطن :

ذلك لان العلم بلا تقوى مثله كالطعام بلا ملح ، لايستلذ الآكل منه ، والعالم لا يجد حلاوة الإيمان إلا إذا خالطته تقوى الله ، وخشيته في السر والعلن .

يقول سحنون[١] : « كنت إذا سألت ابن القاسم[٢] عن المسائل ، يقول لي : ياسحنون ، أنت فارغ ، إني لأحس في رأسي دويا ، كدوي الرحا — يعني قيام الليل — قال : وكان قلّما يعرض لنا إلا وهو يقول : إتقوا الله ، فإن قليل هذا العلم مع تقوى الله كثير ، وكثيره من غير تقوى الله قليل »[٣] .

ويعرف سفيان الثوري طلب العلم بقوله : « ليس طلب العلم فلان عن فلان ، إنما طلب العلم الخشية لله عز وجل »[٤] .

وعندما بعث برسالة إلى عباد بن عباد ينصحه فيها ، ابتدأها بقوله : « أمّا بعد فإنّي أوصيك بتقوى الله ، فإنّ اتقيت الله عز وجل ، كفاك

---

(١) أبو سعيد ، عبد السلام بن حبيب بن حسان التنوخي . (ت : ٢٤٣هـ) . الملقب بسحنون (وهو اسم طائر بالمغرب يوصف بالفطنة والتحرز) . كان فقيه المغرب وقاضي القيروان ، ساد أهل المغرب بعلمه ، وتفقه عليه خلق كثير ، ولم يكن يهاب سلطانا ، وكان شديدا على أهل البدع ، واجتمعت فيه صفات العالم الرباني — الفقه البارع ، والورع الصادق ، والصراحة في الحق ، والزهادة في الدنيا — توفي بسامراء (وهي مدينة في العراق) . (وفيات الاعيان ٣ / ١٨٢ ، وترتيب المدارك ٢ / ٥٨٥ وسير الاعلام ١٢ / ٦٣) .

(٢) سبقت ترجمته ص / ٩٠ .

(٣) سير الاعلام ٩ / ١٢٢ .

(٤) الحلية ٦ / ٣٧٠ .

الناس ، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا »[1] .

ومثل هذا كتب إلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب أكثر من مرة[2] . أمّا العالم الزاهد ، أبو بكر ــ المعروف بابن الخباز[3] ــ فقد كان قد ابتنى رباطا وكان عنده فيه جماعة من المتعبدين والزهاد ، ولما احتضر أوصاهم بتقوى الله عز وجل ، والإخلاص لله وللدين[4] .

الحسن البصري يؤنب عامر الشعبي[5] ويوصيه بتقوى الله :

دعا الحجاج فقهاء البصرة وفقهاء الكوفة ، وكان من بينهم الحسن البصري ــ رحمه الله وكان آخر من دخل ، فقال الحجاج : مرحبا بأبي سعيد ، إليّ ، إليّ ، ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره ، فقعد عليه ، فجعل الحجاج يذاكرهم ويسألهم ثم ذكر علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ ونال منه ، فوافقه الجالسون مقاربه له وفرقا من شره ، والحسن ساكت عاض على ابهامه ، فقال الحجاج : ياأبا سعيد مالي أراك ساكتا ؟ قال : ماعسيت أن أقول : أخبرني برأيك في أبي تراب قال : سمعت الله

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل ١ / ٢٩٤ .

(٢) انظر تقدمة الجرح والتعديل ١ / ٩٧ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن حبيب العامري ، المعروف بابن الخباز . (ت : ٥٣٠هـ) . الإمام المحدث ، والفقيه الزاهد ، وكان ابن الجوزي ممن تأدب به ، وأثنى عليه . شرح كتاب الشهاب . (البداية والنهاية ١٢ / ٢١١) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) عامر بن شراحيل الحميري . كنيته أبو عمرو . (ت : ١٠٤) . علامة أهل الكوفة ، كان إماماً حافظاً ، أدرك خلقا من الصحابة ، وروى عنهم ، ورأى عليا وصلى خلفه . أراده المختار الكذاب سوء فهرب إلى المدينة فأقام بها ٨ أشهر وخرج على الحجاج مع ابن الأشعث فتلطف في العذر ، فعفا عنه ، وكان من أذكياء العلماء . (الحلية ٤ / ٣١٠ وتذكرة الحفاظ ١ / ٧٩ وسير الاعلام ٤ / ٢٩٤) .

جل ذكره يقول : ﴿ وماجعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ، إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾[1] . فعلي ممن هدى الله من أهل الإيمان ، فأقول : ابن عم النبي عليه السلام ، وختنه على ابنته وأحب الناس إليه ، وصاحب سوابق مباركة سبقت له من الله ، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ، ولا يحول بينه وبينها ، وأقول : إن كانت لعلي هَنَات فالله حسبه ، والله ماأجد فيه قولاً أعدل من هذا ، فبسر وجه الحجاج ، وتغير ، وقام عن السرير مغضبا ، فدخل بيتا خلفه ، وخرج القوم .

قال عامر الشعبي ـ وكان جالسا معهم : فأخذت بيد الحسن فقلت : ياأبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره ، فقال إليك ياعامر ، يقول الناس : عامر الشعبي عالم أهل الكوفة ، أتيت شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه ، وتقاربه في رأيه ويحك ياعامر هلا اتقيت الله !! إن سئلت فصدقت ، أو سكت فسلمت .

قال عامر : ياأبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم مافيها ، قال الحسن : فذلك أعظم في الحجة عليك ، وأشد في التبعة[2].

(٥) ومن منهجهم : أنهم كانوا يأمرون وينهون في جماعة معهم[3] :

وكانوا يختارون من العلماء ممن يملكون القدره على أداء هذا

(١) البقرة : ١٤٣ .
(٢) بتصرف احياء علوم الدين ٢ / ٣٠٢ ، ٣٠٣ .
(٣) انظر كتاب المنطلق ص ١٤٩ .

الواجب ، والنهوض بعبء الدعوة ، والجهاد في سبيل الله ، إذ إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد له من جماعة تقوم به يشد بعضهم بعضا .

وقديما طلب موسى — عليه السلام — من ربه أن يشد عضده بأخيه هارون ، فقال : ﴿ واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري ﴾[١] ، وذلك عندما طلب منهما ربهما أن يذهبا إلى فرعون « اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري ، اذهبا إلى فرعون إنه طغى »[٢] ، ليقولا له قوله الحق ، فيأمرانه بالمعروف ، وينهيانه عن المنكر ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾[٣] وصحبة موسى مع هارون كان لها الأثر الكبير في تثبيت موسى وشد عضده ، وهو يتجه لأداء المهمة الكبرى التى اختاره الله لها ، في مواجهة الظلم والاضطهاد المتمثل في أفعال فرعون وزمرته — الملأ من حوله — وانقاذ بني إسرائيل من سطوته وجبروته قال تعالى لموسى : ﴿ سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا ﴾[٤] .

لذلك كان بعض العلماء لهم أتباع وأصحاب يؤازرونهم ، ويكونون لهم عونا في أداء الواجب .

---

(١) طه : ٢٩ — ٣٣ .
(٢) طه : ٤٢ — ٤٣ .
(٣) طه : ٤٤ .
(٤) القصص ٣٥ .

يقول الإمام الذهبي ــ رحمه الله ــ عن عبد الرحيم العلثي [1] : « وله أتباع وأصحاب ، يقومون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » [2] .

وكان أبو بكر الاقفالي[3] إذا نهض لانكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم ، كأبي بكر الخباز ــ شيخ صالح اضر[4] من اطلاعه في التنور ــ وتبعه جماعة مافيهم من يأخذ صدقة ، ولا يدنس بقبول عطاء ، صوام النهار قوام الليل ، أرباب بكاء فإذا تبعه مخلط رده وقال : متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش[5] .

وقد أشار إلى هذا المنهج الإمام الغزالي بقوله : « كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده ، وبسلاحه وبأعوانه » [6] .

---

(١) عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس ، العلثي ، البغدادي . (ت : ٦٨٥هـ) . الفقيه المحدث ، أحد مشايخ العراق ، ولد سنة ٦١٢هـ بالمأمونية ببغداد ، وكان زاهدا عابدا من بيت الحديث ، تابعا للسنة ، شديدا على المبتدعة عاصر سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ . (ذيل طبقات الحنابلة ٣١٥ ، ٣١٦) .

(٢) المصدر السابق ٢ / ٣١٦ .

(٣) لم أقف على ترجمته .

(٤) أي صار ضريرا .

(٥) كتاب المنطلق ص ١٥١ .

(٦) احياء علوم الدين ٢ / ٢٩٢ .

الفصل الثاني

منهج العلماء مع العامة

العلماء أداة إصلاح للناس كافة ، وقوله الحق والثبات عليها ديدنهم على الدوام ، وفي أقوالهم وتوجيهاتهم ومواعظهم ، صقل للنفوس ، وجلاء لما علق بها من عوالق الشر والفساد ، فأعانوا الناس على شياطينهم حينما ذكروهم بربهم ، وأبعدوهم عن كل سبيل يودي بهم إلى الهلاك .

فالناس بلا علماء في جهالة عمياء تعصف بهم رياح الباطل من كل حدب وصوب ، وتتخطفهم شياطين الإنس والجن ، وإذا غاب المخلصون عن ساحة الإصلاح ، تسود الفوضى ، وتعظم الفتن ، وتحل المصائب .

والناس بلا علماء في ظلام دامس لا تتألق فيه شمعة واحدة ، لانهم مصابيح الهدى للسائرين في دجى الليل ، بل هم نجوم السماء التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر .

يقول عليه الصلاة والسلام : « إنّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا طمست النحوم أوشك أن تضل الهداة »[1] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٣ / ١٥٧ ، والمنذر في الترغيب والترهيب ١ / ١٠٠ ، ١٠١ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٢١ : فيه رشدين بن سعد واختلف في الاحتجاج به ، وأبو حفص صاحب أنس مجهول ، والله اعلم .

وتكون بمقدار إقبالهم على الله ـ عز وجل ـ وإخلاصهم في عمله ، فمن كان تعلقه بالله أكبر عظم الله شأنه بين الناس ، وجعل قلوب العباد تهوي إليه .

يقول هرم بن حيان[1] : « ماأقبل عبد بقلبه إلى الله ، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه الله ودهم »[2] .

ولما توفي الاحنف بن قيس[3]، ودلي في حفرته ، أقبلت بنت لأوس السعدي ، وقالت : من الموافى به حفرته لوقت حمامه ؟ قبل لها الأحنف بن قيس . قالت : والله لئن كنتم سبقتمونا إلى الإستمتاع به في حياته لا تسبقونا إلى الثناء عليه بعد وفاته ، ثم قالت : لله درك من مجنن في جنن ، ومدرج في كفن ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، نسأل من ابتلانا بموتك ، وفجعنا بفقدك ، أن يوسع لك في قبرك ، وأن يغفر لك يوم حشرك .

أيها الناس : إن أولياء الله في بلاده هم شهوده على عباده ، وإنّا لقائلون حقا ، ومثنون صدقا ، هو أهل لحسن الثناء ، أما والذي كنت من

---

(١) هرم بن حيان العبدي . أحد العابدين ، حدث عن عمر بن الخطاب ، وروى عنه الحسن البصري وغيره . ولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان ببلاد فارس . (طبقات بن سعد ٧ / ٣١ والحلية ٢ / ١١٩ وسير الاعلام ٤ / ٤٨) .

(٢) سير الاعلام ٤ / ٤٩ .

(٣) هو أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية التميمي . (ت : ٦٧هـ وقيل ٧١هـ) تابعي جليل ، وعالم نبيل ، يضرب به المثل في الحلم . أدرك النبي ﷺ ولم يصحبه ، ووفد على عمر ، وكان أحد القواد الذين فتحوا بلاد العجم ، وأحد قواد علي يوم صفين . (وفيات الاعيان ٢ / ٤٩٩ وسير الاعلام ٤ / ٨٦ والبداية والنهاية ٨ / ٣٢٦) .

أجله في عدة ، ومن الحياة في مدة ، ومن المضمار إلى غاية ، ومن الآثار إلى نهاية ، الذي رفع عملك عند انقضاء أجلك ، لقد عشت مودودا حميدا ، ودمت سعيدا فقيدا ، ولقد كنت عظيم الحلم ، فاضل السلم ، رفيع العماد ، وأري ألزناد ، منيع الحريم ، سليم الأديم عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد [1].

وبهذا الرثاء والوصف الرائع ، تبدو لنا منزلة الأحنف ــ رحمه الله ــ بين الناس وتأثيره في قلوبهم .

ولما قدم الخليفة المهدي إلى المدينة ، وجه بغله إلى الإمام مالك ليركبها ويأتيه ، فرد البغلة وقال : إني استحي من الله أن أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ وأتاه ماشيا ، وكانت به عله فاتكاً على (المغيره المخزومي ، وعلي بن حسن العلوي ، وعلي بن أبي اللهلي)[2] ، فلما بصر به المهدي قال : ياسبحان الله ، يترك ركوب البغلة اجلالا لرسول الله ﷺ فقيض الله تعالى له هؤلاء فاتكأ عليهم ، والله لو دعوتهم أنا إلى هذا ماأجابوني ، فقال المغيرة : ياأمير المؤمنين ، نحن قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ علينا[3] .

ومن منزلة العلماء بين الناس :

خشية الحكام منهم بسبب تعلق الناس بهم :

وحرص الناس على بقاء العالم بينهم ، ولو كلف ذلك مواجهة

---

(١) سير الاعلام ٤ / ٩٦ ، وتهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٢٧ .
(٢) وهؤلاء الثلاثة كانوا من علماء المدينة وأشرافهم .
(٣) ترتيب المدارك ١ / ٢١٢ ، ٢١٣ .

السلطان أو الحاكم والخروج عليه . ذلك لان كرامة العلم ، وحب العلماء عند المسلمين بلغا الذروة في قلوبهم .

ولما دعا الخليفة المعتصم[1] بعم الإمام أحمد ، قال للناس : تعرفونه ؟ قالوا : نعم هو أحمد بن حنبل . قال : فانظروا إليه ، أليس هو صحيح البدن ؟ قالوا نعم ، ولولا أنه فعل ذلك لربما وقع شيء لايقام له . ولما قال : قد سلمته إليكم صحيح البدن ، هدأ الناس وسكنوا[2] .

ويعلق الإمام الذهبي على هذا الموقف بقوله : « ما قال مع تمكنه في الخلافه ، وشجاعته إلا عن أمر كبير ، كأنه خاف من الضرب ، فتخرج عليه العامة ولو خرج عليه عامة الناس لربما عجز عنهم »[3] .

خشية الخليفة المأمون من إظهار خلق القرآن :

قال الخليفة المأمون : « لولا مكان يزيد بن هارون[4] لاظهرت القرآن مخلوق ، فقيل له : ومن يزيد بن هارون حتى يتقى ؟ فقال للسائل : إني

---

(١) أبو إسحاق ، محمد بن هارون الرشيد : (١٨٠ ــ ٢٢٧هـ) . كان شهما شجاعا ، صاحب همة عالية في الحروب ، غزا بلاد الروم سنة ٢٢٣هـ ، فانكأ بهم نكاية عظيمة ، وفتح عمورية ، وقتل من أهلها ثلاثين ألف ، وسبا مثلهم وكان قد تولى الخلافة بعهد من أخيه المأمون . توفي بسامراء . (تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٢ وسير الاعلام ١٠ / ٢٩٠ والبداية والنهاية ١٠ / ٢٩٥ وتاريخ الخلفاء ص ٣٠٩) .

(٢) سير الاعلام ١١ / ٢٥٩ ، وانظر : تقدمة الجرح والتعديل ١ / ٣٩٠ .

(٣) سير الاعلام ١١ / ٢٦٠ .

(٤) يزيد بن هارون بن زادي . (١١٨هـ ــ ٢٠٦هـ) . الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، أبو خالد السلمي ، مولاهم الواسطي ، الحافظ . كان رأسا في السنة ، معاديا للجهمية ، منكرا تاويلها في مسألة الإستواء ، وكان ثقة كثير الحديث . (تاريخ بغداد ١٤ / ٣٣٧ وطبقات ابن سعد ٧ / ٣١٤ ، وسير الاعلام ٩ / ٣٥٨) .

لاتقيه لا لان له سلطنة ، ولكن أخاف إن اظهرته ، فيرد علي ، فيختلف الناس وتكون فتنة ، وأنا أكره الفتنة »[1] .

تصريح الملك الظاهر باستقرار ملكه :

لما توفي العز بن عبد السلام ــ رحمه الله ــ مرت جنازته من تحت القلعة وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذي معها ، وقال لبعض خواصه : اليوم استقر أمري في الملك ، لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس : اخرجوا عليه لانتزع الملك مني[2] .

إذا سكت مالك فمن يسأل ومن يجيب ؟ :

قال عبد الجبار بن عمر[3] : حضرت مالكا وقد أحضره الوالي في جماعة من أهل العلم ، فسألهم عن رجل عدا على أخيه حتى أدركه ، ودفعه في بئر وأخذ رداءه وأبوا الغلامين حاضران ، فقال جماعه من أهل العلم : الخيار للأبوين في العفو أو القصاص فقال مالك : أرى أن تضرب عنقه الساعة ، فقال الأبوان : يُقتل ابن بالأمس ، ونفجع في الآخرة اليوم ؟ نحن أولياء الدم وقد عفونا . فقال الوالي : ياأبا عبد الله ليس ثم طالب غيرهما وقد عفوا . فقال مالك : والله الذي لا إله إلا هو لا تكلمت في العلم أبدا أو تضرب عنقه ، وسكت ، وكلم فلم يتكلم ، فارتجت المدينة وصاح الناس : إذا سكت مالك فمن يسأل ، ومن يجيب ؟ وكثر اللغط وقالوا : لا أحد بمصر من الأمصار مثله ، ولا يقوم مقامه في العلم والفضل ،

---

(١) تاريخ بغداد ١٤ / ٣٤٢ ومناقب أحمد لابن الجوزي ص ٣٨٦ وسير الاعلام ٩ / ٣٦٢ .

(٢) طبقات الشافعية ٨ / ٢١٥ .

(٣) عبد الجبار بن عمر الابلي (ت : بعد ١٦٠هـ) . (تقريب التهذيب ١ / ٤٦٦) .

فلما رأى الوالي عزمه على السكوت قدم الغلام فضرب عنقه ، فلما سقط رأسه إلتفت مالك إلى من حضر وقال : إنّما قتلته بالحرابة حين أخذ ثوب أخيه ، ولم أقتله قودا إذا عفا أبواه .

فانصرف الناس ، وقد طابت نفوسهم حين رأوه برّ في يمينه إذ كان يعلم انه لا يحنث[1] .

العلماء هم الاطباء ـ (اهمية وجودهم) :

يقول سفيان الثوري : « مثل العالم مثل الطبيب لا يضع الدواء إلا على موضع الداء » .

ويقول : « المال داء هذه الأمة ، والعالم طبيب هذه الامة ، فإذا جر العالم الداء إلى نفسه ، فمتى يبرئ الناس »[2] .

ولا يزال الناس بخير مابقي فيهم من يعرف الحق ويدعو له ، وينكر الباطل ويدعو لتركه .

ولوجود العلماء أهمية بالغة بين الناس ، فهم يعلمون الناس أمور دينهم ويدعونهم إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية الفاضلة ، ويدفعون بالمجتمع إلى تطبيق شريعة الله والمحافظة عليها ، وفي نفس الوقت يقفون بوجه الحاكم إذا حاد أو زاغ عن الحق .

« والعالم في الوقت الذي يكون فيه حليف محراب ، وأليف تقوى ، يكون بطل جهاد ، وفارس ميدان ، وحين تراه واعظا ومدرسا في المسجد ،

---

(١) ترتيب المدارك ١ / ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٢) سير الاعلام ٧ / ٢٤٣ والحلية ٦ / ٣٦١ .

نراه خطيبا ومرشدا في مجلس الشورى ، فيه الإستعداد الكامل ليكون جنديا وقائدا ، جامعا بين الرحمة والشدة »[1] .

والعالم أكثر الناس فراسة في تشخيص الداء ، واعطاء الدواء ، لذلك كان سفيان الثوري حكيما في معالجة الداء ، فقد كان إذا دخل البصرة حدث بفضائل علي ، وإذا دخل الكوفة حدث بفضائل عثمان .

ويقول : إذا كنت في الشام فأذكر مناقب علي ، وإذا كنت في الكوفة فأذكر مناقب أبي بكر وعمر[2] .

وهذا النهج الذي سلكه داعيا لتخفيف الحدة هنا وهناك ، وازاله التعصب الذي لايمت إلى الحق بصله .

كتاب أبي زرعة الرازي[3] إلى عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني[4] :

يقول له : « اعلم رحمك الله اني ماأكاد أنساك في الدعاء لك ليلي ونهاري أن يمتع المسلمون بطول بقائك ، فإنه لايزال الناس بخير مابقي من

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام ص ٣١ .

(٢) حلية الأولياء ٧ / ٢٧ .

(٣) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي ، (ت : ٢٦٤هـ) . الإمام الحافظ ، كان آية في حفظ الحديث ومعرفه العلل والرجال . ارتحل في طلب الحديث إلى الحجاز ، والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان ، وكتب الكثير . (الجرح والتعديل ١ / ٣٢٨ وتاريخ بغداد ١٠ « وتذكرة الحفاظ ٢ / ٥٥٧ وسير الاعلام ١٣ / ٦٥) .

(٤) عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني . (ت : ٢٥٠هـ) . الإمام المحدث المتقن ، أخذ عن يحيى القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل ، وهو من شيوخ ابن ماجة . (الجرح والتعديل ٥ / ٢٦٣ وسير الاعلام ١٢ / ٢٤٢ وتهذيب التهذيب ٦ / ٢٣٤ وطبقات المحدثين بأصبهان ص ١٤٥) .

يعرف العلم وحقه من باطله ، ولولا ذلك لذهب العلم وصار الناس إلى الجهل ، وقد جاء عن النبي ﷺ إنه قال : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين [1] . وقد جعلك الله فيهم فأحمد الله على ذلك فقد وجب لله عز وجل الشكر على ذلك » [2] .

رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد :

بعث الإمام أحمد بن حنبل جوابا على رسالة مسدد بن مسرهد لما اشكل على مسدد أمر الفتنة ، وما وقع فيه الناس من الإختلاف في القدر والإعتزال ، وخلق القرآن والإرجاء .

قال الإمام أحمد بن حنبل : « بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، وينهون عن الردى يحيون بكتاب الله الموتى ، وبسنة النبي أهل الجهالة ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، ينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين الذين عقدوا الوية البدع ، وأطلقوا اعنة الفتنة ، مختلفين في الكتاب يقولون على الله وفي الله ـــ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـــ وفي كتابه بغير علم ، فنعوذ بالله من كل فتنة مضلة ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما » [3] .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم بسنده . انظر الجرح والتعديل جـ ١ / ق ١ / ١٧ .

(٢) أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية . ١ / ٢١٦ دراسة وتحقيق / د . سعدي الهاشمي .

(٣) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٢١٦ ـــ ٢١٧ .

أهم الأساليب التي انتهجها العلماء مع العامة

(١) مداخلة العامة والاختلاط بهم .
(٢) القدوة الصالحة .
(٣) التواضع لهم ، والرأفة بهم .
(٤) حرصهم على بيان الحق للعامة .
(٥) رعايتهم لحقوق العامة .
(٦) مجالس الذكر .

١ ــ مداخلة العامة والاختلاط بهم :

الاختلاط بالناس ومداخلتهم يمنح العلماء فرصة أكبر للتعرف على أحوال الناس وتمييز الغث من السمين ، ومعالجة الأخطاء بصورة أدق ، من غير تجريح ولا تقريع ، وفي نفس الوقت يساعد العلماء على توجيه الناس نحو الخير كل حسب طاقته ومقدار تحمله ، بالإضافة إلى ذلك تقوى الأواصر وتزرع الثقة بين العلماء والعامة .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يبحث عن معادن الناس ، فإذا بلغه عن شخص الصلاح أو الزهد أو أتباع للأمر سأل عنه وأحب أن يجري بينه وبين ذلك الرجل معرفة ، وأن يعرف أحواله[1] .

---

(١) انظر مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٢١٨ .

وبعض العلماء لم يقتصر على مخالطة مجموعة معينة من الناس ، بل حاولوا توسيع هذه الدائرة متى سمح الجهد والوقت ، ولم يقتصروا في اصلاحهم على أهل المدن فحسب ، بل نشروا دين الله بين أهل القرى والأرياف .

فهذا الإمام الزهري ـــ رحمه الله ـــ زعيم المحدثين ، ربى أجيالا من أهل الحواضر الإسلامية ، وجعلهم أئمة في الحديث ، بالإضافة إلى ذلك « كان ينزل بالإعراب يعلمهم » يحفظ من بقي صحيح العقيدة ، ويتلطف مع المنحرفين ليصبح اعتقادهم وسلوكهم[1] .

وجدد آخرون سيرة الزهري ، فهذا الفقيه الواعظ أحمد الغزالي[2] كان « يدخل القرى والضياع ، ويعظ أهل البوادي تقربا إلى الله »[3] .

« وهذا العمل لايعدله على آخر ، ومنزلة صاحبه لا تعدلها منزلة أن خالط الاخلاص دعوته ، فمن أراد له الله الفوز في الدارين جعله جهبذا وداعيا للعباد ونذيرا لهم ، وحجة فيهم هاديا مهديا »[4] . وهذه المنزلة هي

---

(١) كتاب المنطلق محمد أحمد الراشد ص ١٤٦ (بتصرف) .

(٢) أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي . (ت : ٥٢٠) . أخو الإمام أبي حامد الغزالي . كان واعظا مفوها ، ذا حظ من الكلام والزهد وحسن التأتي . قال عنه ابن الجوزي : قد كانت له نكت ، إلا أن الغالب على كلامه التخليط والأحاديث الموضوعه ، وتكلم عن بعض أحواله ، فالله أعلم بحاله . وقال عنه ابن خلكان : كان واعظا مليح الوعظ ، وكان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه . (وفيات الاعيان ١ / ٩٧ والمنتظم ٩ / ٢٦٠ والشذرات ٤ / ٦٠ والبداية والنهاية ١٢ / ١٩٧ وطبقات الشافعية ٦ / ٥٩٥) .

(٣) طبقات الشافعية ٦ / ٦٢ .

(٤) مقالة الشيخ عبد القادر الجيلاني . فتوح الغيب ص ٤٩ .

الغاية القصوى في بني آدم ، لا منزلة تفوقها إلا النبوه .

يقول تبار وتعالى : ﴿ ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾[1] .

لذلك خالط العلماء كل أصناف الناس ، كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم عظيمهم ووضيعهم ، لا لشيء إنما لارساء المنهج ، وتوضيح أمر هذا الدين .

ويقرر ابن القيم فضل هذا المنهج فيقول : « والعالم الذي قد عرف السنه والحلال والحرام ، وطرق الخير والشر : مخالطته للناس ، وتعليمهم ، ونصحهم في دينهم ، أفضل من إعتزاله وتفريغ وقته للصلاة ، وقراءة القرآن والتسبيح »[2] .

والإمام الغزالي[3] يقول : اعلم إن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر ، من حيث التقاعد عن إرشاد الناس ، وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد ، فكيف في القرى والبوادي ، ومنهم اعراب والاكراد ، والتركانيه ، وسائر أصناف الخلق ، وواجب أن يكون في كل مسجد ومحله من البلد فقيه يعلم الناس دينهم ، وكذا في كل قرية . وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه ، وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من

---

(١) فصلت ٣٣ .

(٢) عدة الصابرين ابن القيم ص ٩٣ .

(٣) محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد . أشتهر بالتصوف والفلسفة ، وله نحو من مئتي مصنف رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، ثم عاد إلى بلدته . (طبقات الشافعية ٤ / ١٠١ والاعلام ٧ / ٢٢) .

يجاور بلده من أهل السواد ، ومن العرب والاكراد ، وغيره ، ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ، ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ، ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مغصوب ، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الباقين ، وإلا عم الحرج الكافه أجمعين . أمّا العالم فلتقصيره في الخروج ، وأمّا الجاهل فلتقصيره في ترك العلم[1] .

٢ ــ القدوة الصالحة :

وهذا ماعرف باصطلاح الشرع ، وورد في قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾[2] .

والقدوة الصالحة تعني : الإلتزام العملي الصحيح بما يأمر الناس به ، والإبتعاد العملي عما ينهى الناس عنه في أمر هذا الدين . إذ لابد أن يكون فعل العالم الصادق أبلغ من معاني دعوته ، وعقيدته التي يحدث الناس بها .

يقول الإمام الأوزاعي : « كنا قبل اليوم نضحك ونلعب ، أمّا إذا صرنا أئمة يقتدى بنا ، فلا نرى أن يسعنا ذلك ، وينبغي أن نتحفظ »[3] .

ولما هم إمام مصر الليث بن سعد[4] بفعل مفضول ينافي العزيمة ،

---

(١) احياء علوم الدين ٢ / ٢٩٩ .

(٢) الأنعام : ٩٠ .

(٣) البداية والنهاية ١٠ / ١١٩ .

(٤) الليث بن سعد . (٩٤هـ ــ ١٧٥هـ) . أبو الحارث ، إمام الديار المصرية . أخذ عن عطاء بن أبي رباح ، والزهري وآخرين . قال عنه الشافعي : (هو أفقه من مالك . وقال أيضا : كان أتبع للأثر من مالك) قيل : وكان يدخله من الغلة في كل سنة ثمانون ألف دينار ، وما وجبت عليه زكاة . وله مناقب كثيرة في الجودة والسخاء . (البداية والنهاية ١٠ / ١٦٦ وتذكرة الحفاظ ١ / ٢٢٤) .

قال له إمام المدينة يحيى بن سعيد الأنصاري[1] : « لاتفعل فإنك إمام منظور إليك »[2] فالعالم ليس كغيره ، فهو موضوع قدوة بين الناس ، والأنظار تتجه إليه وتسدد الضوء صوبه لتعد حركاته وسكناته ، فهو كالقمر في السماء يراقب الناس حركته ودورانه أكثر من نجومها .

سعيد بن المسيب مثال للقدوة الصالحة :

لما دعي سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد ، وسليمان بن عبد الملك بعد أبيهما ، قال : لا أبايع أثنين مااختلف الليل والنهار ، « فإن النبي ﷺ نهى عن بيعتين » ، فقيل : ادخل واخرج من الباب الآخر ، قال : والله لا يقتدي بي أحد من الناس . فجلد مائة جلدة[3] .

ويتحمل سعيد ذلك كله في سبيل أن لا يكون فتنة للناس فيلبس عليهم أمر دينهم .

ومن المعاني السامية « للقدوة الصالحة » والتي تبرز في حياة سعيد مع الناس امتناعه عن تزويج ابنته للوليد بن عبد الملك ، وإصراره على تزويجها للرجل الفقير كثير بن أبي وداعة[4] . وتروي القصة كما أوردها الإمام الذهبي :

---

(١) يحيى بن سعيد الأنصاري . (قبل ٧٠هـ ــ ١٤٢هـ) . العلامة المجود ، عالم المدينة في زمانه ، وهو تابعي ثقة . وكان قاضيا على المدينة . (التاريخ الكبير ٨ / ٢٧٥ وتهذيب التهذيب ١١ / ٢٢١ وسير الاعلام ٥ / ٤٦٨) .

(٢) تهذيب التهذيب ٨ / ٤٦٣ .

(٣) سير الاعلام ٤ / ٢٣١ ، واحياء علوم الدين ٢ / ١٢٨ ، وما بين القوسين « الحديث » قال عنه الحافظ العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح من رواية يحيى بن سعيد . (احياء علوم الدين ٢ / ١٨٢ « الحاشية ») .

(٤) هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة ، وهو سهمي مكي . (سير الاعلام ٤ / ٢٣٤) .

كانت بنت سعيد قد خطبها عبد الملك لابنه الوليد ، فأبى عليه ، فلم يزل يحتال عبد الملك عليه حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد ، وصب عليه جرة ماء ... وعن أبي وداعه قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب ، ففقدني أياما فلما جئته قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال : إلا أخبرتنا فشهدناها ، ثم قال : هل استحدثت امرأة ؟ فقلت : يرحمك الله ، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ قال أنا ، فقلت : وتفعل ؟ قال : نعم ، ثم تحمد ، وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين ، أو قال ثلاثة ، فقمت وما أدري ماأصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلي ، وجعلت أتفكر فيمن أستدين ، فصليت المغرب ، ورجعت إلى منزلي ، وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر ، وكان خبزا وزيتا ، فإذا بالباب يقرع ، فقلت : من هذا ؟ فقال سعيد . فأفكرت في كل من اسمه سعيد الا ابن المسيب ، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد ، فخرجت فإذا سعيد ، فظننت أنه بدا له ، فقلت ياأبا محمد ألا أرسلت إلي فآتيك ؟ قال : لا ، أنت أحق أن تؤتى ، إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت ، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله ، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ، ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ، ثم وضعت القصعة في ظل السراج لكي لا تراه ، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران ، فجاؤوني فقالوا : ماشأنك ؟ فأخبرتهم فنزلوا إليها ، وبلغ أمي ، فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن اصلحها إلى ثلاثة أيام ، فأقمت ثلاثا ، ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجمل النساء ، وأحفظ الناس لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة النبي ﷺ وأعرفهم بحق زوج ، فمكثت شهرا لا آتي سعيد بن المسيب ، ثم أتيته

وهو في حلقته ، فسلمت ، فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تقوض المجلس فلما لم يبق غيري قال : ماحال ذلك الإنسان ؟ قلت خير ياأبا محمد ، على مايحب الصديق ، ويكره العدو ، قال : إن رابك شيء فالعصا ، فانصرفت إلى منزلي ، فوجه إلي بعشرين ألف درهم(١) .

وهب بن منبه يعرض صوره للقدوة الصالحة :

يقول : أتى رجل من أفضل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس عن أكل لحم الخنزير ، فأعظم الناس مكانه ، وهالهم أمره ، فقال له صاحب شرطة الملك ـــ سرا بينه وبينه ـــ : أيها العالم أذبح جديا مما يحل لك أكله ، ثم أرفعه إلي فاصنعه لك ... فإذا دعا الملك بلحم الخنزير أمرت به فوضع بين يديك ، فتأكل منه حلالا ويرى الملك والناس إنما أكلت لحم الخنزير ، فذبح ذلك العالم جديا ، ثم دفعه إلى صاحب الشرط ، فصنعه له ، وأمر الطباخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير ، أن يضعوا بين يديه لحم هذا الجدي . وأجتمع الناس ينظرون أمر هذا العالم فيه ، أيأكل أم لا ، وقالوا : إن أكل أكلنا ، وإن امتنع امتنعنا ، فجاء الملك فدعا لهم بلحوم الخنازير ، فوضعت بين أيديهم ، ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجدي الحلال المذكى ، فألهم الله ذلك العالم ، فألقى في روعه وفكره ، فقال : هب اني أكلت لحم الجدي الذي اعلم حله أنا ، فماذا أصنع بمن لايعلم ؟ والناس إنما ينظرون أكلي ليقتدوا بي ، وهم لا يعلمون إلا أني إنما أكلت لحم الخنزير فيأكلون إقتداءا بي فأكون ممن يحمل أوزارهم يوم القيامة ، لا أفعل والله وإن قتلت وحرقت بالنار . وأبى أن يأكل فجعل صاحب الشرطه يغمز إليه ويومي إليه ويأمره بأكله ـــ أي إنما

---

(١) الحلية ٢ / ١٦٧ ، ١٦٨ وسير الاعلام ٤ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

هو لحم جدي ــ فأبى أن يأكل ، ثم أمره الملك فأبى فألحوا عليه فأبى ، فأمر الملك صاحب الشرط بقتله ، فلما ذهبوا به ليقتلوه قال له صاحب الشرط : مامنعك أن تأكل من اللحم الذي ذكيته أنت ودفعته إلي ؟ أظننت أني أتيتك بغيره ، وخنتك فيما ائتمنتني عليه ، ماكنت لافعل والله . فقال له العالم : قد علمت انه هو ، ولكن خفت أن يتأسى الناس بي ، وهم إنما ينتظرون أكلي منه ، ولا يعلمون إلا أني أكلت لحم الخنزير ، وكذلك كل من أريد على أكله فيما يأتي من الزمان يقول : أكله فلان ، فأكون فتنة لهم . فقتل ــ رحمه الله)[1] .

موعظة الإعرابي للإمام أحمد بن حنبل :

أُخذ الإمام أحمد بن حنبل ومعه محمّد بن نوح إلى الخليفة ، وقد حملا على بعير واحد وهما مقيّدان ، فلما كانا ببلاد الرحبة جاءهما رجل من الاعراب من عبادهم يقال له جابر بن عامر[2] فسلم على الإمام أحمد وقال له : ياهذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤما عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فإيّاك أن تجيبهم إلى مايدعونك إليه فيجيبوا ، فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله فاصبر على ماأنت عليه فإنه مابينك وبين الجنة إلا أن تقتل ، وإنّك إنْ لم تقتل تمت ، وإن عشت عشت حميدا .

قال الإمام أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمي على ماأنا فيه من الامتناع من الذي يدعونني إليه[3] .

---

(١) البداية والنهاية ٩ / ٢٩٣ . وانظر احياء علوم الدين ٢ / ١٣١ .

(٢) من ربيعة ، كان من الاعراب ، يعمل الشعر في البادية ويذكر بخير . (مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٣٨٩) .

(٣) البداية والنهاية ١٠ / ٣٣٢ ، وانظر مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٥٢٠ .

كانت هذه موعظة للإمام أحمد من الإعرابي ، وفيها تنبيه للإمام أحمد إلى ان في إجابته اضلال لعامة الناس ، لأن رأيهم من رأيه ، وموقفهم من موقفه ، فإن أجاب أجابوا ، وما يحدث ذلك إلا لقوة اقتداء الناس بالإمام أحمد وتأثرهم بسيرته وسلوكه .

وما بلغ علماء أمتنا هذه المنزلة إلا بإخلاصهم ، وتفانيهم لهذا الدين وإلتزامهم بأحكامه .

يقول عبد الواحد بن زياد [1] : « مابلغ الحسن البصري إلى مابلغ إلا لكونه إذا أمر الناس بشيء يكون أسبقهم إليه ، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدهم منه »[2] .

وكان بعضهم يحذر أصحابه من مغبة سوء العمل .

يقول هرم بن حيان : (إياكم والعالم الفاسق) ، ويفسر ذلك بقوله : (هو أن يكون إمام يتكلم بالعلم ، ويعمل بالفسق ، ويشبه على الناس فيضلوا)[3] .

والله تبارك وتعالى حذر في كتابه وأوعد ، فقال : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾[4] .

وقال في موضع آخر : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم

---

(١) عبد الواحد بن زياد العبدي مولاهم البصري ، وهو أحد الاعلام . (ت : ١٧٦هـ) . (تهذيب التهذيب ٦ / ٤٣٤) .

(٢) كتاب الزهد لابن المبارك ص ٥٢٠ .

(٣) سير الاعلام ٤ / ٤٩ .

(٤) الصف ٢ ، ٣ .

تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾[1].

وقال ﷺ : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا ، فيجمتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان ، ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فيقول : كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه »[2].

إذن : فتطبيق العالم للإسلام في صورته العمليه يعد دعوة ومنهجا للاصلاح ذلك لأن الناس يقلدون العالم دون غيره ، إذ هم يرون فيه طيب القلب ، وحسن السيرة وفضائل الأخلاق ، ويكبرون فيه حب الخير والعدل ، وكره السوء والظلم ، فهو يصدع بما يؤمر ولو على نفسه ، فيصمد في وجه الظالمين المعتدين على أحكام الله ، ينكر على الحاكم الجائر ، ويصلح الفاسق حتى يعينه على الخير .

سلاح ذو حدين :

أحدهما يؤثر في الناصح ، وثانيهما يؤثر في السامع .

إذْ أن العالم الناصح للعامة لو كان مخلصا في نصيحته ، وإرشاده للناس لاستطاعت أقواله ، ونصائحه أن تؤثر فيه ، ومع استمراره في الوعظ والإرشاد ، والتوجيه نحو الخير ، ومتابعة الناس ، يستقيم حاله يوما من بعد يوم ، أمّا إذا استمر الناصح في مخالفه أقواله ، وإظهر الإنحراف ، فعند ذلك يموت ضميره ، وينعدم أحساسه إزاء المنكرات حتى يتحول إلى تاجر

---

(١) البقرة : ٤٤ .

(٢) رواه البخاري ك / بدء الخلق ب / صفة النار ٤ / ١٤٧ ، ورواه مسلم في كتاب الزهد .

أقوال يحصل عن طريقها على المغانم الدنيوية الزائلة ، وتكون أقواله حجة عليه لا له ، لأن هذا الإنسان إما أن يكون مؤمنا بما يدعو إليه ، ويخالف ذلك فهو إذن عالم مغلوب على أمره لأنه يعرف الخير وينحرف عنه ، ويعرف الشر وينغمس فيه ، أو أنه غير مؤمن بما يدعو إليه فهو بذلك يكون كاذبا مرائيا منافقا في أمر دعوته ، قد اتخذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صناعه من الصناعات يستدر منها مالا أو جاها أو عرضا من اعراض الدنيا[1].

ولا يمكن القول بأن الآمر بالمعروف ، والناهي عن المنكر لا يمكن أن يخطئ أو يقع في معصية أو يرتكب أثما ، فهذا محال لأن كل ابن آدم خطاء . لكن أولى الناس بالإستقامة ، والإسراع إليها هو صاحب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فهم خاطئ :

قد يظن الكثير من الناس إنه لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، إلا أن يكون صاحب الأمر والنهي مطبقا لأحكام الإسلام جميعا ليس فيه نقص ، وهذا غير صحيح فلو كان كذلك لما أمر أحد بالمعروف أو نهى عن المنكر ، ولتعطلت الشرائع واستشرى الفساد .

يقول سعيد بن المسيب : « لو كان المرء لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ، مأأمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر »[2] .

---

(١) انظر الأخلاق الإسلامية واسسها ٢ / ٦٣٤ ، ٦٣٥ . عبد الرحمن حسن حبنكة .
(٢) تفسير القرطبي ١ / ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

والنبي ﷺ يقرر ذلك فيقول: «مروا بالمعروف وأن لم تعلموا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله»[1].

(٣) التواضع لهم والترفق بهم:

ومن منهج العلماء مع العامة في معالجة أخطائهم، وتخليصهم من المعاصي التي التصقت بهم، هو الترفق بهم والتودد إليهم، فهم يرونهم كالواقفين على شفا جرف هار، أو حافه واد سحيق مظلم، يخافون عليهم من السقوط والهلاك، فيعلمون جهدهم في تخليصهم، وهم في سبيل هذا الهدف يتواضعون معهم ويخفضون لهم جناح الذل من الرحمة، ولا يحتقرونهم لانفسهم، بل يحقرون لهم المعاصي عسى أن يخلعوا ثوبها.

وعلى الآمر والناهي أن يكون مثله كمثل السباح الماهر الذي يريد أن ينقذ غريقا من تحت الأمواج، فمن الحكمة أن لا يأتيه من أعلى لأن ذلك فيه زيادة الغرق والهلاك، بل يأتيه من أسفل ويرفق فيدفعه هوينا .. هوينا .. حتى يعينه على الخروج، وينقذه من الهلاك.

والعصاه من الناس مثلهم كمثل الغريق، إذ هم غرقى في المعاصي، ولانقاذهم لابد أن نأتيهم من أسفل، وذلك عن طريق التواضع لهم والترفق بهم، والتودد إليهم حتى لا نعين الشيطان عليهم.

ولبيان هذا المنهج نستعرض مافعله عبد الله بن محمد بن عائشة وذلك عندما خرج ذات ليلة من المسجد بعد صلاه المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران، وقد قبض على امرأه فجذبها فاستغاثت

---

(١) احكام القرآن للجصاص ٢ / ٣٣، ٣٤. من طريق أبي هريرة.

فاجتمع الناس يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن أخي ، ثم قال : إلي ياابن أخي ، فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له : أمض معي ، فمضى معه حتى صار إلى منزله ، فأدخله الدار ، وقال لبعض غلمانه : بيته عندك ، فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ، ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به ، فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه ، وبكى وهم بالإنصراف ، فقال الغلام قد أمر أن تأتيه فأدخله عليه ، فقال له : أما استحييت لنفسك ؟ أما استحييت لشرفك ؟ أما ترى من ولدك ؟ فاتق الله وأنزع عما أنت فيه . فبكى الغلام منكسا رأسه ، ثم رفع رأسه وقال : عاهدت الله عهدا يسألني عنه يوم القيامه ، أني لا أعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه ، وأنا تائب ، فقال : ادن مني ، فقبّل رأسه وقال : أحسنت يابني . فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ، ويكتب عنه الحديث ، وكان ذلك ببركة رفقه ، ثم قال : إن الناس يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويكون معروفهم منكرا ، فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون ماتطلبون [١] .

لذلك فإنه « لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، حتى يكون فيه ثلاث : رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عالم بما ينهى ، عدل فيما ينهى »[٢] .

ويوجه سفيان الثوري الآمر بالمعروف نحو الرفق ، فيقول :

« أؤمر بالمعروف في رفق ، فإن قبل منك حمدت الله عز وجل ، وإلا

---

(١) الاحياء ٢ / ٣٣٠ .

(٢) منهاج الصالحين ص ٤١٣ .

أقبلت على نفسك فإن لك شغلا »[1] .

ويصف الشيخ عبد القادر الجيلاني سيرة الداعية ، ومنهجه ، فيقول :

« يدلون الخلق ، ويصبرون على آذاهم مع دوام النصح لهم . يتبسمون في وجوه المنافقين ، والفساق ، ويحتالون عليهم بكل حيلة حتى يخلصوهم مما هم فيه ويحملوهم إلى ربهم عز وجل »[2] .

وللأحنف بن قيس موقف حكيم عندما جاء إلى قوم في دم ، فتكلم وقال : احتكموا قالوا : نحتكم ديتين . قال : ذاك لكم ، فلما سكتوا قال : أنا أعطيكم ما سألتم فاسمعوا : إنّ الله قضى بدية واحدة ، وإن العرب تعاطى بينها دية واحدة ، وأنتم اليوم تطالبون ، وأخشى أن تكونوا غدا مطلوبين ، فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ماسننتم ، قالوا ردها إلى دية)[3] .

وبهذا استطاع الأحنف أن يقنع القوم ، وأن ينهى عن منكر أرادوا فعله ، فارخى لهم الحبل في أول الأمر ليمتص غضبهم ، ولم يواجههم بالشده والعنف ، وإنما قال لهم : إنا أعطيكم ماسألتم .

وباللين معهم ، ومخاطبتهم بأدلة واضحة ، قادهم إلى حكم الحق ، وجادة الصواب وبذلك أنقذهم من انزلاقة خطيرة هي التلاعب بحدود الله .

(٤) حرصهم الشديد على بيان الحق للعامة :

حتى لا يلتبس عليهم الحق ، فيختلط الحابل بالنابل ، فصارحوا

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل الرازي ١ / ١٢٤ .

(٢) الفتح الرباني ص ٨٣ .

(٣) سير الاعلام ٤ / ٩٣ وفيات الاعيان ٢ / ٥٠١ .

العامة في بيان أحكام الشريعة ، وتمييز الحق من الباطل ، ولم يلبس عليهم أمرا من أمور دينهم بسبب الخوف أو الجبن من سطوة الحكام .

فهذا أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي يخاطب الوزير عميد الدولة ابن جهير فيقول له : « لا تلمنا على ملازمة البيوت ، والاختفاء عن العوام ، لأنهم إن سألونا لم نقل إلا مايقتضي الأعظام لهذه القبائح ، والإنكار لها ، والنياحة على الشريعة »[1] .

والإمام أحمد بن حنبل وضع القاعدة لهذا المنهج ، بقوله : (إذا أجاب العالم تقية ، والجاهل يجهل ، فمتى يتبين الحق)[2] .

ذلك لأن العلماء قادة الجماهير في الإصلاح ، والجماهير منحتهم الثقة في أمر دينهم ، فإذا كان الأخذ بالرخصة وارداً في الشرع لمن خشي على نفسه ، فأخذ العلماء بالعزيمة أولى وأجدر ، إذا جبن العلماء عن قولة الحق لخشيتهم على أنفسهم ، فمن يحرس حدود الله ، وهم أعلم الناس بأحوالها .

والإمام سفيان الثوري كان حريصا على بيان الحق للناس رغم مطاردة السلطان له ومن حرصه الشديد على ذلك :

قال شجاع بن الوليد[3] : « كنت أحج مع سفيان فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبا وراجعا »[4] .

---

(١) المنهج الأحمد ٢ / ٢١٩ .

(٢) الإسلام بين العلماء والحكام / عبد العزيز البدري ص ١٥٩ .

(٣) شجاع بن الوليد بن قيس السكوني ، أبو بدر الكوفي . (ت : ٢٠٤هـ) . قال عنه سفيان الثوري : ليس بالكوفة أعبد منه . (تهذيب التهذيب ٤ / ٣١٣ وتقريب التهذيب ١ / ٣٤٧) .

(٤) سير الاعلام ٧ / ٢٥٩ .

(٥) رعايتهم لحق الناس :

حرص العلماء على مصلحة العامة ، والدفاع عنهم ، ورعاية حقوقهم ، ومحاسبة الحاكم على تقصيره تجاههم ، كل ذلك يزيد من قوة أواصر المحبة والثقة بين العلماء والعامة . فكان العلماء هم اللسان الناطق باسم العامة .

ومن رعاية العلماء لحقهم ، مافعله الحكم بن عمرو الغفاري[1] عندما كان على الصائفة ، وقد كتب إليه زياد بن أبيه[2] يقول له : أن أمير المؤمنين معاوية كتب إلي يأمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء ، فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضه ، وأقسم ماسوى ذلك ، فكتب إليه الحكم يقول له : وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، والله لو أن السماوات والأرض كانتا رتقا على عبد فاتقى الله لجعل له منها مخرجا . ثم نادى في الناس ، وقسم فيهم مااجتمع له من ألفيء[3] .

كذلك موقف أبي مسلم الخولاني مع معاوية بن أبي سفيان عندما

---

(١) الحكم بن عمرو مجدع الغفاري . (ت : ٥٠هـ) . صحب النبي ﷺ إلى أن مات . وله رواية ، وحديثه في البخاري نزل البصرة ، وأقام بمرو ، ومات بها . (تهذيب التهذيب ٢ / ٤٣٦ والتقريب ١ / ١٩٢ ــ وقد وقع خطا في التقريب حيث ذكر سنة وفاته ٥هـ ، والصحيح ٥٠هـ والاصابة ٢ / ٢٩ والاعلام ٢ / ٢٦٧) .

(٢) زياد بن أبيه . (١ ــ ٥٣هـ) . أمير من الدهاة القادة الفاتحين ، من أهل الطائف ، اختلفوا في اسم أبيه فقيل : عبيد الله الثقفي وقيل : أبو سفيان . أدرك النبي ولم يره ، وأسلم في عهد أبي بكر الصديق . الحقه معاوية بنسبه بعد ماتبين إنه أخوه من أبيه ، فكان عضده الأقوى ، وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق فلم يزل في ولايته إلى أن توفي . (ميزان الاعتدال ١ / ٣٥٥ والاعلام ٣ / ٥٣) .

(٣) العقد الفريد ١ / ٥٨ .

حبس معاويه العطاء[1] ، وذلك عندما صعد معاوية المنبر ، قام إليه أبو مسلم وقال له : لم حبست العطاء يامعاوية ؟ إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ، ولا كد أمك حتى تحبس العطاء ، فغضب معاوية غضبا شديدا ، ونزل عن المنبر ، وقال للناس : مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم عاد إليهم ، فقال : إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الغضب من الشيطان ، والشيطان خلق من نار ، وإنما تطفا النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فيغتسل »[2] وإني دخلت فاغتسلت ، وصدق أبو مسلم : إنه ليس من كدي ولا كد أبي ، فهلموا إلى عطائكم[3] .

وفي الرسالة التي بعث بها الإمام الأوزاعي إلى الخليفة[4] والتي يشفع فيها في زيادة ارزاق أهل الساحل ، يظهر فيها رعاية الأوزاعي لحقوق الفقراء والمساكين ودفاعه عنهم .

(٦) مجالس الذكر :

★★ ومن منهج العلماء مع العامة في توجيههم نحو الخير ، عن طريق مجالس الذكر التي كانت تغص بروادها حتى بلغت الآفا من الناس ، وعن طريقها يتم توجيه الناس نحو الخير ، وبيان أحكام الله ، والحلال والحرام .

ولما استشرى الفساد ، وعمت الفوضى في أواخر العصر العباسي ،

---

(١) هي مرتبات ثابتة لجميع أفراد الشعب تؤدى من بيت المال .

(٢) رواه أحمد في المسند ٥ / ٢٢٦ .

(٣) احياء علوم الدين ٢ / ٣٣٦ .

(٤) راجعها بالتفصيل ص ١٦٤ من الرسالة .

والعهد الايلخاني ٥٧٥ — ٧٣٨هـ ، وخاصة في بغداد[1] — مركز الخلافة — وكان هناك تيار من الإصلاح يقوده العلماء ، وكانت مجالسهم عامرة بعلوم الفقه والحديث والرقائق ، طافحة بالإيمان والحماس الملتهب ، وكان يحضرها عدد كبير من الناس ، وكان لهذه المجالس الأثر الكبير على عامة الناس ، إذ كانت تحدث في تلك المجالس توبة الناس ، وقلوبهم خاشعة ، وعيونهم ذارفة[2] وقد حضر ابن جبير بعض هذه المجالس خلال زيارته لبغداد سنة ٥٨٠هـ ، ووصفها في كتاب رحلته وصفاً رائعا[3].

---

(١) وصف ابن جبير أخلاق أهل بغداد عندما زارها سنة ٥٨٠هـ ، وشكا من كبرياء القوم واعتزازهم ، واستصغارهم لغيرهم ، وذكر شيوع التعامل بالربا ، وغير ذلك من المنكرات . انظر / رحلة ابن جبير ص ٢١٨ وانظر ماذكره الخزرجي في المسجد المسبوك ص ٩٢ من شيوع المنكرات في بغداد .

(٢) بتصرف واختصار / دراسات تاريخية / د . أكرم ضياء العمري ص / ٢٤٩ — ٢٧٠ .

(٣) رحلة ابن جبير ص ٢١٩ — ٢٢٢ .

الفصل الثالث
منهج العلماء مع المبتدعة

تمهيـــــد :

« امتازت عقيدة الإسلام بأنّها واضحة صريحة لا غموض فيها ، ولا إبهام تستند إلى الفطرة الصحيحة أكثر ماتستند إلى إدهاش بالمعجزات ، أو الهاء بالخيالات »[1] .

فكانت معانيها ودلالاتها بيضاء ناصعة « ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك »[2] وشرع أحكم وسدد « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »[3] .

وكان المسلمون في الصدر الأوّل يفهمون عقيدتهم على ضوء الكتاب والسنة ولا يرجعون إلى غيرهما من قياس أو أعمال فكر ، فإذا أشكل عليهم أمر في صفات الله أو اسمائه ، وقفوا عند ظاهر معناه وما يتبادر إلى الافهام من اللغة التي نزل بها الوحي من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تكييف ، وامسكوا عن الخوض فيما لا حاجة له ، متحاشين المراء والجدل في ذات الله عز وجل ، وصفاته ، وكلهم في العقيدة على رأي واحد ، ولم تبق الحال على ماكانت عليه ، فقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية نتيجة

---

(١) ابن تيميه السلفي ، محمد خليل هراس ص ٥ .
(٢) رواه ابن ماجة في المقدمة ب / ١ ، ٦ .
(٣) فصلت : ٤٢ .

الفتوحات ، ودخل في الإسلام من أهل الديانات الأخرى كاليهود والمسيحيين والصابئة[1] وغيرهم ، وأدى ذلك إلى اختلاط المسلمين بهم في كل أرض فتحوها ، ووقعوا على ماعندهم من أفكار ، ومذاهب ، فأخذوا يفسرون بها دينهم ويردون على مايتعارض مع عقيدتهم ، ثم بعد ذلك جدت في الإسلام فتن واحداث سياسية كبرى شقت عصا المسلمين ، فتولدت أمور كثيرة اصطبغت بصبغة الدين وظهرت فرق جديدة في الإسلام كالخوارج[2] والشيعة[3] والمرجئة[4] ومن هنا تولد الجدال حول المسائل الإسلامية بنطاق ضيق[5] .

وأخذت هذه الدائرة تتسع يوما بعد يوم ، حتى كثرت المسائل ، وتنوعت الأساليب واتسع الخرق ، وعظمت الخشية على دين الله من

---

(١) اسم لطائفة دينية قديمة جداً ، ولا يزال لاتباعها بقية باقية في العراق ، وجنوب إيران ، وتملك الصابئة كتبا مقدسة يعتقدون فيها ، وينسبون اثنين منها إلى أبي البشر آدم عليه السلام ، وأكثر أبنائهم يستوطنون العراق ، ويتوزعون على ضفاف الانهر ، ولهم عبادات وطقوس خاصة بهم ، ويشتركون مع الديانات الأخرى في عوامل كثيرة . (الملل والنحل ٢ / ٩٥ والصابئة قديما وحديثا / عبد الرزاق الحسني ص / ١ والصابئون / رشدي عليان ص / ١٦) .

(٢) قيل : الخوارج يطلق على كل من خرج على الإمام الحق الذي إتفقت عليه الجماعة سواء ذلك كان في عهد الصحابة أو بعدهم . وقيل سمو بذلك لخروجهم على الإمام علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ (الفرق بين الفرق ص ٧٣ والملل والنحل ١ / ١٥٤ ، ١٥٥ والتعريفات للجرجاني ص ١٠٢ وكتاب : الرد على الرافضة ص / ١٨٨ ، ١٨٩) .

(٣) هم الذين شايعوا عليا ــ رضي الله عنه ــ وقالوا : إنه الإمام بعد رسول الله ﷺ واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عنه ولا عن أولاده . (التعريفات للجرجاني ص / ١٢٩) .

(٤) قوم يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة . (التعريفات للجرجاني ص / ٢٠٨ ، وانظر الملل والنحل ١ / ١٤٥) .

(٥) بتصرف ابن تيمية السلفي ص / ٥ ، ٦ .

التفكك والضياع والتمزق ، لكن حاشا لله أن يخلف وعده ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾[1] فقد قيض لدينه وشرعه علماء عاملين ، يقولون بالحق وبه ينطقون ، قمعوا البدع والأهواء وأوقفوا ذلك الزحف العارم من المضللين والمنحرفين الذين كادوا أن يقصموا الإسلام من ظهره حتى لا تقوم له قائمة .

قال علي بن المديني[2] : « أيّد الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما : أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة »[3] .

وقال إسحاق بن راهويه[4] : لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لما بذل لذهب الإسلام[5] .

إذنْ : فعلماؤنا ــ رحمهم الله ــ حفظوا عقيدة الإسلام من الانحرافات ، ومن المسائل الجدليه التي شغلت الناس عن الغاية السامية التي من أجلها جاء الإسلام وجندوا أنفسهم لحماية أحاديث رسول الله

---

(١) الحجر : ٩ .

(٢) علي بن عبد الله بن جعفر السعدي ، المعروف : بابن المديني . (١٦١هـ ــ ٢٣٤هـ) أبو الحسن ، الإمام الحجة ، أمير المؤمنين في الحديث ، قال عنه أبو قدامة : بلغ في الحديث مبلغا لم يبلغه أحد . وكان الإمام أحمد لا يسميه إنما يكنيه تبجيلا له وما سماه باسمه قط . (التاريخ الكبير ٦ / ٢٨٤ والجرح والتعديل ٦ / ١٩٣ وسير الاعلام ١١ / ٤١) .

(٣) طبقات الحنابلة ١ / ١٣ .

(٤) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه (١٦١هـ ــ ٢٣٨هـ) . هو الإمام الكبير شيخ المشرق ، وسيد الحفاظ ، أبو يعقوب . (التاريخ الكبير ١ / ٣٧٩ وطبقات الحنابلة ١ / ١٠٩ وسير الاعلام ١١ / ٣٥٨) .

(٥) طبقات الحنابلة ١ / ١٣ .

ﷺ من أن تصيبها جراثيم الوضاعين ، والكذابين ، ومن تاجروا بذلك ابتغاء المال ، وابتغاء الفتنة ، فكانوا السد المنيع الذي حمى الله بهم هذا الشرع حتى وصل إلينا نقيا خالصا لا شائبة فيه ، فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء ، وأجزل ثوابهم .

١ ــ الإستخفاف بهم ، وتحقيرهم وعدم قبول بدعتهم :

هذا ماحاوله العلماء عند مواجهتهم لأهل البدع ، ورؤوس الضلال ، وقد عملوا جهد إمكانهم أن يضعفوا من شأنهم بين الناس حتى لايعلم أمرهم وترتفع مكانتهم فتروج بدعتهم ، وصرحوا للناس بادلة شرعية أن هؤلاء أمرهم مردود ، فقد رده سول الله ﷺ من قبل كما روته السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : قال رسول الله ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا مالس فيه فهو رد »[1] .

تحذير العلماء من مجاستهم والاختلاط بهم :

أو الاصغاء إلى صاحب بدعة .

قال الإمام سفيان الثوري : (من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة ، وهو يعلم خرج من عصمة الله ووكل إلى نفسه)[2] .

وكلامه يحتمل أمرين :

الأول : هو من باب الاستخفاف بهم ونبذهم ، وإذا أصغى الناس لصاحب بدعة قد يجد في نفسه جانبا من اهتمام الناس به ، فيسعى إلى طرق ملتوية أخرى أكثر خبثا .

---

(١) متفق عليه . (اللؤلؤ والمرجان ٢ / ١٩٥ .

(٢) سير الاعلام ٧ / ٢٦١ .

الثاني : إن كلام سفيان موجه لمن ليس له رصيد من العلم والتقوى ، والثبات على العقيدة الإسلامية ، بحيث يخشى عليهم من أن يكونوا عرضة للتأثر .

يقول أبو قلابه[1] : « لا تجالسوا أهل الأهواء فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم بعض ماتعرفون »[2] .

وقال ابن طاوس لابن له يكلمه رجل من أصحاب الأهواء : « يابني أدخل اصبعيك في أذنيك ، حتى لا تسمع مايقول . ثم قال : أشدد أشدد »[3] .

ذلك لان قوة اللسان تؤثر في الناس ، وقد تقلب الحق لهم إلى باطل ، والصواب إلى خطأ ، فطبيعة الإنسان يتأثر بالأفكار من حوله ، وحماه الوحيد قوة فهمه وإدراكه لعقيدته .

ومن العلماء من شدد في ذلك حتى مع أقرانه من العلماء في مجالسة أصحاب البدع وفي ذلك ماقاله عبد الرحمن بن رسته : رآني ابن

---

(١) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي البصري . (ت : ١٠٥) . كان ثقة كثير الحديث ، أدرك خلافة عمر بن عبد العزيز ، وهو ممن ابتلي في بدنه ودينه . أريد على القضاء فهرب إلى الشام ، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره وهو مع ذلك حامد شاكر . (طبقات ابن سعد ٧ / ١٨٣ وسير الاعلام ٤ / ٤٦٨ .

(٢) سير الاعلام ١١ / ٢٨٥ ، ٤ / ٤٧٢ .

(٣) المصدر السابق ١١ / ٢٨٥ .

مهدي[1] يوم الجمعة جالسا إلى جنب أحمد بن عطاء[2]، وكان يتكلم في القدر، وكان أزهد من رأيت فاعتذرت إلى عبد الرحمن، فقال: لاتجالسه، فإنّ أهونماينزل بك أن تسمع منه شيئا يجب لله عليك أن تقول له: كذبت ولعلك لا تفعل[3].

وقد صدق الإمام الذهبي حين يقول: « فما أقبح بالزهاد ركوب البدع »[4].

والإمام أحمد بن حنبل نهى عن القرب منهم ومشاورتهم، أو مرافقتهم في سفر، وجاء ذلك في الرسالة التي بعثها إلى مسدد بن مسرهد[5] جوابا على رسالته.

قال له الإمام أحمد: « ... ولا تشاور أهل البدع في دينك، ولا ترافقهم في سفرك »[6].

---

(١) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان البصري. (١٣٥ ــ ١٩٨هـ). الإمام الناقد المجوّد الحافظ الحجّة. كان قدوة في العلم والعمل. قال عنه الإمام الشافعي: لا أعرف له نظيرا في هذا الشأن (أي الحديث) (تاريخ بغداد ١٠ / ٢٤٠ وسير الاعلام ٩ / ١٩٢ وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٢٩ وتهذيب التهذيب ٦ / ٢٧٩).

(٢) أحمد بن عطاء الهجيمي البصري القدري المبتدع. شيخ الصوفية، كان قدريا غير معتزلي، وكان تلميذ شيخ البصره: عبد الواحد بن زيد. برز في العباده والإجتهاد. قال عنه الذهبي: فما أقبح بالزهاد ركوب البدع. وقال: ماكان الرجل يدري ماالحديث، ولكنه عبد صالح، وقع في القدر، نعوذ بالله من ترهات الصوفية، فلا خير إلا في الاتباع، ولا يمكن الاتباع إلا بمعرفة السنن. (ميزان الإعتدال ١ / ١١٩ ولسان الميزان ١ / ٢٢١ وسير الاعلام ٩ / ٤٠٨).

(٣) سير الاعلام ٩ / ٤٠٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مسدد بن مسرهد بن مسربل البصري. حدث عن أبي سعيد يحيى بن سعيد القطان، وبشر بن المفضل، وحماد بن زيد، وآخرين. (طبقات الحنابلة ١ / ٣٤١ وتذكرة الحفاظ ٢ / ٤٢١ وتهذيب التهذيب ١٠ / ١٠٧).

(٦) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢٢١.

أما أبو إسحاق الفزاري[1] فقد رفض أن يدخل في مجلسه من يرى القدر . قال أبو مسهر[2] : قدم أبو إسحاق الفزاري دمشق ، فاجتمع عليه الناس ليسمعوا منه ، فقال لي : اخرج إلى الناس فقل لهم : من كان يرى القدر ، ومن كان يرى رأي فلان فلا يحضر مجلسنا ، ومن كان يأتي السلطان فلا يحضر مجلسنا ، فخرجت فاخبرتهم[3] .

امتناع سفيان الثوري من الصلاة على صاحب بدعة :

روى أبو نعيم[4] بسنده : « انه لما مات عبد العزيز بن أبي دواد[5]

---

(١) إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة الفزاري . (ت : ١٨٨هـ) وهو من كبار العلماء ، ولد بالكوفة ، وقدم دمشق وحدث بها . ويعد إمام أهل الشام في المغازي وغيرها ، وهو الذي أدب أهل الثغور (بيروت وأطرافها) وعلمهم سنة النبي ﷺ ، ورحل إلى بغداد فأكرمه الرشيد ، ثم عاش مرابطا في المصيصة ومات بها . أخذ عن الثوري والأوزاعي وغيرهما . (تذكرة الحفاظ ١ / ٢٧٣ والبداية والنهاية ١٠ / ٢٠٠ وتهذيب التهذيب ١ / ١٥٣) .

(٢) هو عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن مسلم الغساني ، أبو مسهر الدمشقي . كان إمام أهل الشام في الحفظ والإتقان ، ممن عني بأنساب أهل بلده ، وأبنائهم ، وإليه كان يرجع أهل الشام في الجرح والعدالة لشيوخهم . (تهذيب التهذيب ٦ / ١٠٠ وتقريب ٢ / ٤٧٣) .

(٣) تذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٤ .

(٤) أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، أبو نعيم . (ت : ٤٣٠هـ) حافظ مؤرخ ، ومن الثقات في الحفظ والرواية . ولد ومات بأصبهان . من مؤلفاته : « حلية الأوليا » و « معرفة الصحابة » و « طبقات المحدثين والرواة » و« لسان الميزان ١ / ٢٠١ والاعلام ١ / ١٥٧) .

(٥) عبد العزيز بن أبي رواد ، واسم أبيه ميمون ، وقيل أيمن بن بدر مولى الأمير المهلب بن أبي صفرة . (ت : ١٥٩هـ) شيخ الحرم ، وأحد الأئمة العباد ، وكان من أحلم الناس وأعبدهم . قال عنه الإمام أحمد : كان مرجئا ، رجلا صالحا ، وليس هو في التثبيت كغيره ، وقال أبو حاتم : صدوق . (سير الاعلام ٧ / ١٨٤ والتهذيب ٦ / ٣٣٨) .

وحمل ووضع على باب الصفا ، صف الناس ، وجاء الثوري ، فقال الناس : جاء الثوري ، جاء الثوري ، حتى خرق الصفوف ، والناس ينظرون إليه ، فجاوز الجنازة ولم يصل عليه »[1].

ومع أن عبد العزيز كان رجلا فاضلا كثير العبادة ، عظيم المحاسن ، إلا أن سفيان امتنع من الصلاة عليه لأنه كان يرى الارجاء[2] .

وقد سئل سفيان عن امتناعه ، فقال : والله إني لأرى الصلاة على من هو دونه عندي ، ولكن أردت أن أري الناس انه مات على بدعة [3] .

لعنهم وتشبيه كلامهم بكلام النصارى :

وفي السنة التي أخذوا بها بشراً المريسي بمنى ، قام سفيان الثوري في المجلس مغضبا ، فقال : لقد تكلموا في القدر والاعتزال ، وأمرنا باجتناب القوم . رأينا علماءنا[4] ... مايعرفونه (أي القرآن) إلا كلام الله ، ولا نعرفه إلا كلام الله فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله مرتين ، فما أشبه هذا بكلام النصارى ، فلا تجالسوهم[5] .

---

(١) الحلية ٧ / ٢٩ وسير الاعلام ٧ / ١٨٦ .

(٢) الارجاء بمعنى التأخير على قسمين : ١ ـ يطلق على من أراد به تأخير القول في الحكم في تصويب أحد الطائفتين اللتين تقاتلتا بعد عثمان .

٢ ـ على من أراد تأخير القول في الحكم على من أتى الكبائر ، وترك الفرائض بالنار ، لأن الإيمان عندهم الاقرار والاعتقاد ، ولا يضر العمل مع ذلك . انظر (هدي الساري ، مقدمة فتح الباري ص ٤٥٩ والملل والنحل للشهر ستاني ص ١ / ١٢٥ ط / ١٣١٧هـ) .

(٣) سير الاعلام ٧ / ١٨٦ .

(٤) ذكر منهم : عمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأيوب بن موسى والأعمش ومسعرا .

(٥) سير الاعلام ٨ / ٤١٣ ، وهو ماذكره أبو العباس السراج في تاريخه ونقله عنه الذهبي .

وهنا يشير سفيان إلى من خالف مذهب السلف ، كبشر المريسي ومن حذا حذوهم من القائلين بخلق القرآن ، متأولين النصوص على غير مرادها . ثم شبه كلامهم هذا بكلام اليهود والنصارى .

يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية : « ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ماوجده متأول هذه النصوص ، وهو الذي أفسد الدنيا ، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة ، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم »[1] .

سفيان الثوري ينهى عن الصلاة خلف صاحب بدعة :

روى أبو نعيم أنه قيل لسفيان الثوري : « رجل يكذب بالقدر أأصلي عليه ؟ قال : لا تقدموه . قال : هو إمام أهل القرية ليس لهم إمام غيره . قال : لا تقدموه لا تقدموه ، وجعل يصيح »[2] .

موقف الفضل بن عياض منهم :

إمّا الفضل بن عياض فيعبر عن منهجه ، وموقفه من هؤلاء ، وحكمه عليهم فيقول : « لان آكل عند اليهود والنصراني ، أحب إلي من أن آكل عند صاحب بدعة فإني إذا أكلت عندهما لا يقتدى بي ، وإذا أكلت عند صاحب بدعة اقتدى بي الناس ، أحب أن يكون بيني وبين صاحب البدعة حصن من حديد ، وصاحب البدعة لا تأمنه على دينك ، ولا تشاوره في أمرك »[3] .

---

(١) ص ١٤٤ .

(٢) الحلية ٧ / ٢٦ .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ١ / ٢٧٤ .

ويبدو لي — والله أعلم — ان تشديد الفضيل بن عياض في الحكم في هؤلاء لأن اليهودي والنصراني كفرهما واضح عند الناس ، ولا يلتبس على أحد أمرهما . أما صاحب البدعة ، فيلتبس أمره على الكثير ، لأنه يعمل باسم الإسلام ويتكلم فيه .

يقول سفيان الثوري : المعصية أحب إلي من البدعة ، ويعلل ذلك بقوله : المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها[1] .

أمّا الإمام الشافعي فقد نهى بشر بن غياث المريسي[2] عن تعلمه وتعاطيه علم الكلام ، فلم يقبل منه ، وقال الشافعي : « لئن يلقى الله العبد بكل ذنب أحب إلي من أن يلقاه بعلم الكلام »[3] .

وسئل سفيان الثوري عمن يشتم أبا بكر ؟ فقال : كافر بالله العظيم . قال : نصلي عليه ؟ لا ولا كرامة ، ثم سئل : مانصنع به ؟ قال : لا تمسوه بأيديكم ، ارفعوه بالخشب حتى تواروه في قبره[4] .

وما أعظم هذه الانزلاقة الخطيرة التي تدفع صاحبها — وبكل حماقة — أن يتطاول على مسبة أبي بكر الصديق ، صاحب رسول الله

---

(١) الحلية ٧ / ٢٦ .

(٢) بشر بن غياث المريسي ، أبو عبد الرحمن . (ت : ٢١٨هـ) . أخذ عن القاضي أبي يوسف ، وروى عن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة . اشتغل بالكلام ودعا إلى القول بخلق القرآن ، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة ، وكان مرجئا ، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة . لم يدرك جهم بن صفوان بل تلقف مقالاته من اتباعه ، ويقال ان أباه كان يهوديا صبّاغا بالكوفة . (تاريخ بغداد ٧ / ٥٦ وسير الاعلام ١٠ / ١٩٩ وشذرات الذهب ٢ / ٤٤ والبداية والنهاية ١٠ / ٢٨١) .

(٣) البداية والنهاية ١٠ / ٢٨١ .

(٤) سير الاعلام ٧ / ٢٦١ .

ﷺ ورفيقه في الهجرة ، وما أقبح تلك البدع التي تحولت إلى فتن عظيمة شقت عصا الأمة وتمخضت عن فرق غالت في النيل من الصحابة بلا حق ولا عدل ، ومنهم من تكلم على أقرب الناس إلى رسول الله صلة ، كالسيدة عائشة رضي الله عنها ـــ وصحبة كأبي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه.

وأذكر هنا موقفا ، وأنا أعجب كل العجب ، كيف يجرؤ من في قلبه ذرة إيمان أن يفضل أحد على أبي بكر الصديق ، حتى يصل الأمر إلى سبه وشتمه .

يقول الإمام أحمد بن حنبل : « ولا عين تطرف بعد النبي ﷺ أفضل من أبي بكر ، ولا بعد أبي بكر عين تطرف أفضل من عمر ، ولا بعد عمر عين تطرف أفضل من عثمان » [(١)]

وخطب النبي ﷺ الناس يوما وقال : إنّ الله خير عبدا بين الدنيا وبين ماعنده ، فاختار ذلك العبد ماعند الله ، فبكى أبو بكر الصديق ... ثم قال النبي ﷺ : إنّ من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر [(٢)] .

وروى ابن عمر ، قال : كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ ـــ فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان رضي الله عنهم[(٣)] .

---

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٢٢٠ .

(٢) رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري . صحيح البخاري ك / بدء الخلق ب / قول النبي ﷺ : سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر . ٥ / ٤ ، ٥ / ٥ .

(٣) المصدر السابق ب / فضل أبي بكر بعد النبي ٥ / ٥ .

وروي عن ضبة العنزي[1] قال : كان علينا أبو موسى الأشعري[2] أمير البصرة فكان إذا حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ وانشأ يدعوا لعمر ـــ رضي الله عنه ـــ قال : فغاظني ذلك منه ، فقمت إليه فقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ، فكتب إلى عمر يشكوني ، يقول له : إنّ ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي ، فكتب إليه عمر ان أشخصه إلي ، قال : فاشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب ، فخرج إلي فقال : من أنت ؟ فقلت : أنا ضبه فقال لي : لا مرحبا ولا أهلا ، قلت أما المرحب فمن الله ، وأما الأهل فلا أهل لي ولا مال . فبماذا استحللت ياعمر أشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته فقال : ماالذي شجر بينك وبين عاملي (فتكلم له بما حدث) فاندفع عمر ـــ رضي الله عنه ـــ باكيا ، وهو يقول : أنت والله أوفق منه ، وأرشد ، فهل أنت غافر لي ذنبي ، يغفر الله لك ، قال : قلت : غفر الله لك ياأمير المؤمنين . قال : ثم اندفع باكيا وهو يقول : والله لليلة من أبي بكر خير من عمر وآل عمر ، فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه ، قلت نعم : قال : أما الليلة فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة

---

(١) ضبة بن حصن العنزي ، البصري . تابعي ثقة مشهور ، روى عن عمر وأبي موسى الأشعري وأبي هريره وأم سلمة . (التهذيب ٤ / ٤٤٢ ، ٤٤٣ والأصابة ٣ / ٤٩٩) .

(٢) عبد الله بن قيس بن سليم التيمي . صحابي جليل ، جاهد مع النبي ، وحمل عنه علما كثيرا ، ولم يكن في الصحابة أحسن منه صوتاً ، ولي البصرة لعمر وعثمان ، وولي الكوفة وبها كانت وفاته ، وكان زاهدا عابدا جمع بين العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر . لم تغيره الإمارة ولم يغتر بالدنيا . (أخبار القضاة ١ / ٢٨٣ وطبقات بن سعد ٢ / ٣٤٤ وسير الاعلام ٢ / ٣٨٠) .

عن يساره ، فقال رسول الله ﷺ : ماهذا ياأبا بكر ؟ ماأعرف هذا من أفعالك . فقال : يارسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ، ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك . فمشى رسول الله ﷺ على أطراف أصابعه حتى حفيت ، فلما رأى أبو بكر إنها قد حفيت حمله على عاتقه ، وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ، ثم قال : والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك ...

فدخل فلم ير فيه شيئا ، فحمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع ، فالقمه أبو بكر قدمه ، فخاف أن يخرج منه شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه ، وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه ، وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم مايجد ، ورسول الله ﷺ يقول : يا أبا بكر لاتحزن إن الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه ، والطمأنينة لأبي بكر ، فهذه ليلته ، وأما يومه : فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب ، فقال بعضهم نصلي ولا نزكي ، فأتيته لا آلوه نصحا ، فقلت : ياخليفة رسول الله ﷺ تألف الناس ، وأرفق بهم ، فقال لي : أجبار في الجاهلية ، خوار في الإسلام ، فبماذا اتألفهم ، قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقال بعير كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه ، قال : فقاتلنا عليه ، فكان والله رشيد الأمر ، فهذا يومه ، ثم كتب إلى أبي موسى يلومه[1] .

نهيهم عن ترويج البدع :

يقول سفيان الثوري : « من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه ، لا

---

(١) احياء علوم الدين ٢ / ٣٠١ ، ٣٠٢ .

يلقها في قلوبهم »[1] .

ويقول الإمام الذهبي تعليقا على ذلك : « أكثر أئمة السلف على هذا التحذير يرون ان القلوب ضعيفة ، والشبه خطافة »[2] .

أما العالم الذي يفهم عقيدته ودينه فهذا لايخشى عليه ، بل يجب عليه الوقوف على البدعة حتى يصل إلى أصولها ، ويرد عليها . وكما قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ــ ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

موقف العلماء من أسئلتهم :

ومن استخفاف العلماء بهم : أنهم كانوا يعرضون حتى عن اجابتهم .

ذلك واضح من موقف الإمام الجليل أيوب السختياني[3] عندما سأله رجل من أصحاب الأهواء ، وقال له : ياأبا بكر اسألك عن كلمة ؟ فولى وهو يقول : ولا نصف كلمة مرتين[4] .

الإمام مالك يجيب السائل ويأمر بطرده :

دخل رجل على الإمام مالك ، وقال له : « الرحمن على العرش استوى »[5] كيف استوى ؟ فما وجد مالك من شيء ماوجد من مسألته ،

---

(١) (٢) سير الاعلام ٧ / ٢٦١ .

(٣) هو الإمام الحافظ ، سيد العلماء ، أبو بكر بن أبي تميمة ، التابعي البصري ، كان الحسن يسميه : سيد شباب أهل البصرة ، وكان زاهدا يخفي زهده ، متقنا في الحديث ، متباعدا عن السلطان . (سير الإعلام ٦ / ١٥ وتذكرة الحفاظ ١ / ١٣٠) .

(٤) سير الإعلام ٦ / ٢١ .

(٥) طه : ٥ .

فنظر إلى الأرض ، وجعل ينكت بعود في يده ، حتى علاه الرخضاء[1] ، ثم رفع رأسه ، ورمى بالعود ، وقال : الكيف منه غير معقول ، والإستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة ، وأمر به فاخرج[2] .

وفي إجابة الإمام مالك ، الحكمة البالغة ، حيث أغلق على السائل طرق الدخول إلى متاهات الكلام ، ثم في طرده احتقار له ، ووقاية من شره .

واسحاق بن راهويه قال له رجل من أصحاب الكلام : كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء ، فأجاب اسحاق : آمنت برب يفعل مايشاء .

وقد علق الإمام الذهبي بقوله : « هذه الصفات من الإستواء والاتيان ، والنزول قد صحت بها النصوص ، ونقلها الخلف عن السلف ، ولم يتعرضوا لها برد ولا تأويل بل انكروا على ماتأولها مع اصفاقهم ــ أي : اجتماعهم ــ على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين ، وإن الله ليس كمثله شيء ، ولا ينبغي المناظرة ، ولا التنازع فيها فإن ذلك محاولة للرد على رسول الله ، أو حوما حول التكييف أو التعطيل »[3] .

---

(١) هو العرق من أثر الحمى ، أو العرق يغسل الجسد كله .

(٢) سير الإعلام ٨ / ٨٩ والحلية ٦ / ٣٢٥ ، ٣٢٦ وترتيب المدارك ١ / ١٧٠ ، ١٨٠ . وفي بيان اجابه مالك انظر هامش مناهج السنة النبوية كتاب : بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ١ / ٢٢٣ لابن تيمية .

★ ويمثل ماقاله مالك ، قال شيخه ربيعة . انظر الرسالة التدمرية ص ٣٥ ابن تيمية .

(٣) سير الاعلام ١١ / ٣٧٦ .

ودخل يوما محمد بن واسع[1] على بلال بن أبي بردة[2] فقال له : ماتقول في القدر ؟ فقال : جيرانك أهل القبور ، فتفكر فيهم ، فإن فيهم شغلا عن القدر[3] .

وهنا يجيبه عن قضية بعيدة كل البعد عن طبيعة السؤال ، ليصرف تفكيره إلى مسألة نافعة تقوده إلى تقوى الله عز وجل ، وخشيته ، بعيدة عن التكلف ، والزحام في المسائل التي لا مخرج منها ، وقد توقع صاحبها في الكفر ، والله سبحانه وتعالى عندما عرض لنا آياته في الكون ، لم يطلب منا أن نرهق عقولنا ، ونصب تفكيرنا كله ، في الخوض فيها والسؤال عن ماهيتها ، ومن أين جاءت ؟ وكيف صارت ؟ .. بل دفعنا إلى ماهو اسمى من ذلك ، كما صور القرآن الكريم : ﴿ إنّ في خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾[4] .

---

(١) محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري . (ت : ١٢٣هـ) . الإمام الرباني ، العابد الزاهد المجاهد . طلبه أحد الأمراء للقضاء فأبى ، وكان الحسن البصري يسميه « زين القراء » (الحلية ٢ / ٣٤٥ وشذرات الذهب ١ / ١٦١ وسير الاعلام ٦ / ١١٩) .

(٢) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري . كان واليا على البصرة ، وكان جليلا كريما . مدحه ذو الرمة ، وكان قد أصابه الجذام ولما ولي يوسف بن عمر العراق أخذ بلالا وعذبه ، حتى مات سنة نيف وعشرين ومئة . (سير الاعلام ٥ / ٦ ، ٧ وتهذيب التهذيب ١ / ٥٠٠ وتهذيب ابن عساكر ٣ / ٣١٨ . وقد ورد خبر تعذيب بلال في وفيات الاعيان ٧ / ١١٢ في ترجمة يوسف بن عمر) .

(٣) احياء علوم الدين ٢ / ٣٠٤ .

(٤) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ .

وهذه الغاية هي أسمى غاية في حياة الإنسان ، وهي الأمل المنشود لكل مؤمن ، وفيها الفوز من العذاب ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغزور ﴾[1] .

عدم الثقه بهم :

دخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين[2] ، فقالا : ياأبا بكر ، نحدثك ؟ قال : لا ، قال : فنقرا عليك آية ؟ قال : لا ، لتقوما عني ، أو لأقومنه فقال بعض القوم : ياأبا بكر ، وما عليك أن يقرأ عليك آية ؟ قال : خشيت أن يقرآن آية فيحرفانها فيقر في قلبي[3] .

وكان العلماء لايأمنونهم في شيء ، ولا يطمئنون من وجودهم في صفوف المسلمين حتى لايؤتين الإسلام من قبلهم ، وهذا مافعله المحدث الفقيه أبو إسحاق القزاري الذي أدب أهل الثغور الإسلامية في أعالي بلاد الشام والجزيرة تجاه الروم ، وعلمهم سنن النبي ﷺ وكان يأمر وينهى ، وإذا دخل الثغر مبتدع أخرجه[4] .

وما أكثر ماحدثت من نكبات في تاريخ الأمة بسبب تداخل أمثال هؤلاء في صفوف المسلمين ، فقد فتحوا الباب لأعداء الإسلام كي ينالوا

---

(١) آل عمران ١٨٥ .

(٢) محمد بن سيرين البصري . (ت : ١١٠هـ) . أبو بكر ، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، وهو تابعي ، تفقه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، واستكتبه انس بن مالك بفارس ، وكان أبوه مولى لأنس ، ينسب له كتاب « تعبير الرؤيا » . كان مولده ووفاته في البصرة . (الحلية ٢ / ٢٦٣ وتهذيب التهذيب ٩ / ٢١٤ والاعلام ٦ / ١٥٤) .

(٣) سير الاعلام ١١ / ٢٨٥ .

(٤) تهذيب التهذيب ١ / ١٥٢ .

من هذه الأمة لتصريف حقدهم الدفين .

٢ ـ مناظرة العلماء لهم مع اعتماد الأصل الثابت :

لم يقف العلماء موقف المتفرج أمام الأفكار الهدامة التي نادى بها رؤوس الضلال وأذنوا بها فوق منابر الطغيان ، ولم يقبعوا أنفسهم بين الجدران ، بل نزلوا الساحة ، وخاضوا المحن رغم مناصرة بعض الحكام لأهل البدع والأهواء ، كما فعل الإمام أحمد بن حنبل ، فقد قاد جموع الخير » في معارضه الجهمية والمعتزلة الذين أرادوا حرف عقيدة الأمة ببدعة خلق القرآن ، ونازع الدولة كلها حين أرادت فرض البدعة بالقوة حتى نصره الله تعالى بالمتوكل ، إذ كان المتوكل صحيح العقيدة ، فبدل جهاز الدولة ، وطهره من المبتدعة ، وأخمد أمرهم وكبته »[1] .

وكان الإمام أحمد قبل ذلك ، قد واجهته محن وشدائد ، قل فيها الصابرون ، فقد سجن وعذب ، وكثر الوشاة عليه ، لكنه ظل صابرا محتسبا ذلك عند الله[2] .

الأصل الثابت :

تبني العلماء مناظرة هؤلاء ، ومناقشة أقوالهم ، ونزع كل شوكة علقت بعقيدة الإسلام ، مع اعتقاد الأصل الثابت ـ كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ اللذين هما حبل الله المتين ، لايزيغ عنهما إلا هالك .

فقد ناقش الإمام مالك بعض أقوال المبتدعة مناقشة العالم البصير ،

---

(١) المنطلق / محمد أحمد الراشد ص ١٤٥ .

(٢)محنة الإمام أحمد ، انظر (مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٣٨٥ ـ ٤٢٠ ، وسير الاعلام ١١ / ٢٣٢ ـ ٢٦٤ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٣٠ ـ ٣٣٥) .

وذلك عندما سئل عن قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾[1] كيف ينظرون إلى الله ؟ فأجاب : نعم بأعينهم هاتين . ورد على من قال : ناظرة بمعنى منتظرة إلى الثواب فقال : بل تنظر إلى الله ، أما سمعت قول موسى : « رب أرني انظر إليك »[2] أتراه سائلا محالا ؟ قال الله تعالى : ﴿ لن تراني ﴾ في الدنيا لأنها دار فناء ، فإذا صاروا إلى دار البقاء ، نظروا بما يبقى إلى مايبقى . قال تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾[3] .

وفي استشهاد الإمام مالك ، رد على المعتزلة ، ومن شابههم في نفيهم رؤيه الله يوم القيامة ، ومذهبهم في ذلك باطل ، فالآية القرآنية (القيامة : ٢٣) واضحة صريحة لا تحتاج إلى تأويل ، أو تحريف عن مرادها الحقيقي الظاهر من نص القرآن وقد وردت أحاديث كثيرة مفسرة لكتاب الله ، لا غبار عليها ، منها حديث جرير بن عبد الله البجلي[4] قال : « كنا جلوسا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة ، فقال : إنكم سترون ربكم عيانا ، كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته »[5] .

---

(١) القيامة ٢٢ ، ٢٣ .
(٢) ، (٥) الاعراف ١٤٣ .
(٣) المطففين ١٥ .
(٤) من أعيان الصحابة ، أسلم سنة ١٠هـ ، ويروى أن النبي ﷺ لما جالسه بسط له رداءه وقال : إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ، وقد بايع النبي على النصح لكل مسلم . توفي سنة ٥١هـ . (سير الاعلام ٢ / ٥٣٠ والبداية والنهاية ٨ / ٥٥ والاستيعاب ١ / ٢٣٧) .
(٥) اخرجه البخاري في المواقيت ، وفي التوحيد . ومسلم في المساجد ب / باب فضل صلاتي الصبح والعصر .

ويمكن الرجوع إلى الصحيحين ، فهناك احاديث أخرى تؤكد ذلك [1] .

أما العلماء المفسرون فقد صرحوا بأن المؤمنين ينظرون إلى الله عز وجل نظرا لا غبار عليه ، متهللين من عظيم المسرة ، بوجوده يشاهد عليها نضرة النعيم لاستغراقها في مطالعة جمال الله الخالق ، وجلاله الذي يليق بذاته ، ولا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم .

ومن هنا قيل :

فينسون النعيم إذا رأوه فيا خسران دار الاعتزال

اللهم فاجعلنا من المتنعمين بالنظر إلى وجهك الكريم ، اللهم آمين[2] .

وسفيان بن عيينة ، قد عالج مالدعاه بشر بن غياث المريسي بإسلوب رفيع داحض ، حيث قال : « قاتل الله الدويبة ، ألم تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾[3] ، فإذا احتجب عن الأولياء ، والأعداء ، فأي فضل للأولياء على الأعداء »[4] .

---

(١) راجع / البخاري ك / التوحيد ب / قوله تعالى : ــ وجوه يومئذ ناضرة » وسلم في الإيمان ب / معرفة طريق الرؤية .

(٢) انظر :

ــ أضواء البيان ٢ / ٣٣٢ .

ــ تفسير ابن كثير ٤ / ٤٥٠ .

ــ روح المعاني للآلوسي مجـ / ١٠ ، جـ / ٢٩ ، ص ١٨٢ .

(٣) المطففون : ١٥ .

(٤) سير الاعلام ٨ / ٤١٢ .

ويقول الإمام الشافعي : « ماحجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل »[1] .

مناظرة عبد العزيز الكناني[2] لبشر المريسي :

ويوم أن عظم أمر بشر المريسي ، وعلا شأنه ، وكثر من وافقه من جهال الناس ورعاعهم على كفره ، وضلاله ، والدخول في بدعته ، والتمسك بمذهبه ، رغبة في الدنيا ، ورهبة من العقوبة التي كان ينالها من خالفه ، وتشبيهه على أمير المؤمنين المأمون[3] ، وعامة أوليائه ، هيأ من عباده العلماء من يقف أمام ذلك الزحف الهائل من الجهل والضلال . ذلك هو العالم الجليل عبد العزيز بن يحيى الكناني ، فلم يطق ماسمعه من أمر الأمة في بغداد عاصمة الإسلام ، ودار خلافته ، فترك بلاده « مكة المكرمة » واتجه إلى بغداد لعل الله يجعل من أمره يسرا ، وعندما وصل إلى

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٥٠ .

(٢) عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي . (ت : ٢٤٠هـ) . كان إمام عالما ثقة ، سمع من سفيان بن عيينه وغيره ، وناظر بشراً المريسي في مجلس الخليفة المأمون بمناظرة عجيبة سطرها في كتابه الحيده . (ميزان الاعتدال ٢ / ٦٣٩ وشذرات الذهب ٢ / ٩٥ .

(٣) فتنة خلق القرآن بدات على يد المأمون سنة ٢١٨هـ ، كما ذكره السبكي (انظر العبر ٣١٠ ومناقب أحمد لابن الجوزي ص ٣٨٥) وقد استحوذ على المأمون جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن الطريق ، وحسنوا له القوة بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز وجل . قال البيهقي : لم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم . وقال محمد بن نوح : سمعت هارون الرشيد أمير المؤمنين يقول : بلغني أن بشرا المريسي زعم أن القرآن مخلوق ، على أن اظفرني الله به لأقتلنه قتل ماقتلها أحد قط . فكان بشر متواريا أيام هارون نحو من عشرين سنة حتى مات هارون ، فظهر ودعا إلى بدعته . (انظر مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٣١ / ٣٣٢) .

بغداد وجد أمرها عظيما ، ورأى أعظم مما سمعت ووجد الفقهاء والمحدثين قد منعوا من القعود في الجامع الكبير ببغداد ، وفي غيره من المساجد ، وترك المجال لبشر المريسي ، ومن كان موافقا له على مذهبه ، فقد كانوا يعلمون الناس الكفر والضلال ، وكل من أظهر لهم المخالفة كادوه.

ومن العلماء من أجابوهم رهبة لا رغبة ، وفارقوا الحق ظاهرا وهم يعلمون ، خوفا وجزعا ، لكن العالم الجليل ، عبد العزيز الكناني ، أخذ أسلوبا لطيفا وجريئا في إعلان الحق الذي جاء من أجله وأراد الصدع به ، فقد قدم مسجد الرصافة يوم الجمعة حيث يجتمع الناس فيه ، وأمر ابنه أن يجيبه إذا سأله : ماتقول في القرآن ، فيقول الابن : كلام الله منزل غير مخلوق ، فحضر عبد العزيز في أول الصفوف ، وبعد انتهاء الصلاة ، وثبَ قائما ليراه الناس ويسمعوه فقال لابنه — بأعلى صوته — : يابني ماتقول في القرآن ؟ فقال الابن : كلام الله منزل غير مخوق ، فكان ماكان !! لقد قامت الدنيا وقعدت ، وضج الناس وهرب من هرب ، خوفا على نفسه[1] .

وكانت نهاية الأمر أنه رفع أمره إلى الخليفة ، وعقد له موعد للمناظرة بينه وبين بشر المريسي وأعوانه بحضرة الخليفة المأمون على أن يكون الخليفة حكما بينهم والعقبى لمن غلب ، والويل لمن هزم . وفي بداية ساعة المناظرة طلب عبد العزيز من المأمون أن يجعل بينهما أصلا ثابت يرجعان إليه ، ولا يحيدان عنه ، وقد احتج عبد العزيز بقوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله ، والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير

---

(١) للاستزادة من التفاصيل : راجع / كتاب الحيدة ص ٦ — ١٧

وأحسن تأويلا ﴾[1] .

وهذا هو المنهج الثابت الذي توزن به الأمور ، وإليه يرجع المتخالفون لا أن يخوض الناس في متاهات الكلام ، فينشا الزيغ ، والضلال .

وقد فسر عبد العزيز هذا المنهج عندما قال للمأمون : إنّه من ألحد في كتاب الله زائدا أو جاحدا لم يناظر بالتاويل ، ولا بالتفسير . قال المأمون : بأي شيء يناظر ؟ قال بنص القرآن والتلاوة ، فقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ حين ادعت اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾[2] كذلك : ﴿ وأن أتلُوَ القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين ﴾[3] فأمر نبيه بالتلاوة لمن آمن بالتنزيل ، فأما من الحد بالتنزيل ، فكيف يناظر بالتأويل ؟ .

وبالرجوع إلى نصوص تلك المناظرة[4] يتبين أن الحق واضح جلي ،

---

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) آل عمران ٩٣ .

(٣) النمل ٩٢ .

(٤) انظر كتاب الحيده ص ١٨ — ٨٠ ، وتتبع أساليب المناظرة ، وما جرى بين عبد العزيز ، وبشر المريسي ، واستشهادات عبد العزيز الرائعة من الكتاب والسنة .

** ونود الإشارة هنا إلى أن بعض العلماء تكلموا في صحة نسبة كتاب الحيدة إلى عبد العزيز الكناني . قال الذهبي في ترجمة عبد العزيز : الذي ينسب إليه كتاب الحيدة في مناظرة بشر المريسي ، وذكر أنه لم يصح إسناده إليه ، وكأنه وضع عليه والله أعلم (ميزان الاعتدال ٢ / ٦٣٩) .

وراوي هذه الحادثة هو محمد بن الحسن الدعاء الذي اتهمه الخطيب البغدادي بوضع الحديث . انظر / (تاريخ بغداد ٢ / ١٩٤ والكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث ص / ٣٦١ رقم الترجمة ٦٤١ وميزان الاعتدال ٣ / ٥١٧) لكن

لولا أن الباطل يخيم عليه أحيانا ، وكيف أن الله تبارك وتعالى أيد عبد العزيز بنور من عنده ، فأعطاه بصيرة مابعدها بصيرة ، فكأنه ينظر إلى القرآن عندما يجيب وكأن آياته قد جمعت جملة واحدة أمام عينه فيمرها متى شاء كلمح بالبصر ، وينزع الآيات بكل يسر ، فوفقه الله إلى ذلك الاسلوب الرفيع الذي لم يترك من خلاله ثغرا واحدا تصاب منه العقيدة . وفي هذا مصداق لقوله تبارك وتعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾[1] .

وأخيرا : يقول عبد العزيز : « فسر المسلمون جميعا بما وهبه الله لهم من اظهار الحق ، وقمع الباطل ، وانكشف عن قلوبهم ماكان اكتنفها من الغم والحزن »[2] .

تعالوا إلى من سمعه من رسول الله ﷺ :

قال مؤرق العجلي[3] لما مات أنس بن مالك : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له : وكيف ذلك ياأبا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا في الحديث عن رسول الله ﷺ قلنا لهم : تعالوا إلى من سمعه منه[4] .

أكثر الكتب التي ترجمت لعبد العزيز ، أو ذكرت الحادثة ، تنسبه إلى عبد العزيز الكناني ، وقد طبعت الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة كتاب الحيدة ، واعتمدت صحة نسبته لمؤلفه . والله أعلم .

(١) الانفال : ٢٩ .

(٢) كتاب الحيده ص ٨١ .

(٣) مؤرق العجلي ، أبو المعتمر البصري .
كان ثقة عابدا ، توفي في ولاية عمر بن هبيرة على العراق .
(طبقات ابن سعد ٧ / ٢١٣ وسير الاعلام ٤ / ٣٠٣) .

(٤) البداية والنهاية ٩ / ٩٢ .

فأنس بن مالك ـــ خادم رسول الله ﷺ أقرب الناس إلى ذلك النبع الصافي ، والمورد العذب ، وأخبر الناس بحديث رسول الله ﷺ .

منصور بن عمار[1] يرد على بشر المريسي :

كتب بشر إلى منصور بن عمار ، قال له : أخبرني عن القرآن ؟ فكتب إليه عافانا الله وإياك ، نحن نرى أنّ الكلام في القرآن بدعة ، تشارك فيها السائل والمجيب ، تعاطى السائل ماليس له ، وتكلف المجيب ماليس عليه ، وما أعرف خالقا إلا الله ، وما دونه مخلوق ، والقرآن كلام الله ، فانته بنفسك ، والمختلفين فيه معك إلى اسمائه التي سماه الله بها ، ولا تسم القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين .

وسأله كذلك عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[2] كيف الاستواء ؟ فكتب إليه : استواؤه غير محدود ، والجواب فيه تكلف ، ومسألتك عنه بدعة ، والإيمان بجملته واجب[3] .

أفلا وسعك ماوسعهم :

تلك الكلمة الصادقة ، واجه بها أحد العلماء أحمد بن أبي دؤاد في

---

(١) منصور بن عمار بن كثير السلمي الخراساني ، وقيل البصري ، الواعظ البليغ الزاهد ، وكان عديم النظير في الموعظة والتذكير . وعن سنة وفاته قال الحافظ الذهبي : لم أجد وفاة لمنصور وكأنها في حدود المئتين . (الحلية ٩ / ٣٢٥ وتاريخ بغداد ١٣ / ٧١ وسير الاعلام ٩ / ٩٣) .

(٢) طه : ٥ .

(٣) انظر / تاريخ بغداد ١٣ ، ٧٥ ، ٧٦ والحليه ١ / ٣٢٦ وسير الاعلام ٩ / ٩٧ ، ٩٨ .

مجلس الخليفة الواثق[1] .

يقول المهتدي بالله ، محمد بن الواثق : كان أبي إذا أراد أن يقتل رجلا احضرنا ذلك المجلس ، فأتي بشيخ محصور مقيد ، فقال أبي : ائذنوا لأبي عبد الله وأصحابه ــ يعني ابن أبي دؤاد ــ قال : فادخل الشيخ ، فقال : السلام عليكم ياأمير المؤمنين ، فقال الخليفة : لا سلام الله عليك . فقال ياأمير المؤمنين بئس ماأدبك مؤدبك . قال الله تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾[2] والله ماحييتني بها ولا بأحسن منها ، فقال ابن أبي دؤاد :

ياأمير المؤمنين ، الرجل متكلم . فقال له : كلمه فقال : ياشيخ ماتقول في القرآن قال الشيخ : لم تنصفني ، ولني السؤال ، فقال له : سل ، فقال الشيخ ماتقول في القرآن ؟ قال : مخلوق . فقال : هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر ، وعمر وعثمان وعلي ، والخلفاء الراشدين أم شيء لم يعلموه ؟ فقال شيء لم يعلموه !! فقال : سبحان الله شيء لم يعلمه النبي ﷺ ، ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي الخلفاء الراشدون علمته أنت ! قال : فخجل ، وقال : اقلني ، قال : والمسألة بحالها ، قال ، نعم قال : ماتقول في القرآن ؟ قال : مخلوق ، فقال : هذا شيء علمه النبي ﷺ ، وأبو بكر ،.... أم لم يعلموه ؟ فقال علموه ولم يدعوا الناس إليه ، فقال : أفلا وسعك ماوسعهم ؟ قال : ثم قام أبي فدخل

---

(١) هارون بن محمد المعتصم ، بن هارون الرشيد العباسي . (١٩٦ ــ ٢٣٢هـ) ولي بعد أبيه المعتصم سنة ٢٢٧هـ . استولى عليه أحمد بن أبي دؤاد ، وحمله على التشدد في امتحان العلماء على القول بخلق القرآن ، وقتل على ذلك أحمد بن نصر الخزاعي ، وأمر بامتحان الأئمة . (تاريخ بغداد) ١٤ / ١٥ وتاريخ الطبري ٩ / ١٢٣ وسير الاعلام ١٠ / ٣٠٦ والبداية والنهاية ٩ / ١٢٣) .

(٢) النساء : ٨٦ .

مجلس الخلوة ، واستلقى على قفاه ، ووضع أحدى رجليه على الأخرى ، وهو يقول : هذا شئ لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر و .... ، علمته أنت ، سبحان الله !! شئ علمه النبي ﷺ وأبو بكر ولم يدعوا الناس إليه ، أفلا وسعك ماوسعهم ، ثم دعا عمار الحاجب ، فأمر أن يرفع عنه القيود ويعطيه اربعمائة دينار ، ويأذن له في الرجوع ، وسقط عن عينه ابن أبي دؤاد ، ولم يمتحن بعد ذلك أحد[1] .

وهكذا كشف الشيخ الجليل النقاب عما هو مستور لدي الخليفة ، في الوقت الذي أغلق الطريق أمام ابن أبي دؤاد كي يصطاد في الماء العكر ، واستطاع بفضل الله أن يكسب الموقف ، ويغير مجرى الأحداث .

هذه ثمرة من ثمار المنهج الصحيح ، وثمار الكلمة الطيبة التي اعتمدت من الأصل الثابت ، والتي تبناها العلماء في دعوتهم ومواجهتهم لأهل الضلال ، لأنها ثابتة لا تزعزعها الأعاصير ، ولا تعصف ، بها رياح الباطل ، ولا تهدمها معاول الطغيان ، وإن تعرضت يوما للخطر ، فهذا عارض لابد أن يزول ، فتلك سنة الله في الحياة ، ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ﴾[2] .

وهذا المنهج الذي أشرنا إليه كان ديدن علماء السلف ، وهو المعتمد لديهم ، وحتى العلماء الذين عكفوا على دراسة الفلسفه ، والمذاهب الفلسفية ، أخيرا عدلوا عنها ، فهذا الإمام الغزالي ـــ رحمه الله ـــ انتهى آخر أمره إلى الوقت والحيرة في المسائل الكلامية ، ثم أعرض عن تلك

---

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٤٣٠ ، ٤٣٢ وانظر تاريخ بغداد ٤ / ١٥٢ وطبقات الشافعية ٢ / ٥٥ وسير الاعلام ١١ / ٣١٢ ، ٣١٣ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٢١ .

(٢) الاسراء : ٨١ .

الطرق ، وأقبل على أحاديث رسول الله ﷺ ، فمات وصحيح البخاري موضوع على صدره .

كذلك أبو عبد الله ، محمد بن عمر الرازي[1] قال في كتابه الذي صنفه « اللذات » :

نهاية اقدام العقول عقال — وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا — وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا — سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة — فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها — رجال فزالوا والجبال جبال

وقال : لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن .

كذلك قال أبو عبد الله ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني[2] إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم ، حيث قال :

---

(١) محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري . (٥٤٤ ــ ٦٠٦هـ) . الإمام المفسر ، اوحد زمانه في المعقول والمنقول ، وعلوم الأوائل ، وهو قرشي النسب ، أصله من طبرستان ، ومولده في الري . وكان يحسن الفارسية له مؤلفات كثيرة ، منها « مفاتيح الغيب » ثمان مجلدات في تفسير القرآن الكريم .

(لسان الميزان ٤ / ٤٢٦ والبداية والنهاية ١٣ / ٥٥ والاعلام ٦ / ٣١٣) .

(٢) محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتح الشهرستاني . (٤٧٩ ــ ٥٤٨هـ) . من فلاسفة الإسلام ، كان إمام في علم الكلام ، وأديان الأمم ، ومذاهب الفلاسفة . ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠هـ ، فأقام بها ثلاث سنين ، وعاد إلى بلده وتوفي بها . (وفيات الأعيان ١ / ٤٨٢ ولسان الميزان ٥ / ٢٦٣ والاعلام ٦ / ٢١٥) .

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

وهذا الإمام أبو المعالي الجويني[2] يندم ندما شديدا على وقته الذي قضاه في علم الكلام ، والفلسفة ، وعند موته قال : لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت في الذي نهوني عنه ، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني ، وها أنا أموت على عقيدة امي ، أو قال : على عقيدة عجائز نيسابور .

٣ ـ الدعوة إلى الموازنة :

وفي هذا رد على من أدعى العزله أو التصرف ـ سواء في العمل أو الاعتقاد ـ في بعض أمور الدين دون البعض الآخر بلا ضابط شرعي .

والعلماء نهوا عن الغلو في الدين والتطرف ، خارج ماأمر الله به ونهى عنه ، كذلك عن العزلة ، وحثوا على الاعتدال في الأمور كلها .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (وأهل السنة والعلم والإيمان ، يعلمون الحق ويرحمون الخلق ، يتبعون الرسول فلا يتدعون)[3] .

وقد وصف ابن الجوزي أنبياء الله عليهم السلام بقوله : (أما علمت

---

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ . وكلام الفخر الرازي الذي أوردته ذكر جزءا منه ابن كثير في البداية والنهاية ، في ترجمته ١٣ / ٥٦ .

(٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ) الملقب بـ « إمام الحرمين » ، وهو أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي . رحل إلى بغداد ومكة ، وجاور بها أربع سنوات ثم عاد إلى نيسابور . (الاعلام ٤ / ١٦٠) .

(٣) الفتاوى ١٦ / ٩٦ .

انهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد لعلمهم ان ذلك آثر عند حبيبهم)[1] .

الروحانية الاعتزالية والروحانية الاجتماعية[2] :

لم يقبل العلماء ماادعاه بعض المبتدعة بـ « الروحانية الاعتزالية » ، ودعوا إلى « الروحانية الاجتماعية » فما كان الاعتزال يوما طريقا للاصلاح .

كذلك : أكد العلماء على المعاني التي دعا إليها رسول الله ﷺ وربى عليها أصحابه — رضوان الله عليهم والتي سيرد ذكر اليسير منها .

** دخل يوما سهل بن أبي أمامة مع أبيه ، على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز — وهو أمير — وهو يصلي صلاة خفيفة ، كأنها صلاة مسافر أو قريب منها ، فلما سلم قال : إنها المكتوبة ، وإنها صلاة رسول الله ﷺ ماأخطأت إلا شيئا سهوت عنه ، ان رسول الله ﷺ كان يقول : « لا تشددوا فيشدد الله عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع ، والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم[3][4] .

سفيان بن عيينه يجيب عن معنى الزهد :

أجاب عندما سئل عن الزهد بقوله : « الزهد فيما حرم الله ، فأما ماأحل الله فقد أباحكه الله ، فإن النبيين قد نكحوا وركبوا ولبسوا وأكلوا لكن

(١) صيد الخاطر ص ٣٨ ، ٤٢ .
(٢) انظر هذه المصطلحات تذكره الدعاه للبهي الخولي ص ٢٠٨ .
(٣) « ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم » الحديد ٢٧ .
(٤) الحادثة : ذكرها ابن كثير في تفسيره ٤ / ٣١٦ .

الله ينهاكم عن شيء فانتهوا عنه »[1] .

وهذه المعاني التي أشار إليها سفيان لها أصل ثابت في الهدي النبوي من حديث أنس ، ان نفر من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر .

قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : إني أصوم الدهر فلا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم : كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني[2] .

الإمام ابن الجوزي يسفر عن حالة الزهاد :

الذين يقبعون تحت الظلام ، وبالمقابل يصف الأبطال الشجعان الذين يعملون في ميدان الدعوة ، فيقول : « الزهاد في مقام الخفافيش ، فقد دفعوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس ، وهي حالة حسنة إن لم تمنع خيراً ، من لزوم جماعة ، واتباع جنازه وعياده مريض ، إلا إنها حالة الجبناء ، فأما الشجعان فهم يتعلمون ، ويعلمون وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام »[3] .

---

(١) سير الاعلام ٨ / ٤١٣ .

(٢) رواه البخاري في ك / النكاح ، ب / الترغيب في النكاح ٧ / ٣ . ورواه مسلم في ب / استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه . صحيح مسلم بشرح النووي / ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٣) سيد الخاطر ص ٢٢٤ ط / محمد الغزالي .

ويصرح ابن القيم بأن إبليس قد غر أكثر الناس بأن حسن لهم القيام بنوع من الذكر ، والقراءة ، والصلاة ، والصيام ، والزهد في الدنيا ، والانقطاع ، وعطلوا هذه العبوديات[1] .

ويستنكر الدكتور حسان حتحوت على هؤلاء بأبيات شعرية فيقول :

حسبوا بأنّ الدين عزلة راهب واستمرءوا الأوراد والأذكارا
عجباً أراهم يؤمنون ببعضه وأرىٰ القلوب ببعضه كفارا
والدين كان ولا يزال فرائضاً ونوافـــل لله واستغفـــارا
والدين ميدان وصمصام وفرسان تبيــــــد الشر والأشرارا
والدين حكم باسم ربك قائم بالعدل لاجورا ولا استهتارا[2]

وهب بن منبه ينهى الرجل عن العزلة :

جاء رجل إلى وهب بن منبه ، فقال له : قد حدثت نفسي ان لا اخالط الناس فقال له : لا تفعل ، إنه لابد لك من الناس ، ولابد لهم منك ، ولهم إليك حوائج ، ولك نحوها ، ولكن كن فيهم أصم سميعا ، أعمى بصيرا ، سكوتا نطوقا .

ويعبر عن ذلك بقوله : المؤمن يخالط ليعلم ، ويسكت ليسلم ، ويتكلم ليفهم ويخلو ليغنم .

ويقول : قرأت في بعض الكتب : ابن آدم ، لا خير في أن تعلم ما لا تعلم ، ولم تعمل بما علمت ، فإن مثل ذلك كرجل احتطب حطب فحزم

(١) اعلام الموقعين ٢ / ١٧٦ والعبوديات التي يقصدها ابن القيم هي الأعمال التي تقدم لنفع العباد ولصلاحهم وقد فصّلها في موضوع آخر .
(٢) مجلة المسلمون ٣ / ١٩٩ .

محزم حزمه فذهب يحملها فعجز عنها ، فضم إليها أخرى[1] .

ومن العلماء من شدد في هذا حتى مع اخوانهم العلماء ، كي لايتركوا خرقا في الثوب ، ويظهر ذلك من موقف عبد الله بن المبارك ، وعتابه الشديد لأخيه الفضيل بن عياض ، حيث كان الفضيل منقطعا لعبادة الله في المسجد الحرام بمكة وكان ابن المبارك يرابط في سبيل الله بثغر من ثغوْر المسلمين ، فكتب إليه عبدالله يعاتبه ، قائلا :

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت انك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خدّه بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ريع العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنابل والغبار الاطيب
ولقد اتانا عن مقال نبينا قول صحيح صادق لايكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في أنف أمرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكذب[2]

ماذا يكون موقف ابن المبارك ، وشدة عتابه فيما لو كان الفضل يعبد الله في غير المسجد الحرام ، وهو أطهر بقعة على وجه الأرض ؟

وماذا يكون موقفه لو كان آنذاك الجهاد فرض عين ، وليس فرض كفاية[3] .

---

(١) انظر الحلية ٤ / ٧١ وسير الاعلام ٤ / ٥٥٠ ، ٥٥١ والبداية والنهاية ٩ / ٢٧٦ .
(٢) طبقات الشافعية ١ / ٢٨٦ ، ٢٨٧ وسير الاعلام ٨ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ .
(٣) انظر تذكرة الدعاة للبهي الخولي ص ٢١٢ .

بل : وماذا يكون موقفه لو صرح الفضيل بأن الجهاد هو العبادة وحدها ومجاهدة النفس !! .

فإذا كان العابد يقضي وقته في محرابه ، فمحراب العالم العامل هو الدعوة إلى الله والعمل لخير الناس ، وشتان بين من ينهض يوم القيامة ومعه أمة ، ومن ينهض ، وليس معه أحد .

يقول الرسول الكريم ﷺ : « خير الناس أنفعهم للناس »[1]

وقال : « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه »[2] .

وقال تعالى في وصف أنبيائه : ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين ﴾[3] .

يقول ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ : « الشجاع الشديد الذي يهاب العدو سطوته وقوفه في الصف ساعة ، وجهاده أعداء الله ، أفضل من الحج والصيام والصدقة والتطوع »[4] .

لذلك نجد الإمام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ يمثل النموذج الفذ للعالم المجاهد والناسك العابد ، الذي جمع بين العلم والعلم ، وبين السيف

---

(١) من رواية جابر ، قال عنه السيوطي : حديث حسن ، وفيه عمرو بن أبي بكر السكسي وهو ضعيف فيض القدر ٣ / ٤٨١ ، وقال العجلوني في كشف الخفاء ١ / ٣٩٣ : يشهد له حديث : الخلق عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله .

(٢) من رواية عثمان رواه البخاري في فضائل القرآن ب / خيركم من تعلم القرآن وعلمه . صحيح البخاري ٦ / ٢٣٦ ، وأبو داود ب / ثواب قراءة القرآن ٢ / ١٤٧ ورواه الترمذي حديث رقم ٢٩٠٩ .

(٣) الأنبياء : ٩٠ .

(٤) عدة الصابرين ص ٩٣ .

والقلم .

ومن مواقف البطولة والجهاد لهذا الإمام ، انه لما جاء التتار بجموعهم إلى الشام سنة ٧٠٢هـ ، وفزعت قلوب الناس ، وبلغ الخوف مبلغه ، وقف ابن تيمية بن الناس يطمئن النفوس ، ويعيد القلوب إلى أماكنها بعد أن بلغت الحناجر ، ويعدهم بالنصر على الأعداء ، حتى أنه كان يحلف بالله انكم لمنصورون ، فيقول له الامراء : قل إن شاء الله فيقول : أقولها تحقيقا لا تعليقاً .

وعندما اعترض بعض الناس ، وقالوا إن التتار يدعون أنهم مسلمون ولا يجوز قتالهم ، أفتى ابن تيمية بشرعية قتال هؤلاء ، واعتبرهم من جنس الخوارج ، الذين خرجوا على معاوية وعلي ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما ، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامه الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ماهم متلبسون به من المعاصي والمظالم وهم متلبسون بما أعظم منه .

ويزيد في حكمه هذا تأكيداً فيقول : إذا رأيتموني في ذلك الجانب ـــ أي مع التتار ـــ وعلى رأسي مصحف فاقتلوني .

ثم امتطى ابن تيمية جواده ، وخرج إلى ميدان الجهاد ، وتقدم الجموع لينال الشهادة في سبيل رفع راية الحق ، ونصرة دين الله ، وذهب إلى مرج الصفر ـــ وهو مكان قريب من دمشق ـــ وابتدأت المعركة في موقعة « مشقجب » في رمضان سنة ٧٠٢هـ ، واستبسل الإمام للموت ، واجتمع بالسلطان قبل الموقع ، يحثه على الجهاد والقتال ، حيث انه كان مترددا في القتال ، فدفع ابن تيمية بالحماسة في قلب السلطان ، وحفزه للجهاد وخوض المعركة ، كما حث الجند وأمراءهم على الإفطار ليقووا

على القتال ، مستدلا بقول النبي ﷺ لأصحابه في غزوة الفتح : « إنّكم ملاقو العدو والفطر أقوى »[1] ، وكان يدور بنفسه على الاجناد يأكل معهم ليبين لهم إن افطارهم أفضل .

وبدأت ساعة المعركة ، وحمي الوطيس ، وأبلى ابن تيمية هو وأخوه بلاء حسنا وقاتل أهل الشام وجند مصر قتال من صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، واستمر القتال طوال اليوم الرابع من رمضان ، وفي وقت العصر إذن الله ـــ بالنصر ، فظهر جند مصر والشام ، وانحسر جند التتار ، ونصر الله جند السلطان ، وجند ابن تيمية ، وزال الخطر عن المسلمين ، فكانت هزيمة منكرة خسر فيها التتار خسارة لم تقم لهم بعدها قائمة[2] .

الحسن البصري يمقت التطرف :

كان الإمام الحسن البصري زاهدا ورعا تقيا ، وكانت له مواعظ عجيبة في الزهد والورع ، والخوف والخشية ، إلى درجة أن الصوفية وضعوه في سلسلة شيوخهم الذين لبسوا الخرقه ، وانطقوه بما لم يقله من حديث عن أحوال الصوفية ومقاماتهم[3] .

بل إنّ حياة الحسن البصري كانت تمثل روح القرن الأول في الزهد

---

(١) من رواية أبي سعيد الخدري قال : لما بلغ النبي ﷺ عام الفتح مر الظهران ، فآذنا بلقاء العدو ، فأمرنا بالفطر ، فأفطرنا أجمعين .

قال الترمذي : هذا حديث صحيح . (سنن الترمذي ت : إبراهيم عطوة عوض ط / مصطفى الباقي / مصر) .

(٢) انظر البداية والنهاية وكتاب ابن تيمية لأبي زهرة ، وابن تيمية لعبد العزيز المراغي ص / ٨) .

(٣) انظر الزهاد الأوائل ص ١٠٧ . الدكتور مصطفى حلمي .

والورع[1] .

وفي نفس الوقت نجد ان الإمام الحسن البصري ــ رحمه الله ــ كانت له مكانة عالية في قلوب أهل السنة والجماعة ، فقد كان يدعو إلى الموازنة في أمور الدين ويكره الغلو في العبادة ولبس الصوف ، وكان ينقد أصحاب الاكسية ، وقال مرة لفرقد السبخي[2] : « ياابن أم فرقد ــ وكررها مرتين أو ثلاثة ــ أن التقوى ليس في هذا الكساء ، إنما التقوى في القلب ، وصدقه العمل والفعل »[3] .

يضع الإمام قاعدة في الاعتدال والموازنة ، فيقول : « دين الله وضع فوق التقصير ودون الغلو »[4] .

وقد نقل إليه أن رجلا من أهله يتنسك لأجل عدم استطاعته القيام بشكر الفالوذج[5] الذي يأكله ، فوصفه الحسن بأنه إنسان أحمق ، وقال : ولا يقوم بشكر الماء البارد[6] .

وقد كره الإمام الحسن ذلك كله لأن في ذلك إعلان وإظهار لخبايا النفوس على الناس ، وإتخاذها وسيلة لجذب العامة .

---

(١) انظر ماذكره نيكلسون في التصوف الإسلامي ص ٤٦ . ترجمة الدكتور عفيفي .

(٢) فرقد بن يعقوب السبخي ، أبو يعقوب البصري . ت : ١٣١هـ . من سبخة البصرة . انظر تهذيب التهذيب ٨ / ١٦٢ وتقريب التهذيب ١ / ١٠٨ .

(٣) الزهد للإمام أحمد ص ٢٦٧ .

(٤) الاعتصام للشاطبي ٢ / ٣٢ .

(٥) اسم لنبات معرب ، وقيل : يقال الفالوذق ، ولا يقال الفالوذج . انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي مج / ٢جـ / ٢ص / ٧٤ .

(٦) الزهد للإمام أحمد ص ٢٦٤ .

« وكان سلوكه الشخصي يتسم بالاعتدال في طابعه العام ، إذ كان يتغذى بالخبز واللحم ، وسماه « طعام الأحرار » وكان يشتري كل يوم لحما بنصف درهم ، وقد أبدى أحد أصحابه الإعجاب بريح مرقة الحسن بقوله : وماشممت مرقة قط أطيب من مرقة الحسن »[1] .

أويس القرني[2] يلازم الجماعة :

أمّا أويس القرني ــ رحمه الله ــ فبالرغم من أنه كان له مسلك خاص في الزهد والعزلة عن الناس ، إلا أنه كان ملازما للجماعة ، ويظهر ذلك في وصيته التي أوصاها لهرم بن حيان بقوله : (لاتفارق الجماعة فتفارق دينك)[3] .

كذلك كان يرى أن وقوفه إلى جنب علي بن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ يعني لزوم الجماعة ، وكما يذكر الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال[4] بأن أويس القرني دخل معركة صفين ، واستشهد فيها ، فنظروا إليه فإذا عليه نيف وأربعون جراحة .

---

(١) الزهاد الأوائل ص ١٠٩ .

(٢) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني . (ت : ٣٧هـ) . وهو أحد النساك والعباد ، ومن سادات التابعين . أصله من اليمن ، وكان يسكن القفار والرمال ، وأدرك النبي ﷺ ولم يره ، فوفد على عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وشهد وقعة صفين مع الإمام علي ــ رضي الله عنه ــ ويرجح الكثيرون إلى أنه قتل فيها . (لسان الميزان ١ / ٤٧١ والاعلام ٢ / ٣٢) .

(٣) تاريخ ابن عساكر ٣ / ١٧٣ .

(٤) ١ / ١٣٠ .

أبو عثمان الحيري النيسابوري[1] ينصح بالاتباع :

كانت لأبي عثمان مكانة عظيمة في الزهد والورع ، حتى انها كانت تضاهي مكانة الجنيد[2] ببغداد[3] ، فكان ينصح بالاتباع لا الابتداع ، ويعبر عن الصحبة مع الله « بحسن الأدب ، ودوام الهيبة والمراقبة ، والصحبة مع الرسول ﷺ باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم »[4] [5] . *

ومن اتباع السنة ، عدم الغلو في الدين ، والعمل ضمن دائرة الإسلام التي شرعها الله لنا ، وبين معالمها النبي ﷺ .

وحتى العلماء الذين أخذ عليهم مذهب التصوف — كالامام الغزالي — فقد كان يمسي ويصبح في ذكر وفكر وصلاة إذا خلا ، فإذا

---

(١) هو سعيد بن إسماعيل ، أبو عثمان الحيري ، الزاهد الكبير ، شيخ نيسابور وواعظها . (الحلية ١٠ / ٢٤٤ والانساب للسمعاني ٤ / ٣٢٧ ، ٣٢٨ وشذرات الذهب ٢٣٠) .

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، أبو القاسم . (ت : ٢٩٧هـ) . وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد ، قال عنه ابن الأثير : إمام الدنيا في زمانه ، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة . من كلامه : طريقتنا مضبوطة بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به (تاريخ بغداد ٧ / ٢٤١ والحلية ١٠ / ٢٥٥ والاعلام ٢ / ١٤١) .

(٣) انظر (الصفوة ٤ / ٨٧ وشذرات الذهب ٢ / ٢٣٠) .

* يقول الدكتور مصطفى حلمي في كتابه (الزهاد الأوائل ص ٢٠٧) في لزوم ظاهر العلم : إذ يمكن اتخاذها كاحد الدلائل على اتجاه بدا يظهر عند زهاد السلف للرد الحاسم على الصوفية الذين انحرفوا إلى الاتجاه الباطني ، وتوغلوا في التقسيم الثنائي — الشريعة والحقيقة — ولا يعني لزوم ظاهر العلم التعلق بالقشور دون اللباب ، بل يجب الموازنة في أمور الشريعة كلها سواء كان ذلك يتعلق بالجانب الاعتقادي أو العملي .

(٥) الحلية ١٠ / ٢٤٥ .

خرج إلى الناس ، جلس ووعظ وأرشد الناس بفقهه وعلمه ، وخاطب القلوب الميتة ، ووجه الناس بروحانية العابد الزاهد ، وبصلابة الداعية المجاهد[1] .

٤ ـ صبرهم الطويل حتى يظهر الحق :

قال تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾[2] .

وقال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ، أو خذلهم حتى يأتي أمر الله »[3] .

فما دام العلماء يعلمون ان طريقهم في الدعوة هو طريق الهدى والحق ، واثقين من وعد الله ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾[4] ، فلا يسعهم سوى الصبر والثبات ، مع إقامة الحجة على الناس ، وليكن بعد ذلك ما يكون ، إذ أن حجة الباطل ضعيفة لانعدام الأصل الثابت ، وقد شبه الله ـ تبارك وتعالى ـ كلمة الباطل ـ الخبيثة ـ بالشجرة الخبيثة ، لأنها قد تهيج وتتعالى ويخيل إلى البعض أنها أضخم من شجرة الحق ، وأقوى منها ، لكن في حقيقتها تبقى جوفاء نافشة لا تزن في ميزان الله شيئا ، وتظل جذورها طافية كزبد البحر .

---

(١) انظر تذكرة الدعاة للبهي الخولي ص ٢١٨ .

(٢) الفتح : ٢٨ .

(٣) اخرجه أحمد ٥ / ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، وأبو داود حديث رقم ٤٢٥٢ وابن ماجة حديث رقم ٣٩٥٢ ، من طريق أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان . ورواه ابن حبان في صحيحه . انظر موارد الظمآن ص ٤٥٨ .

(٤) الأنبياء : ١٨ .

كما شبه كلمة الحق ، بالشجرة الطيبة ﴿ الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله مايشاء ﴾ (١) .

وهذه البشرى العظيمة ، والمكرمة الالهية ، لأصحاب الحق ، والثابتين على طريقه .

وقلوبنا بعد لازمة للحق :

قيل للإمام أحمد أيام المحنة ــ أيام ظهور المعتزلة على أهل السنة ، ودعوتهم للناس إلى القول بخلق القرآن تحت رعاية الدولة ــ : (ياأبا عبد الله ، ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل ؟ فقال : كلا ، إنّ ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلال !! وقلوبنا بعد لازمة للحق)(٢) .

وأنّى للحق أن يغادر القلوب العامرة ، وقد تأصلت جذوره فيها .

وبقي الإمام أحمد مصرا على رأيه ، لا تزعزعه أقاويل المبطلين ، ولا ترهبه مناصرة الخلفاء لهم ، بل وقف صابرا محتسبا ذلك كله في خزائن الآخرة .

---

(١) إبراهيم ٢٤ ــ ٢٨ .

* ولبيان جمال هذا الاسلوب الرائع في ضرب هذين المثلين ، راجع في ظلال القرآن . سيد قطب٤ / ٢٠٩٨ ، ٢٠٩٩ ط / دار الشروق .

(٢) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٣٨٩ .

يقول محقق كتاب سير الاعلام : « إنّ الإمام أحمد صار مثالا سائرا ، يضرب به المثل في المحنة ، والصبر على الحق ، فإنه لم يكن يأخذه في الله لومة لائم ، حتى صارت الإمامة مقرونة بإسمه في لسان كل أحد .. فإنه أعطى من الصبر واليقين مانال به الإمامة في الدين ، وقد تداوله ثلاثة من الخلفاء يسلطون عليه من شرق الأرض إلى غربها ، ومعهم العلماء المتكلمون ، والقضاة والوزراء والأمراء والولاة مالا يحصيه إلا الله ، فبعضهم تسلط عليه بالحبس ، وبعضهم بالتهديد الشديد وبعضهم يعده بالقتل ، وبغيره من الرعب ، وبعضهم بالترغيب في الرياسة والمال وبعضهم بالنفي والتشريد من وطنه ، وقد خذله في ذلك أهل الأرض حتى أصحابه العلماء والصالحون ، وهو مع ذلك لا يجيبهم إلى كلمة واحدة مما طلبوا منه ، وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة ، ولا كتم العلم ، ولا استعمل التقية ، بل قد أظهر من سنة رسول الله ﷺ مادفع به البدع المخالفة لذلك مالم يتأت مثله من نظرائه »[1] .

قيل لبشر بن الحارث يوم ضرب أحمد : قد وجب عليك أن تتكلم ، فقال : تريدون مني أن أقوم مقام الأنبياء ؟ ليس هذا عندي ، حفظ الله أحمد بن حنبل من بين يديه ، ومن خلفه ، ثم قال بعد ماضرب أحمد : لقد أدخل الكير فخرج ذهبة حمراء .[2]

وأنشد في الإمام أحمد أبياتا :

أضحى ابن حنبل محنة مرضية ... وبحب أحمد يعرف المتنسك

---

(١) الحاشية ١١ / ٢٣٢ .

(٢) طبقات الحنابلة ١ / ١٣ وتقدمة الجرح والتعديل ١ / ٣١٠ .

وإذا رأيت لأحمد متنقصا فاعلم بأن ستوره ستهتك[1]

موقف الإمام الخزاعي[2] من فتنة خلق القرآن وصبره :

كانت أيام محنة الخزاعي ــ رحمه الله ــ أياما عصيبة ، مشحونة بالأحاديث والفتن وقد جرف تيار البدعة أناسا كثيرين .

وفي تلك الأيام كانت فتنة خلق القرآن ، ونفي رؤية الله ، والدعوة إليهما قد بلغت مبلغا عظيما ، فتنت كثيرا من الناس ، فوقع فيها بعض الخلفاء ، وكثير من العلماء والعامة ، ولم يقف أمامها إلا النزر اليسير .

وكانت تلك الأحداث بمثابة المستنقع الآسن الذي أعطى الفرصة لأهل البدع والأهواء ورؤوس الضلال ان يلقوا شباكهم ليصطادوا في الماء العكر ، ومما زاد الأمر سوءا أن الواثق كان من أشد الناس في القول بخلق القرآن ، يدعو إليه ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، اعتمادا على ماكان عليه أبوه قبله ، وعمه المأمون .

وفي وسط هذه الأحداث الطاحنة ، تجلد الإمام الخزاعي ، بكل صبر وثبات ، ونزل في بحر قل فيه السابحون ، وكثرت فيه التماسيح ، فقد قام الإمام الخزاعي ، ومعه سهل بن سلامة على مبايعة الناس على الأمر

---

(١) الأبيات أنشدها ابن أعين ، وقد ذكرها ابن عساكر في بعض تصانيفه . انظر طبقات الشافعية ٢ / ٣٣ .

(٢) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي البغدادي (ت : ٢٣١هـ) . الإمام الشهيد أبو عبد الله ، كان جده أحد نقباء الدولة العباسية ، وكان أحمد أمارا بالمعروف ، قوالا بالحق ، لا يخاف في الله لومة لائم . كان يعد من أكابر العاملين . (سير الاعلام ١١ / ١٦٦ والجراح والتعديل ٢ / ٧٩ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٠٣) .

بالمعروف والنهي عن المنكر ، حين كان المأمون بخراسان ، فلما قدم المأمون إلى بغداد بايعه سهل بن سلامة ، ولزم أحمد بن نصر الخزاعي بيته ، ثم تحرك في آخر أيام الواثق ، يدعو إلى الله ، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بأن كلام الله منزل غير مخلوق ، وفي أشياء كثيرة دعا الناس إليها ، فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد ، والتف حوله الالوف من الناس ، وانتصب للدعوة إلى أحمد رجلان ، أحدهما يدعو أهل الجانب الغربي ، والآخر يدعو أهل الجانب الشرقي من بغداد ، فاجتمع على أحمد جماعات غزيرة من الناس ، وفي سنة ٢٣١هـ انتظمت البيعة لأحمد في السر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والخروج على السلطان لبدعته ، ودعوته إلى القول بخلق القرآن ، وما هو عليه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها .

وأخيرا نم الخبر إلى نائب بغداد محمد بن إبراهيم بن مصعب[1] ، فأخذ أحمد وأصحابه ، ووجد في منزل أحدهما أعلاما ، واعترف خادم أحمد بعد الضرب بأن هؤلاء كانوا يأتون إلى أحمد ليلا ، ويخبرونه بما عملوا ، فحملوا إلى سامرا ، مقيدين ، فجلس الواثق لهم ، فلما جيء بأحمد بن يدي الواثق ، لم يعاتبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل أعرض عن ذلك كله . وسأله : ماتقول في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله .

---

(١) ناب عن أخيه إسحق بن إبراهيم لغيبته عن بغداد (انظر البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٤) وقد وقع خطا في سير الاعلام بقوله : (فنم الخبر إلى نائب بغداد إسحاق بن إبراهيم) ١١ / ١٦٧ والصحيح ماذكرناه سابقا . وقد ذكر الذهبي في نفس سير الاعلام ١١ / ١٧١ في ترجمة إسحق ابن إبراهيم ، قال : أمير بغداد ، وليها نحوا من ثلاثين سنة ، وعلى يده امتحن العلماء مات سنة ٢٣٥هـ ، وفتنة الخزاعي كانت سنة ٢٣١هـ ، وفيها استشهد . والله أعلم .

قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله ــ وكان أحمد قد استقتل ، وباع نفسه وحضر وقد تحنط ، وتنور وشد على عورته مايسترها ــ فقال له : ما تقول في ربك ؟ أتراه يوم القيامة ؟ فقال : يأمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك قال الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته »[2] .

فنحن على الخبر . فقال الواثق : ويحك، يرى كما يرى المحدود المتجسم ، ويحويه مكان ويحصره ناظرٌ ؟ انا كفرت بمن هذا صفته ، ثم قال لمن حوله من علماء السوء ، وبطانة الشر : ماتقولون فيه ؟ فأفتوه بأن دمه حلال ، وكان من بينهم قاضي بغداد[3] . أمّا أحمد بن أبي دؤاد فقد أظهر أنه كاره لقتله وقال شيخ مختل تغير عقله ، يؤخر .

خاتمة المطاف :

وفي وسط هذه العواصف من الاتهامات الباطلة ، والفتاوى الزائفة ــ مداراة للخليفة وتطييبا لخاطره على حساب أشرف دم يراق في سبيل الله ، ــ دم العلماء الصادقين ــ يقف الإمام الخزاعي ، صابرا لايتزعزع ، أو يتراجع رغم صعوبة الموقف وتوقع النهاية المؤلمة ، فبقاء الحق عنده مقدم

(١) القيامة ٢٢ ، ٢٣ .
(٢) سبق تخريجه ص ٢٣٤ .
(٣) هو عبد الرحمان بن إسحاق . كان قاضيا على الجانب الغربي من بغداد فعزل ، وكان موادا لأحمد بن نصر قبل ذلك . (البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٥) .

على بقاء الروح ، فالحق باق والناس زائلون ، ولن تضاء للحق شمعة واحدة ، أفضل من أن تضاء آلاف الشموع لغير الحق ، وشمعة الحق التي توقد في استشهاد عالم واحد ، يبقى نورها يتألق عبر السنين لينير للأجيال طريق الثبات في رحلة الجهاد . وهيجان العاصفة الذي يقتلع الأشجار من جذورها ليعجز من أن يقتلع جبلا واحدا أو يؤثر فيه ، وكلما ينفجر بركان باستشهاد عالم ، يتكون من ذلك البركان جبل شامخ يطلّ على الأجيال فيستظل السائرون تحت ظلاله .

وتحين اللحظة التي ينفجر فيها بركان الحق باستشهاد الخزاعي ، فيقول الواثق لجلسائه : ماأراه إلا مؤديا لكفره ، قائما بما يعتقده ، ودعا بالصمصامة وقال : احتسب خطاي إلى هذا الكافر ، فضرب عنقه بعد أن مدوا له رأسه بحبل وهو مقيد فقتله ، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياما ، وفي الغربي أياما وفي اذنه رقعة مكتوب عليها : هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي ، ممن قتل على يدي عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ، ونفي التشبيه ، وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح ، فالحمد لله الذي عجله إلى ناره ، وإليم عقابه بالكفر ، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ، ولعنه[1] .

ويا عجبا من زمان يصير فيه الإمام التقي النقي إمام أهل السنة من الكفار ومن أهل النار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) انظر (تاريخ بغداد ٥ / ١٧٣ وطبقات الحنابلة ١ / ٨٠ ــ ٨٢ وطبقات الشافعية ٢ / ٥١ ــ ٥٣ وسير الاعلام ١١ / ١٦٦ ــ ١٦٩ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٠٣ ــ ٣٠٥ وتاريخ الطبري ٩ / ١٣٥) .

الخاتمة

من خلال عرضنا لهذا البحث تبينت لنا عدة أمور نلخص منها :

١ ـ أن الفساد حينما ينتشر في الأمة ، ويسود بنظامه وقيمه حياة أفرادها ، ويسري في شرايين الناس ، سريان السرطان في جسم الإنسان ، عند ذلك تكون الأمة في أمس الحاجة إلى الإصلاح والتغيير .

٢ ـ إنّ مهمة الإصلاح التي تحتاج إليها الأمة ليست حالة عارضة تظهر عند الحاجة إليها بل هي حالة مستمرة تلازم حياة الأمة في الخير والشر ، وفي الرخاء والشدة ، في العسر واليسر ، تقوم المعوج ، وتجبر الكسير ، وفي نفس الوقت تصون الحق وتحميه من نزعات الشر والضلال وتجنبه عوارض الفتن والهلاك .

٣ ـ الوظيفة الأساسية لإقامة منهج الله في الأرض ، وتبليغ شريعته ، وتغليب الحق على الباطل ، والمعروف على المنكر ، والخير على الشر ، هي مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناهما الشامل .

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يخضعان لضوابط شرعية مستفادة من كتاب الله وسنة رسوله ، ولا يحق لأي مسلم أن يشْرع في واجبه في الأمر والنهي ، قبل معرفة لوازم الأمر والنهي ، وفق تعاليم الله ورسوله .

٥ ـ الشريعة الإسلامية هي الأساس في تقرير معنى الخير والشر ، والمعروف والمنكر ، وإنّ ماتدركه عقولنا ، وما تتوصل إليه في تحديد معنى

المعروف والمنكر ، لايعتد به إلا إذا كان موافقا لما عرفته الشريعة وأقرته ، وأمرت به أن كان معروفا ، ونهت عنه إن كان منكرا .

٦ ــ اتساع دائرة المعروف والمنكر حتى شملت جميع جوانب الحياة .

٧ ــ منهج العلماء في الأمر والنهي ، ليس مجرد وعظ وإرشاد وبيان ، إنما هو عمل مضن وجهد متواصل ، وعقبات صعبة تعترض طريقهم يتذر فيها الصابرون ، والتكليف به ليس بالهين ولا هو بالأمر اليسير فقد يصطدم صاحبه بشهوان الناس ونزواتهم ، وبمصالح الطامعين ، وغرور المتكبرين وكبرياء الجبارين . والناس فيهم الحاكم الظالم الذي يعترض طريق المصلحين بما أوتي من إمكانات ضخمة تسد على سبيل الخير منافذه ، وفيهم الجاهل المغرور الذي يأبى أن يسمع كلمة حق من أصحابها ، والظالم الذي يكره العدل ، والرذيل الذي يكره العفة والطهارة ، وفيهم من ينكر المعروف ، ويألف المنكر .

٨ ــ اختلاف أساليب العلماء في مواجهة الحاكم ، فمنهم من صدعه بمر الحق ، وواجهه بأخطائه بكل صلابة وشدة ، وقد تعرض بعضهم للسجن والتعذيب والقتل . والقسم الآخر لزم النصيحة بالقول اللين الذي لا غضاضة فيه ، وتذكيرهم بالآخرة والحساب والجزاء . لكنهم في الوقت نفسه يأبون المداهنة والتملق والتزلّف .

٩ ــ إنّ السلطان أو الحاكم استخلفه الله لرعاية مصالح الأمة ، والقيام بشئونها ، فإذا هو قصر في ذلك ، لزم الأمة محاسبته . وقد رأينا ان العلماء هم واجهة الناس في محاسبة الحاكم لأن العامة منحتهم الثقة الكاملة في أمور دينهم .

١٠ ــ اعراض العلماء عما بأيدى الحكام ، كان له الأثر الكبير في اجلال الناس لهم وخشية السلطان منهم .

١١ ــ كان العلماء بعضهم يشد بعضا في معرض البلاء ، وكان التواصي بالحق ديدنهم على الدوام ، وكانوا فيما بينهم يكثرون من التواصي بتقوى الله في السر والعلن ، وإذا رأى أحدهم من أخيه تهاونا في الحق ، أو تقربا لحاكم ، استخدم معه اسلوب الشدة والعنف ، واسمعه كلاما حادا فيه لوم وتقريع ، أو يهجره فلا يرى له صحبة حتى يعود إلى ماكان عليه .

١٢ ــ بيان العلماء الحق للعامة ، ومخالطتهم والتعرف على مشاكلهم لتوجيههم نحو الخير واعانتهم عليه ، مع التلطف معهم والتودد إليهم . وكان العلماء يدافعون عنهم ، وعن حقوقهم ، ملتزمين معهم صدق القول والعمل .

١٣ ــ وقف العلماء بوجه أصحاب البدع والأهواء ، واتبعوا معهم اساليب عديدة لايقاف تيارهم الجارف ، وحاولوا قطع جميع السبل التي تيسر لهم عرض أفكارهم على الناس ، رغم مناصرة بعض الحكام لهم .

وأخيرا : أسأل الله ــ جلت قدرته ــ أن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصا لوجهه الكريم ، وأن يجعلني أول المنتفعين به ، القائمين بواجبه ، والسالكين طريق الخير على هدى ونور .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه .

فهرس المصادر .

حرف الألف

(١) ابن تيمية السلفي / محمد خليل هرّاس / دار الكتب العلميّة / بيروت / ط ١ / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

(٢) الاحكام السلطانية / علي بن محمد بن حبيب (الماوردي) ت : ٤٥٠هـ . دار الكتب العلميّة / بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

(٣) الاحكام السلطانيّة / محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء (ابو يعلى الحنبلي) ت : ٤٥٨هـ . تصحيح وتعليق : محمد حامد الفقي ط ١ القاهرة ١٩٣٨م .

(٤) احكام القرآن / احمد بن علي الرازي (ابو بكر الجصاص) ت : ٣٧٠هـ / دار الكتاب العربي / بيروت ١٣٧٠هـ .

(٥) احمد بن حنبل / محمد ابو زهرة .

(٦) احياء علوم الدين / محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ابو حامد) ت : ٥٠٥هـ عالم الكتب بيروت .

(٧) اخبار القضاة / محمد بن خلف بن حيان (وكيع) ت : ٣٠٦هـ / عالم الكتب .

(٨) الاخلاق الاسلامية واسسها / عبد الرحمن حسن حبنكة / دار القلم ط ١ ١٣٩٩هـ .

(٩) اخلاق العلماء / محمد بن الحسين الآجري / ت : ٣٦٠هـ / تحقيق : بدر البدر / مكتبة الصحابة الاسلامية / السالمية / الكويت .

(١٠) الاستيعاب في معرفة الاصحاب / يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي المالكي (ابن عبد البر) ت : ٤٦٣هـ / هامش الاصابة / دار الفكر / ١٩٦٦م .

(١١) اسد الغابة في معرفة الصحابة / علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني / (ابن الاثير) ت : ٦٣٠هـ .

(١٢) الاسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه / عبد القادر عودة / الاتحاد الاسلامي ١٣٩٧هـ .

(١٣) الاسلام بين العلماء والحكام / عبد العزيز البدري / المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

(١٤) الاسلام والدعوات الهامة / انور الجندي . دار

الكتاب / بيروت ط ١ ١٩٧٤م .
الكتاب / بيروت ط ١ ١٩٧٤م .
(١٥) اصول الدعوة / عبد الكريم زيدان / مكتب المنارة الاسلامي / ١٤٠١هـ ــ١٩٨١م .
(١٦) اضواء البيان / محمد الامين بن المختار الشنقيطي / ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م .
(١٧) الاعلام / خير الدين الزركلي / دار العلم للملايين / بيروت ط ٦ / ١٩٨٤م .
(١٨) اعلام القضاة في الاسلام / د . محمد ابراهيم الجيوشي / دار النهضة / مصر .
(١٩) اعلام الموقعين / شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد الدمشقي (ابن القيم) ت : ٧٥١هـ . مطابع الاسلام / القاهرة / ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م .
(٢٠) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر / تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي (ابن تيمية) ت : ٧٢٨هـ . تحقيق : صلاح الدين المنجد / دار الكتاب العربي / بيروت / ط ١ ١٣٩٦هـ ــ١٩٧٦م .
(٢١) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر / احمد بن محمد بن هارون (ابو بكر الخلال) ت : ٣١١هـ . تحقيق : عبد القادر عطا / دار الاعتصام .
(٢٢) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر / جلال الدين العمري / نقله الى العربية محمد اجمل ايوب الاصلاحي / شركة الشعاع للنشر / الكويت .

(٢٣) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر / د . محمد عبد القادر ابو فارس / دار القرآن / عمان . ط ٢ / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

(   ) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر / عبد الرحمن عبد الله المقيط . السلام ـ الكويت ١٤٠٥هـ .

(٢٤) انبياء الله / احمد بهجت / دار الشروق ط ٦ القاهرة ١٩٧٩م .

(٢٥) الانساب / عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي ت : ٥٦٢هـ . ط ١ الهند .

حرف الباء

(٢٦) البداية والنهاية / الحافظ : ابو الفداء ابن كثير الدمشقي ت : ٧٧٤هـ مكتبة المعارف / بيروت / ط ٢ ١٩٧٧م .

(٢٧) بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول / تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) ت : ٧٢٨هـ . وبهامشه كتاب السنة النبوية / مكتبة الرياض .

حرف التاء

(٢٨) تاج العروس / محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي ت : ١٢٠٥هـ / دار صادر / بيروت .

(٢٩) تاريخ بغداد / احمد بن علي بن ثابت البغدادي (الخطيب) ت : ٤٦٣هـ . المكتبة السلفية / المدينة المنورة .

(٣٠) تاريخ الخلفاء / جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي / ت : ٩١١هـ . دار الفكر / ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م .
(٣١) تاريخ خليفة (خليفة بن خياط العصفري ت : ٢٤٠هـ) تحقيق : د . اكرم ضياء العمري / دار طيبة للنشر : الرياض ط ٣ ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .
(٣٢) تاريخ الطبري (تاريخ الامم والملوك) / محمد بن جرير الطبري / ت : ٣١٠هـ . تحقيق : ابو الفضل ابراهيم / دار سويدان / بيروت .
(٣٣) تاريخ ابن عساكر / علي بن هبة الله بن عساكر / ت : ٥٧١هـ . مخطوط / دار الكتب الظاهرية .
(٣٤) تاريخ علماء الاندلس / عبد الله بن يوسف الازدي / القاهرة ١٩٦٦م .
(٣٥) تاريخ قضاة الاندلس / ابو الحسن بن عبد الله النباهي الاندلسي / منشورات دار الآفاق الجديدة / بيروت .
(٣٦) التاريخ الكبير / ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت : ٢٥٦هـ . دار الكتب العلمية / بيروت .
(٣٧) تاريخ يحيى بن معين / ابو زكريا البغدادي / دراسة وتحقيق : احمد محمد نور سيف . ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .
(٣٨) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي / ابي علي محمد بن عبد الرحمن ت : ١٣٥٣هـ المكتبة السلفية / المدينة المنورة .
(٣٩) تذكرة الحفاظ / ابو عبد الله محمد بن احمد الذهبي ت :

٧٤٨هـ . دار احياء التراث العربي / بيروت / طبعة الهند .
(٤٠) تذكرة الدعاء / البهي الخولي / مكتبة الفلاح / الكويت ط ٦ / ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .
(٤١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك / عياض بن موسى بن عياض ، ابو الفضل (القاضي عياض) ت : ٥٤٤هـ . تحقيق : احمد بكير محمود / دار مكتبة الحياة / بيروت .
(٤٢) التشريع الجنائي في الاسلام / عبد القادر عودة / دار الكتاب العربي / بيروت .
(٤٣) التعريفات / علي بن محمد بن علي (الشريف الجرجاني) ت : ٨١٦هـ . دار الكتب العلمية / بيروت / ط ١ / ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م .
(٤٤) تفسير البيضاوي / عبد الله بن عمر بن علي الشيرازي ت : ٦٨٥هـ / دار الكتب العربية الكبرى / بهامشه : حاشية الكازروني .
(٤٥) تفسير ابو السعود / محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ابو السعود) ت : ٩٨٢هـ . تحقيق : احمد عبد القادر عطا / مكتبة الرياض الحديثة .
(٤٦) تفسير القرآن العظيم / الحافظ ابو الفداء اسماعيل (ابن كثير) ت : ٧٧٤هـ .
(٤٧) تفسير القرطبي / محمد بن احمد الانصاري / دار الكتاب العربي / مصور عن طبعة دار الكتب / ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م .
(٤٨) التفسير الكبير / الفخر الرازي (محمد بن عمر) ت :

٦٠٦هـ / موسسة المطبوعات الاسلامية / ط ١ .

(٤٩) تفسير المنار / محمد رشيد رضا / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت ط ٢ مصورة .

(٥٠) تقريب التهذيب / شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني ت : ٨٥٢هـ . دار المعرفة / بيروت / ط ٢ ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م .

(٥١) تقدمة الجرح والتعديل / عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي / دار المعارف العثمانية بحيدر اباد / الهند ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م .

(٥٢) تلبيس ابليس / جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي / ت : ٥٩٧هـ . (ابن الجوزي) دار الكتب العلمية / بيروت .

(٥٣) تهذيب سيرة ابن هشام / عبد السلام هارون / مؤسسة الرسالة / ط ٨ .

(٥٤) تهذيب التهذيب / ابن حجر (احمد بن علي العسقلاني) ت : ٨٥٢هـ . حيدر اباد / الهند .

(٥٥) تهذيب الكمال / المزي (عبد الرحمن بن يوسف) ت : تحقيق : بشار عواد معروف / مؤسسة الرسالة / بيروت . ط ٢ ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

(٥٦) تهذيب تاريخ دمشق (علي بن هبة الله بن عساكر ت : ٥٧١هـ) لابن بدران .

(٥٧) تهذيب الاسماء واللغات للنووي (ابي زكريا محي الدين بن شرف النووي ت : ٦٧٦هـ) . دار الكتب العلمية / بيروت .

حرف الجيم

(٥٨) الجامع لاحكام القرآن / محمد بن احمد الانصاري (القرطبي) ت : ٦٧١هـ . دار الكتب المصرية / ط ٣ / ١٣٨٧هـ ــ ١٩٧٧م .

(٥٩) جامع البيان / محمد بن جرير الطبري / ت : ٣١٠هـ / مطبعة الحلبي / مصر ط ٣ / ١٣٨٨هـ ــ ١٩٨٨م .

(٦٠) جامع الترمذي / محمد بن عيسى / ت : ٢٧٩هـ / عبد الرحمن عثمان / دار الفكر / ط ٣ / ١٩٧٨م .

(٦١) جاهلية القرن العشرين / محمد قطب / دار الشروق .

(٦٢) الجرح والتعديل / عبد الرحمن بن محمد الرازي ت : ٣٢٧هـ / دار الكتاب العلمية / بيروت . ط ١ / ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م .

حرف الحاء

(٦٣) الحسبة في الاسلام / احمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) ت : ٧٢٨هـ . دار الكتاب العربي بيروت .

(٦٤) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء / الحافظ : ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني ت : ٤٣٠هـ / دار الكتاب العربي بيروت .

(٦٥) حماة الاسلام / مصطفى نجيب / دار الكتاب العربي / بيروت .

حرف الخاء

(٦٦) كتاب الخراج / للقاضي ابي يوسف (يعقوب بن ابراهيم) ت : ١٨٢هـ . دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت .

(٦٧) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال / احمد بن عبد لبيه الخزرجي / ت : ٩٢٣هـ . مكتب المطبوعات الاسلامية / بيروت / ١٩٧٩م .

حرف الدال

(٦٨) دائرة المعارف الاسلامية / طبعة مصر ١٩٣٣ — ١٩٥٧م .

(٦٨) دراسات تاريخية / د . اكرم ضياء العمري / ط ١ / المجلس العلمي في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة .

(٦٩) الدعوة الاسلامية واصولها ووسائلها / احمد غلوش / القاهرة / دار الكتاب المصري / القاهرة / ١٣٩٩هـ .

(٧٠) ديوان جرير / (جرير بن عطية الخطفي ت : ١١١هـ) / شرح : محمد بن حبيب / تحقيق : د . نعمان محمد امين / دائرة المعارف بمصر ١٩٦٩م .

(٧١) ديوان جرير / شرح : محمد اسماعيل عبد الله الصاوي . ط ١ .

حرف الذال

(٧٢) الذيل على طبقات الحنابلة / زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن

ابن شهاب الدين احمد البغدادي الدمشقي الحنبلي (ابن رجب) ت : ٧٩٥هـ . طبعة انصار السنة المحمدية / القاهرة ١٣٧٢هـ .

حرف الراء

(٧٣) رجال الفكر والدعوة / ابو الحسن الندوي / دار العلم / دار القلم / الكويت / ط ٧ / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

(٧٤) رحلة ابن جبير (محمد بن احمد الكتاني الاندلسي ت : ٦١٤هـ) ط ٢ ليدن ١٩٠٧م .

(٧٥) الرد على الرافضة / ابو حامد محمد المقدسي / تحقيق : عبد الوهاب خليل الرحمن / الدار السلفية .

(٧٦) الرسالة التدمرية / احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ابن تيمية) ت : ٧٢٨هـ .

(٧٧) رسالة المسترشدين / الحارث بن اسد المحاسبي (ابو عبد الله) ت : ٢٤٣هـ تحقيق : عبد الفتاح ابو غدة) .

(٧٨) روح المعاني (محمود الآلوسي البغدادي) ت : ١٢٧٠هـ . دار احياء التراث العربي / بيروت .

حرف الزاء

(٧٩) ابو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية / دراسة وتحقيق : د . سعدي الهاشمي / ط ١ المجلس العلمي في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة .

(٨٠) الزهد للامام احمد بن محمد بن حنبل الشيباني / ت : ٢٤١هـ / دار الكتب العلمية / بيروت .
(٨١) الزهد / عبد الله بن المبارك ت : ١٨١هـ . تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي .

حرف السين

(٨٢) الامام سفيان الثوري / حياته العلمية والعملية / د . ابو الفتح البيانوني دار السلام للطباعة / القاهرة .
(٨٣) سنن ابي داود (سليمان بن الاشعث ت : ٢٧٥هـ) دار الحديث / حمص ١٩٧٣م .
(٨٤) سنن ابن ماجة (ابي عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني) ت : ٢٧٥هـ / تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي / دار احياء التراث العربي / بيروت / ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .
(٨٥) سهام الاسلام / عبد اللطيف بن علي السلطاني / الشركة الوطنية للنشر والتوزيع / الجزائر .
(٨٦) سير اعلام النبلاء / الحافظ : ابو عبد الله محمد بن احمد الذهبي / ت : ٧٤٨هـ / مؤسسة الرسالة ط ١ .
(٨٧) سيرة عمر بن عبد العزيز / جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ابن الجوزي) ت : ٥٩٨هـ .
(٨٨) سيرة عمر بن عبد العزيز / ابن عبد الحكم / ط ٥ / المكتبة العربية / دمشق .
(٨٩) السيرة النبوية / ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري ت : ٢١٨هـ . الطبعة الثانية .

حرف الشين

(٩٠) شذرات الذهب في اخبار من ذهب / عبد الحي بن عماد الحنبلي / ت : ١٠٨٩هـ ط ٢ / ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م . دار المسيرة / بيروت .
(٩١) شرح السنة / ابو محمد الحسين بن مسعود (البغوي / ت : ٥١٦هـ) بيروت / ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧١م .
(٩٢) شرح العقيدة الطحاوية / ط ٥ / المكتب الاسلامي ١٣٩٩هـ .
(٩٣) شعراء الدعوة الاسلامية / احمد عبد اللطيف وحسني ادهم / ط ١ / مؤسسة الرسالة .
(٩٤) الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء / عبد الرحمن بن علي ابو الفرج (ابن الجوزي) ت : ٥٩٧هـ / تحقيق : فؤاد عبد المنعم احمد / دار الحرمين للطباعة والنشر / الدوحة / ط ٣ / ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م .

حرف الصاد

(٩٥) الصابئة قديما وحديثا / عبد الرزاق الحسني / المطبعة الرحمانية بمصر .
(٩٦) الصابئون / رشدي عليان .
(٩٧) صحيح البخاري (ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري) ت : ٢٥٦هـ . دار احياء التراث العربي / بيروت .

(٩٨) صحيح مسلم (مسلم بن الحجاج القشيري) ت : ٢٦١هـ .
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي / دار احياء التراث .
(٩٩) صحيح مسلم بشرح النووي / دار الفكر / بيروت .
(١٠٠) صفة الصفوة (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت : ٥٩٧هـ) ابن الجوزي / طبعة حيدر اباد / الهند / ١٣٥٥هـ .
(١٠١) صفوة التفاسير / محمد بن علي الصابوني / دار القرآن / بيروت ط ٤ .
(١٠٢) صيد الخاطر / ابن الجوزي / تعليق : محمد الغزالي / طبعة الكليات الازهرية / القاهرة .

حرف الطاء

(١٠٣) طبقات الحنابلة / ابو الحسين محمد بن ابي يعلي الفراء / طبعة انصار السنة المحمدية / ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م .
(١٠٤) طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي ت : ٧٧١هـ . تحقيق : محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو / ط ١ / ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٧م . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
(١٠٥) طبقات الصوفية / ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ت : ٤١٢هـ . طبعة مصر ١٩٥٣م .
(١٠٦) طبقات علماء افريقية / محمد بن تميم القيرواني / ت ٣٣٣هـ . طبعة الجزائر .

(١٠٧) طبقات فقهاء اليمن / الجعدي (عمر بن علي الجعدي) تحقيق : فؤاد سيد / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ .
(١٠٨) طبقات القراء شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد الجزري ت : ٨٣٣هـ. ط ١٣٥١هـ / مصر .
(١٠٩) الطبقات الكبرى / محمد بن سعد ت : ٢٣٠هـ . دار صادر / بيروت .
(١١٠) طبقات المحدثين باصبهان / ابو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر الاصبهاني / ت : ٣٦٩هـ .

حرف العين

(١١١) عدة الصابرين / ابن القيم (ابو عبد الله محمد بن ابي بكر) ت : ٧٥١هـ .
(١١٢) المسجد المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك / الخزرجي / مخطوطة مصورة من مكتبة المجمع العلمي العراقي .
(١١٣) العقد الفريد / احمد بن محمد الاندلسي (ابن عبد ربه) ت : ٣٢٨هـ . طبعة مصر ١٣٥٩هـ ، ١٣٧٢هـ .
(١١٤) علماء الاسلام / محمد السلمان / دار الكتاب العربي .

حرف الغين

(١١٥) الغرباء / الحافظ : ابي بكر محمد بن الحسين الآجري /

تحقيق : بدر الدين . دار الخلفاء للكاتب الاسلامي .
( ) غريب الحديث . ابن الجوزي .

حرف الفاء

(١١٦) الفتح الرباني / ترتيب مسند الامام احمد / احمد عبد الرحمن البنا / دار الشهاب / القاهرة .
(١١٧) فتح القدير / محمد بن محمد بن علي الشوكاني / ت : ١٢٥٠هـ / دار المعرفة بيروت .
(١١٨) فتوح الغيب / عبد القادر الجيلاني / ت : ٥٦١هـ .
(١١٩) الفصل في الملل والاهواء والنحل / ابو محمد علي بن حزم الاندلسي ت : ٤٥٦هـ دار احياء التراث العربي / بيروت .
(١٢٠) فقه السيرة / محمد سعيد رمضان البوطي / دار الفكر / بيروت .
(١٢١) فوات الوفيات / ابن شاكر الكتبي / تحقيق : احسان عباس / دار صادر / بيروت ١٩٧٣م .
(١٢٢) فيض القدير / شرح الجامع الصغير / محمد عبد الرؤوف المناوي / ١٩٧٣م .
(١٢٣) في ظلال القرآن / سيد قطب / دار الشروق / بيروت ط ٩ ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .

حرف القاف

(١٢٤) قواعد الاحكام في مصالح الانام / الامام ابي محمد عز الدين

عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (العز) الملقب بـ « سلطان العلماء » ت : ٦٦٠هـ . مطبعة الاستقامة في القاهرة .

حرف الكاف

(١٢٥) الكامل في التاريخ / ابن الاثير (عز الدين ابو الحسن علي بن محمد ت : ٦٣٠هـ) دار صادر / بيروت ط ٣ / ١٣٥١هـ .

(١٢٦) الكشاف للزمخشري (جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي) ت : ٥٣٨هـ .

(١٢٧) كشف الخفاء (اسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي ، ابو الفداء ت : ١١٦٢هـ) دار احياء التراث العربي بيروت ط ٣ ١٣٥١هـ .

(١٢٨) كشف الاستاد عن زوائد (نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي ت : ٨٠٧هـ) تحقيق : حبيب الرحمن الاعظمي / مؤسسة الرسالة ط ١ / ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .

(١٢٩) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال / علاء الدين علي المتقي البرهاني فوري .

حرف اللام

(١٣٠) لسان العرب / جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور

الافريقي ت : ٧١١هـ دار صادر /بيروت .
(١٣١) لسان الميزان / الحافظ : أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ابن حجر) ت : ٨٥٢هـ . مؤسسة الاعلمي / ط ٢ ١٩٧١م .
(١٣٢) اللؤلؤ والمرجان / محمد فؤاد عبد الباقي / المكتبة الاسلامية .

حرف الميم

(١٣٣) مجلة البعث الاسلامي / صفر / عدد ٥ / ١٤٠٣هـ .
(١٣٤) مجلة الازهر / رمضان ١٣٧١هـ .
(١٣٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي / بتحرير الحافظ العراقي وابن حجر / دار الكتاب العربي / بيروت .
(١٣٦) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية / طبعة دار الافتاء / الرياض .
(١٣٧) محاضرات تاريخ الامم الاسلامية / محمد الخضري بك / المكتبة التجارية الكبرى / مصر / ١٩٦٩م .
(١٣٨) محاضرات تكوين الشخصية الاسلامية في نظر الاسلام / عبد الله علوان / دار السلام .
(١٣٩) المحن / محمد بن احمد التميمي / تحقيق : يحيى وهيب الجبوري / دار الغرب / بيروت .
(١٤٠) مدارج السالكين / ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ابن

القيم) ت : ٧٥١هـ دار الكتاب العربي بيروت .
(١٤١) مرآت الجان / عبد الله بن اسعد اليافعي / ت : ٧٦٨هـ / حيدر اباد ١٣٣٩هـ .
(١٤٢) مرشد الدعاة / محمد نمر الخطيب .
(١٤٣) المستدرك على الصحيحين / ابي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت : ٤٠٥هـ . دار الكتاب العربي / بيروت .
(١٤٤) مسند الامام احمد بن حنبل / بيروت / دار صادر .
(١٤٥) معالم في الطريق / سيد قطب .
(١٤٦) المعجم الوسيط / ابراهيم مصطفى ورفقاؤه / دار احياء التراث العربي / بيروت .
(١٤٧) معجم البلدان / ياقوت الحموي ت : ٦٢٦هـ / دار صادر / بيروت .
(١٤٨) معجم المؤلفين العراقيين . ط ١ بغداد .
(١٤٩) ملامح الانقلاب الاسلامي في حياة عمر بن عبد العزيز / عماد الدين خليل .
(١٥٠) مناقب الامام احمد بن حنبل / ابن الجوزي (جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ت : ٥٩٧هـ) تحقيق : عبد الله بن محسن التركي / ط ١ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م / مكتبة الخانجي بمصر .
(١٥١) مناقب الامام ابي حنيفة لابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ت : ٧٤٨هـ . المكتبة الامدادية / مكة ط ٢ .

(١٥٢) من اخلاق العلماء / محمد سليمان / القاهرة / المطبعة السلفية ١٣٥٣هـ .
(١٥٣) المنتظم لابن الجوزي ت : ٥٩٧هـ . طبعة : حيدر اباد / الهند . ١٣٥٩هـ .
(١٥٤) المنطلق / محمد احمد الراشد / مؤسسة الرسالة / بيروت لبنان / ط ٢ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .
(١٥٥) المنهج الاحمد في تراجم الامام احمد / العليمي : مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي ت : ٩٢٨هـ . ط ١ / عالم الكتب / بيروت / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
(١٥٦) الموسوعة العربية الميسرة / اشراف د . محمد شفيق غربال / دار القلم ومؤسسة فرانكلين .
(١٥٧) الموسوعة الثقافية / اشراف د . حسين سعيد / مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر / القاهرة / نيويورك ١٩٧٢م .
(١٥٨) الموافقات في اصول الشريعة (ابو اسحق ابراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ت : ٧٩٠هـ) دار المعرفة / بيروت .
(١٥٩) ميزان الاعتدال / الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد الذهبي / ت : ٧٤٨هـ . تحقيق : علي محمد البجاوي / دار الطباعة والنشر .

حرف النون

(١٦٠) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / يوسف بن تعري

بردي ، جمال الدين ابو المحاسن ت : ٨٧٤هـ / دار الكتب المصرية والهيئة المصرية العامة .
(١٦١) نظام القضاء في الشريعة الاسلامية / د . عبد الكريم زيدان / ط ١ / ١٤٠٤هـ مطبعة العاني / بغداد .
(١٦٢) النهاية في غريب الحديث والاثر / ابن الاثير ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت : ٦٠٦هـ / تحقيق : محمود محمد الطناحي / المكتبة الاسلامية .
(١٦٣) هدي الساري / مقدمة فتح الباري (ابن حجر : شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني ت : ٨٥٢هـ) / الطبعة السلفية / القاهرة .

حرف الواو

(١٦٤) وفيات الاعيان / احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر (ابن خلكان) ت : ٦٨١هـ . تحقيق د . احسان عباس . دار صادر / بيروت .
(١٦٥) الورع للامام احمد بن حنبل الشيباني / ت : ٢٤١هـ . القاهرة ١٣٤٠هـ .

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله